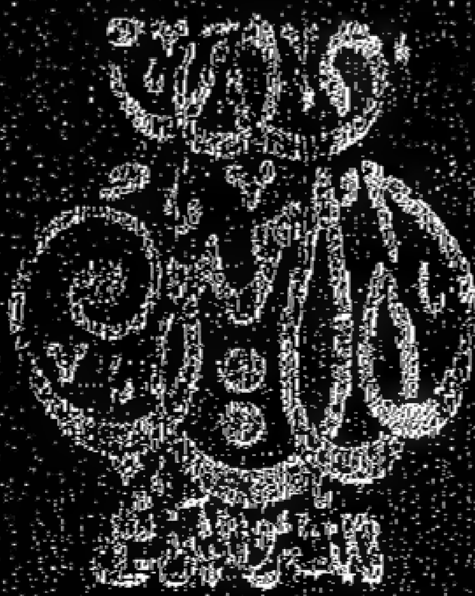
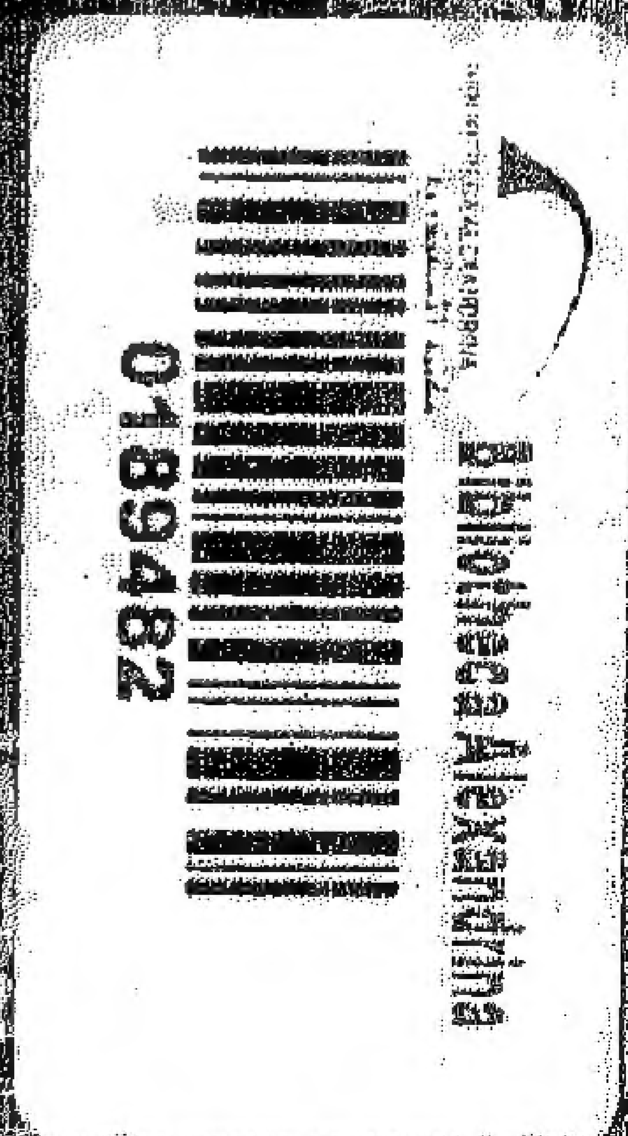
تراثنا

ابن عربي ـ الجيلي

شرح مشكلات الفتوحات المكية

دكتور
يوسف زيدان





تَمْهِيــدٌ

من النادر – والممتع– أن نجد عملاً واحـداً ، يجمع بين اثنين من كبار الصوفية فـي تـاريخ الإسـلام : **ابـن عربـى** ، **الجيلـى** .. وكمـا هـو معروف ، فكلاهما بلغ في التصـوف شـأواً عظيمـاً، وتـرك مـا لاحصر لـه مـن مؤلفـات تستلفت أنظار متذوقى التصوفى ودراسى الأدب. وهما يعبِّران فـى نصوصهمـا عن رؤية صوفيـة عميقـة للكـون، ويستخدمان لغـة خاصـة ، آسـرة ، سـاحرة بيكارتها .. فماذا سنجد ، حين تلتقى الرؤيتان ، وتلتحم لغتان راقيتان ؟!

كنتُ قد بدأتُ فى تحقيق شـرح الجيلـى علـى **فتوحـات** ابـن عربـى منـذ سنوات طويلة، أظنُّها ثمانية ؛ وكلما قطعت فيه أشواطاً، وقفتُ متردِّداً فى نشره على الناس .. نظراً لما فى النصِّ من قضايا ، أقل مـا توصـف بـه ، أنهـا متفـرِّدةٌ وخطيرة ! فأقول فى نفسى : وماذا يعود على الناس اليوم، حـين نطـرح قضايـا كهذه ، من شأنها إثارة الجدل بين المتحمِّسين للصوفية والناقمين عليهم ؟

ومرت السنونُ فى انشغالى ببحوث وتحقيقات تراثيـة أخـرى، أقـل خطـراً وأكثر تلبيةً لمقتضيات ثقافتنـا المعـاصرة .. وبـين حـينٍ وآخـر، أقلِّـب صفحـات شرح الجيلى ، ثم انقلب عنه .

ولما جاء أوانُ بروز الكتاب، كـانت الدوافـع علـى إخراجـه قـد تكثَّفـت عندى .. لأمورٍ ، منها : انتشار موجةٌ من الطبعات الرخيصة لكتـب الصوفيـة، ومن بينهم ابن عربى والجيلـى . وقـد احتشـدت فـى تلـك الطبعـات الأخطـاء،

وغابت الهوامش المفسِّرة والتعليقات ، مما يزيد تلك القضايا التى أشفقتُ منها خطورةً تتمثل فى تعميق سوء فَهْمِ النصِّ.. كذلك ، فالمستشرقون قد اعتنوا فعلاً بالتراث الصوفى، واهتموا بابن عربى والجيلى ، فنظروا فى أعمالهما، وقدموا عنها بحوثاً تعبِّر عن وجهة نظرهم هم ؛ فإذا ببعضنا يتبنّى وجهة النظر تلك، وينظر لتراثنا بعيون استشراقية .. وأخيراً ، لأننى بعد طول تأمُّل، وجدتُ أن إخفاء جانبٍ معين من التراث ، لن يعود بنفع على ورثته. فلا بد من استعراضٍ وافٍ لكافة تجليات الفكر العربى ، لنرى الماضى بنظرة شاملة، واعيةٍ بكل الجوانب ، ومن بين تلك الجوانب : الفلسفة الصوفية .

وهكذا أقدمت على إخراج هذا النص محقّقاً -والقلب فيه ما فيه - تلافياً لإمكان خروجه مشوَّهاً على يد مرتزقة التراث، ومحاولةً لفهم جانب مهم من جوانب **الذات** بعيداً عن النظرة المستعارة من الآخر الغربى .. واستكمالاً لعملية الكشف عن منظومة الفكر العربى .

وعبد الكريم **الجيلى** فى هذا الكتاب، يقدِّم تصوفاً يمتزج برؤية فلسفية عميقة، وإن شئت قلت : فلسفةً مشوبة بنزعة صوفية جارفة. وقد أمعن الجيلى فى هذا الجانب، حتى كاد يغلق بابه أمام من جاءوا بعده .. ففى تاريخ التصوف، لم يأت بعد الجيلى متصوفٌ فيلسوفٌ له نفس المذاق والعمق ، وكل الذين اصطنعوا أسلوبه من بعده، عيالٌ عليه. لكن التصوف ذاته استمر ، إما بجهود شرح **كالنابلسى** أعادوا طرح قضاياه ، أو بأحوال مشايخ **كالبكرى** اهتموا بتربية المريدين وإشاعة حرارة الدين فى النفوس المتّجهة من الخلْق إلى الحق.

وبعد .. فها هو **شرح مشكلات الفتوحات** يُنشر لأول مرة، مزوّداً ببعض المقتطفات من باب الأسرار فى **الفتوحات المكية** . بعدما بذلنا جهد الطاقة وصدق السعى ، لإخراج النصوص محقّقةً ، مضبوطةً ، مفسَّرةً .. وعسانا

نكون قد أضفنا للمكتبة العربية المعاصرة ، كتاباً فيه الكثير من التصوف، والفلسفة ، والأدب . أما ما سوف تُفسر عنه قراءة المطالعين له، فذلك ما نتركه للأيام .

وها هى الطبعة الثانية من الكتاب ، تأتى بعد ست سنواتٍ من صدور طبعته الأولى ، التى لاقت فى وقتها تقديراً طيباً ، وكانت من أكثر الإصدارات انتشاراً وتوزيعاً .. ونهباً وتزويراً وتصويراً ! وقد حاولنا أن تكون هذه الطبعة أكثر من سابقتها دقةً وتصويباً وتحريراً .

والله الموفق .

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أكتوبر ١٩٩٨م.

الموافق جمادى الثانى ١٤١٩هـ.

محتـــويـــات الكتـــاب

الشَّيْخان

ابن عربى ، الجيلى

والكتابان

الفتوحات ، الشرح

تشتمل الصفحات التاليات على دراسة موجزة ، نتعرض فيها لبعض النقاط التى تُسهم فى قراءة النص المحقق قراءةً أكثر وعياً وفهماً .. فنتوقّف عند ابن عربى، وكتابه **الفتوحات** ، وبابه التاسع والخمسين بعد الخمسمائة، وهو البابُ الجامع الذى جعله ابن عربى بعنوان : باب الأسرار .. كما نتوقف عند الجيلى ، وشرحه للفتوحات وبابها المعنون بالأسرار .

ابنُ عَرَبى

هو شيخ الصوفية الأكبر : محيى الدين أبو بكر محمد بن على بن محمد بن أحمد الطائى الحاتمى المرسى، الشهير بابن عربى[1] .. وُلد فى **مَرْسية** بالأندلس يوم الإثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ ، وتوفى ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هجرية، بدمشق .. ودفن بسفح جبل قاسيون .

ولايمكن أن نضع ترجمة كاملة لابن عربى، فحياته الزاخرة، ومئات الصفحات التى كتبها عنه المؤرخون والدارسون ، يجعلان عملية الترجمة له هنا أمراً يضيق عنه المقام . لذا، فسنكتفى ببعض الإلماحات الموجزة عنه، تاركين المجال لمن رغب فى مزيدٍ من التعرُّف إلى الرجل وأعماله، لأن يرجع إلى مصادر ترجمة ابن عربى والبحوث الخاصة بتصوفه[2] .

---

(١) جرت العادة فى المشرق العربى بالإشارة إلى الشيخ الأكبر بلقب ابن عربى بدون ألف ولام، تمييزاً له عن الفقيه ابن العربى الذى يتفق معه فى الاسم واللقب.

(٢) جمع الدكتور صلاح الدين المنجد كثيراً من مظان ترجمة ابن عربى فى مقدمته لكتاب الدر الثمين فى مناقب الشيخ محيى الدين وأضاف إليها محققو سير أعلام النبلاء المزيد عند ترجمة الذهبى له (مجلد ٢٣ هامش صفحة ٤٨) وبخصوص البحوث المعاصرة حول ابن عربى وتصوفه، يمكن الرجوع إلى ما كتبه لفيف من الأساتذة ، فى الكتاب التذكارى الذى صدر فى الذكرى المئوية لابن عربى (القاهرة ١٩٦٩).

نشأ ابن عربى فى بيت علم، ودرس علوم الدين فى **لشبونة و أشبيلية** وزار **قرطبة** ومصر وبيت المقدس ومكة وبغداد وبلاد الروم، ثم استقرَّ فى دمشق حتى ليلة وفاته .

وتلقى الشيخ الأكبر التصوف، وسلك طريق الولاية ، على يد شيخه **أبى مدين الغوث** أحد كبار صوفية المغرب العربى ، وكان يعيش بمدينة **بجاية** واشتهر بها كصوفى جليل القدر ، ورويت عنه كرامات كثيرة .. والراجح أن ابن عربى التقى به وهو فى طريقه لتونس سنة ٥٩٠ هجرية، فتعلَّق به تعلُّق المريد بالشيخ ، وظل يذكره ويحكى وقائعه فى معظم مؤلفاته، ومنها **الفتوحات المكية** .. وسوف تقابلنا فى النص المحقق بعض عبارات أبى مدين التى يرويها ابن عربى. وتوفى الشيخ أبو مدين سنة ٥٩٧ هجرية، وبقى ابن عربى مخلصاً كل الإخلاص لذكراه، و لم يتحدث عن شيخ من معاصريه بهذه الحرارة وهذا التقدير، اللذين تحدَّث بهما عن أبى مدين الغوث[١] .

وبعد ترقِّيه فى سماء الولاية ، ظل ابن عربى موضوعاً للجدل حول صحة عقيدته وسلامة مذهبه. وكان أول مَنْ أثار هذا الجدل ، الفقيه جمال الدين بن الخياط اليمنى، الذى كتب **مسائل** فى كتاب أرسله إلى العلماء فى بلاد الإسلام، فكتب العلماء ردودهم عليها، وشنَّعوا على مَنْ يعتقدها، فلما شنَّعوا ، صَّرح بأنها اعتقادات ابن عربى .. ويذهب **الفيروزابادى** صاحب القاموس - وهو من أكبر المدافعين عن ابن عربى - إلى أن ابن الخياط ذكر فى مسائله عقائد زائفة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين ، وليست من آراء ابن عربى فى شئ. ثم يقول : ***وما أنكر على الشيخ إلا بعض الفقهاء القحّ ، اللذين لاحظٌ لهم فى***

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى : أبو مدين وابن عربى (الكتاب التذكارى لمحيى الدين ابن عربى) ص ١١٥ وما بعدها .

شرب المحققين، وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بأنه إمامُ أهل التحقيق والتوحيد..[1] ولايزال الخلافُ يدور حول عقيدة ابن عربى، حتى وصل الأمر، اليوم ، إلى مناقشة هذه القضية فى **مجلس الشعب** المصرى ! وهو مجلس نصفه من العمال والفلاحين .. ولا أدرى حقاً ، من أين تتأتّى لهؤلاء القدرةُ على السباحة فى بحار ابن عربى ، أو التحليق فى مجراته الشاسعة ؟

ترك ابن عربى مائتين وواحداً وخمسين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة ، حسبما ورد فى **إجازة** كتبها سنة ٦٣٢ هجرية[2] . أو خمسمائة كتاب على حد قول عبد الرحمن جامى فى **نفحات الأنس** أو أربعمائة على ما ذكره الشعرانى فى **اليواقيت والجواهر** . وقد رصد له بروكلمان نحواً من مائة وخمسين مؤلفاً باقياً فى الخزائن الخطية ، نُشر منها إلى اليوم قرابة الستين[3] .. وكان ابن عربى - كما يقول الدكتور أبو العلا عفيفى- قد أحاط بالتراث الفلسفى الإسلامى إحاطة تامة، لكنه لم يشغل نفسه بالتأليف فى الفلسفة ، إلا من حيث ما يجد صلة بينها وبين بعض ما يوافق أو يخالف روح مذهبه. ولكن شغله الشاغل كان التأليف فى التصوف الذى وقف كل علمه على خدمته، وقد بدأ التاليف فى التصوف منذ دخوله الطريق، وسار فى التأليف على نهج تدريجىّ، فكتب أولاً الكتب والرسائل الصغيرة حول موضوعات خاصة، مثل

---

(١) انظر **اليواقيت والجواهر فى علوم الشيخ الأكبر** للشعرانى ١٠/١ .. وقد وضع الفيروزآبادى كتاباً يرد فيه هجوم ابن الخياط على ابن عربى، وجعله بعنوان: **الاغتباط بمعالجة ابن الخياط** .

(٢) قام الدكتور. أبو العلا عفيفى بنشرها فى مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثامن (سنة ١٩٥٤) .. ويقول الأستاذ عباس عَزَّاوى إنه رأى فى خزائن استنبول رسائل فى أسماء مؤلفات ابن عربى (محيى الدين بن عربى وغلاة التصوف ، الكتاب التذكارى ، ص ١٣٥).

(٣) د. عفيفى : ابن عربى فى دراساتى (الكتاب التذكارى) ص ٢١.

كتاب **التدبيرات الإلهية** الذى وضعه فى المملكة الإنسانية . وكتاب **مواقع النجوم** الذى وضعه فى إرشاد السالك للطريق الصوفى ، ورسالة **الخلْوة** التى وضعها فيما يجب على المريد فى خلوته، وكتاب **عنقاء مغرب** الذى وضعه فى الولاية؛ ورسائل أخرى قصيرة وضعها فى تفسير بعض الآيات القرآنية، أو بعث بها إلى أصدقائه استجابةً لطلبٍ منهم ، أو رداً على أسئلتهم .. وفى الشطر الثانى من حياة ابن عربى، وهو الشطر الذى قضى معظمه بدمشق وبعضه بمكة، ظهر إنتاجه الناضج الخصب فى التصوف، ومنها كتابه **فصوص الحكم** الذى يمثل خلاصة مذهب ظل يضطرب فى نفسه -كما يقول الدكتور عفيفى- نحواً من أربعين عاماً. فلما ظهر **الفصوص** سنة ٦٢٧ هجرية، أذهل المسلمين وأثار فى نفوسهم الحيرة والشك، كما أثار الإعجاب والتقدير . *ولم يكن ظهور **الفصوص** مجرد طفرة لم يسبق لها تمهيد، فقد مَهَّد ابن عربى للأفكار الرئيسية فيه بمؤلفاته الصغرى، ولكن أعظم تمهيد له، كان بكتابه : **الفتوحات المكية***[1]

الفُتوحَاتُ المَكّيَّة

من الصعب قبول ما يذكره الدكتور عفيفى - وهو واحدٌ من أفضل دارسى ابن عربى- حول الصلة بين **فصوص الحكم** و **الفتوحات المكية** حين يجعل من **الفتوحات** تمهيداً للفصوص . فهو رأى خاطئ من عدة وجوه، أولها أن ابن عربى كتب **الفتوحات** بعد **الفصوص** ! فتاريخ خروج **فصوص الحكم** هو ٦٢٧ هجرية ، أما **الفتوحات** فقد كتبها ابن عربى بخطه مرتين ، الأولى

---

(١) د. عفيفى : **الفتوحات المكية لمحيى الدين بن عربى** (مقال بسلسلة تراث الإنسانية - المجلد الأول) ص ١٦٠

سنة ٦٢٩ هجرية، والأخرى سنة ٦٣٦ هجرية[1] ، وكلا التاريخين تالٍ لكتابة **الفصوص** فكيف يكون التالى تمهيداً للسابق ؟ وبالوجه الثانى، فإن الكتابين يعكسان روح ابن عربى بشكل متقارب، ويعبران عن رؤيته الخاصة، فلا يمكن مثلاً أن نتتبع تطور أفكار ابن عربى من **الفصوص** إلى **الفتوحات** أو العكس ، بل الفارق الأساسى بين الكتابين هو تفصيل **الفتوحات** وإجمال **الفصوص** لأفكار ابن عربى . فهو فى **الفصوص** يوجز القول فيما أسهب فى تفصيله بالفتوحات، وتلك ظاهرة متكررة فى مؤلفات المسلمين ، ويضيق المجال هنا عن استعراض أمثلتها الكثيرة .. ومن هنا يصعب قبول فكرة أن **الفتوحات** تمهيد **الفصوص** . وثمة وجهٌ آخر يقدح فى رأى الدكتور عفيفى، وهو طبيعة عملية التأليف عند ابن عربى، فالشيخ الأكبر لم يكن على هذا النحو من العقلانية والمنطقية فى جهده التأليفى ، بل كان يكتب بحسب ما تفيض به نفسه ويتوجَّه إليه قلبه – ناهيك عما يذكره فى الكتابين من أنهما كُتبا بمدد إلهى[2] – وفى هذه الحالة يصعب القول أن ابن عربى كان يسير بنوع من **القَصْدية** التى تجعله يمهِّد لكتاب **الفصوص** بموسوعة صوفية هائلة كالفتوحات.

وتعدُّ **الفتوحات المكية** من أشهر النصوص الصوفية فى الإسلام، بل لعلها

---

(١) انظر نماذج مخطوطات **الفتوحات** التى قدمها **د عثمان يحيى** فى مقدمة تحقيقه للفتوحات (الهيئة العامة للكتاب – السفر الأول) وتوجد النماذج نفسها – وعليها تاريخ الانتهاء من الكتاب – فى مقالة د . عفيفى السابقة ، ص ١٦٤.

(٢) يقول ابن عربى فى مقدمة **الفصوص** ما نصه : *أما بعد فإنى رأيت رسول الله ﷺ ، فى مبشرة أُريتها فى العشر الآخر من المحرم سنة ٦٢٧ بدمشق ، وبيده كتاب فقال : هذا كتاب فصوص الحكم ، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به . فقلت : السَّمْع والطاعة ..* وفى الفتوحات المكية الكثير من العبارات التى تشير إلى أن : *الحق تعالى ، يُملى لنا على لسان ملك الإلهام، جميع ما نسطره ..*

الأشهر على الإطلاق . وسبب تسميتها بهذا الاسم ، يفصح عنه ابن عربى قائلاً : *كنت نويت الحج والعمرة*[1] *، فلما وصلت إلى أم القرى – مكة– أقام الله سبحانه وتعالى فى خاطرى ، أن أعرف الولى بفنونٍ من المعارف عند تطوافى فى بيته المكرّم .*

وهناك عبارات كثيرة فى **الفتوحات** تشير إلى أن الشيخ الأكبر كان يكتب فتوحاته بإلهام إلهى ، لا عن تقليد للغير أو تفكير شخصى. يقول ابن عربى فى الباب ٤٨ : *إعلمْ أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ، ولا عن نظر فكرى، وإنما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره، وقد نذكر كلاماً بين كلامين ، لا تعلُّق له بما قبله، ولا بما بعده، وذلك شبيه بقوله سبحانه وتعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ بين آيات طلاقٍ ونكاحٍ وعدّةٍ ووفاء* . ويقول فى الباب ٣٦٧ : *وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد إلا للشارع ﷺ* . ويقول فى الباب ٣٦٥ : *وإعلم أن جميع ما أتكلّم به فى مجالسى وتصانيفى إنما هو حضرة القرآن وخزائنه، فإننى أُعطيت مفاتيح الفهم والإمداد منه، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه* . ويقول فى الباب ٣٦٦ : *إن جميع ما أكتب فى تآليفى ليس عن روِّية ، وإنما هو نفثٌ فى روعى على يد ملك الإلهام* . ويقول فى الباب ٣٧٣ : *جميع ما كتبته وأكتبه فى هذا الكتاب ، إنما من إملاءٍ إلهى وإلقاء ربانى، أو نفثٍ روحانى فى روح كيانى ، كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم، لا بحكم الاستقلال ..*

---

(١) بدأ ابن عربى رحلته المكية سنة ٥٩٨ هجرية، وظل يكتب **الفتوحات** خلال ثمانٍ وثلاثين سنة.

تقع **الفتوحات** في ٣٧ سفراً ، بحسب نسخة **قونية** التي خطَّها ابن عربي بيده سنة ٦٣٦ هجرية . وقد طُبعت في مصر مرتين ، الأولى سنة ١٢٩٣ هجرية، والأخرى سنة ١٣٢٩ هجرية .. ومنذ سنوات ، قرابة عشرين، بدأ الدكتور عثمان يحيى تحقيق **الفتوحات المكية** في أسفارٍ صدر منها حتى اليوم ١٧ سفراً ، ولا يُتوقَّع اكتمالها خلال عشرين سنة قادمة !

يقول الدكتور عفيفي : ***يكاد من المستحيل وصف كتاب الفتوحات من حيث مادته بأكثر من أنه موسوعة ضخمة في العلوم الدينية والتصوف وعلوم الأوائل . وهو عرض شامل للثقافة الدينية ، والناظرون في هذا المنجم الفني الحافل يستخلصون الكثير مما أودع فيه من ثمين العناصر ، كلٌّ بحسب منزعه ومشربه***[1] .. ويقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني : ***إعلمْ يا أخي أنني طالعتُ من كتب القوم مالا أحصيه، وما وجدتُ كتاباً أجمع لكلام أهل الطريق، من كتاب الفتوحات المكية***[2] .. وفي وصف **الفتوحات** مالاحصر له من عبارات التبجيل التي قالها الصوفية المتأخرون عن ابن عربي[3] .

وقد قامت عدة أعمال صوفية حول **الفتوحات** .. فقد اختصرها الشعراني في كتابٍ بعنوان **لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية**[4] ثم اختصر المختصر مرة ثانية ، وجعله في كتابٍ بعنوان **الكبريت**

---

(١) د. عفيفي : الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي ، ص ١٦٥.

(٢) الشعراني : الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر ، المقدمة.

(٣) انظر قائمة المؤلفات التي انتصرت لابن عربي ، في مقالة عباس عزاوي : ابن عربي .. ص ١٤٧.

(٤) توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية (رقم ١٤٦ مجاميع / تصوف) بعنوان: سواطع الأنوار القدسية فيما صدرت به الفتوحات المكية

الأحمر من علوم الشيخ الأكبر ونسج عبد القادر **بن قضيب البان** على منوالها كتاباً بعنوان **الفتوحات المدنية** وهو كتابٌ مدحه شيخ الإسلام ابن زكريا بقوله (من الطويل) :

فُتوحَاتُ شَيْخِي غَادَةٌ مَدَنِيَّةٌ
كَسَتْهَا نَفِيسَاتُ العُلُومِ مَلاَبِسَا
فَلاَ عَجَبٍ لَوْ تَشْتَهِيهَا نُفُوسُنَا
وأَبْحَاثُهَا أَبْدَتْ إِلَيْنَا نَفَائِسَا
فَلِلّهِ دَرُّ الشَّيْخِ ، أَكْبَرِ عَصْرِهِ
بِأَنْفَاسِهِ لاَزَالَ يُحْيِي المجَالِسَا(١)

كما ظهر أثر ابن عربى جلياً فى التراث الشعرى الرائع الذى استلهمه شعراءُ الفرس والترك من **الفتوحات** وغيرها من أعمال الشيخ الأكبر(٢) .. وإن كانت **الفتوحات** لم تحظ بهذا القدر من الشروح التى وضعها الصوفية والمتصوفة على **الفصوص** نظراً لضخامتها ، إلا أنها حظيت ببعض الجهود الصوفية الشارحة، كما ظهر من دراسة للصوفى الفرنسى المسلم المعاصر : ميشيل شودكيفيتش(٣) .. الذى قام بترجمة أجزاء كبيرة من الفتوحات إلى الفرنسية .

بَابُ الأَسْرَارِ

تتألّف الفتوحات المكية من ٥٦٠ باباً، والباب الأخير منها يبدو كملحق

---

(١) المحبى : تاريخ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر (القاهرة ١٢٨٢ هجرية) ٣/ ٤٦٥.

(٢) د. عفيفى : ابن عربى فى دراساتى (الكتاب التذكارى) ص ٢٥.

(٣) Michel Chodkiewicz : The Futuhat Makkiyy and ther Commentators.

هذه الموسوعة الصوفية ، فهو عبارة عن مجموعة وصايا للمريد ، قد لاتتصل ببقية الأبواب اتصالاً مباشراً، وقد طُبع هذا الباب طبعة مستقلة مؤخراً بعنوان **الوصايا**[1] .

أما من حيث الوحدة العضوية لأبواب **الفتوحات** فالباب ٥٥٩ هو ختام تلك الأبواب . وقد جعله ابن عربى بعنوان **فى معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة**[2] ، وقال فى مقدمته[3] : ***إن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، هو الباب الجامع لفنون الأنوار الساطعة، والبروق اللامعة ، والأحوال الحاكمة، والمقامات الراسخة ، والمعارف اللدنية، والعلوم الإلهية ، والمنازل المشهودة، والمعاملات الأقدسية ، والأذكار المنتجة ، والمخاطبات المبهجة، والنفثات الروحية، والقابلات الروعية ، وكل ما يعطيه الكشف ، ويشهد له الحق الصرف ضمِّنتْ هذا الباب ، جميع ما يتعلق بأبواب هذا الكتاب*** وهكذا يشير لنا ابن عربى بأن هذا الباب التاسع والخمسين وخمسمائة - الذى عُرف بباب الأسرار - هو خلاصة الفتوحات .

وهذا الجزء من الفتوحات ، أو خلاصتها ، يعدُّ من وجهة النظر الصوفية اية من آيات البيان الصوفى الرائع ، وهو يبلغ فى النضج التعبيرى درجة لايكاد يلحق بها نصٌّ صوفيٌّ آخر .. وقد تركَّزت فيه خصائص كتابات ابن عربى على نحوٍ لامثيل له، مما يجعلنا نتوقَّف بعض الشئ عند تلك الخصائص

* أول ما يظهر من خصائص التعبير الصوفى فى **باب الأسرار** هو طابع الرمزيه والإيجاز اللفظى الشديد .. فعلى سبيل المثال، حين يريد ابن عربى أن

---

(١) نشرته مؤسسة الأعلمى ببيروت

(٢) ابن عربى ' الفتوحات المكية (دار الكتب العربية) ٤/ ٣٢٦.

(٣) المصدر السابق . ص ٣٢٧

يصوِّر حال الصوفى الذى يقبل على ربه، وكيف يفارق هذا الصوفى الدنيا بهمَّته، فلا يصير له مطلب إلا الله. يرمز لهذا الإقبال على الله، بطرق الباب . ويرمز لتخلية النفس عن شواغل الدنيا ، بالفراق .. فيقول : **الطارقُ مُفارقٌ !**

* والخاصية الثانية تقوم على الأولى ، إذ أن اتصاف نصٌ ابن عربى بهذا القدر من الإيجاز والرمزية ، يجعله أهلاً لما حصر له من تأويلات ومضامين تنتجها المستويات المتعدِّدة لقراءة النص . فهى كتابةٌ تحمل ما لاحصر له من أوجهٍ ومعانٍ ، وبإمكان القارئ للنصِّ الذى سنقرأه بعد قليل ، أن يلاحظ – على سبيل المثال – تلك المستويات الدلالية والتأويلات التى علّقنا بها على قول الشيخ الأكبر : **نزول الحمام يقيِّد الأقدام !**

* كما يكشف النص الصوفى فى **باب الأسرار** عن طريقة ابن عربى الخاصة فى التضمين، فهو يمزج كلامه بالألفاظ القرآنية بطريقة مثيرة، تجعل المطالع يتردَّد بقوة بين المراد القرآنى الذى تحتِّمه دلالة السياق فى الآيات، وبين مراد ابن عربى حين وضع ألفاظ الآيات فى سياقه المبتكر . وهذه الخاصية تظهر فى نصوص ابن عربى بشكل عام، لكنها لاتبدو بمثل هذا القدر من مهارة التضمين وبلاغة التركيب اللذين نراهما فى هذا الباب من الفتوحات .

* كما تظهر خاصية قريبة من السابقة، لكنها تعتمد على النقول الصوفية، حيث نرى فى الباب استخداماً بارعاً لعبارات الصوفية السابقين على الشيخ الأكبر ، فهو يضمها إلى كلامه بنوع فريد من **التناص** الذى تتخذ فيه العبارات الصوفية المأثورة، دلالة تختلف ، وقد تكون أعمق ، مما كان يريده قائلها الأول .. ويمكن الرجوع ، كمثال لذلك ، إلى توجيه ابن عربى الباهر لعبارة شيخه أبى مدين: **المريد مَنْ يجد فى القرآن ما يريد .**

* وفى إطار الخصائص السابقة ، تظهر فى نصوص الباب سمةٌ أسلوبية وبلاغية مميزة ، هى الولع بالجناس فنجد ابن عربى ينظم إشاراته فى عبارات سجعيةٍ جرسيَّةِ الإيقاع، فيقول **صلصلة الجرس ، عين حمحة الفرس** ولنا على هذا القول تعليقٌ وتأويل ، اثبتناه فى هوامش التحقيق.

* وخاصية أسلوبية أخرى ، تتمثل فى سعى ابن عربى إلى اللغة ذات البكارة. فهو ينفض عن اللفظ كل التراكمات الدلالية السابقة عليه، ويرجع إلى الجذور الاشتقاقية للألفاظ، ليعيد تركيبها فى إطارٍ جديد يتفجَّر فيه اللفظُ المستخدم بدلالات جديدة ، ومفتتحاً مرحلة جديدة من المراحل التى تطوَّرت خلالها اللغة الصوفية[1] .

* وفى الألفاظ أيضاً، تظهر خاصيةٌ فريدة لانجدها قبل ابن عربى. هى شغفة باستغلال المعانى ذات اللفظ الواحد، وهى ظاهرة تُعرف عند المشتغلين باللغة بـ : **ما يتفق لفظه ويختلف معناه** . لكن ابن عربى، الذى يرجع للجذور اللفظية ، استطاع أن يستخدم هذه العملية بشكل فريد، وبأمثلة لانراها عند غيره .. فمن ذلك استغلاله لتشابه ألفاظ (الحروب / المحاريب) و (الضرر / الضرة) وغير ذلك .

* كما يكشف النصُّ عن خاصية شهيرة فى أسلوب ابن عربى، وهى الإستخدام المتكرر لقضايا علم الكلام والفلسفة والفقه. وهو استخدام خاص يقوم فيه ابن عربى بتفريغ القضية من مفاهيمها السابقة ، ويتوجه بها نحو مفهوم جديد يخدم مراميه .

---

(١) بخصوص اللغة الصوفية وتطورها ، انظر كتابنا

المتواليات : دراسات فى التصوف (الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ١٩٩٨) .

.. تلك هى أهم خصائص لغة ابن عربى كما ظهرت لنا فى عبارات الباب ٥٥٩ من كتابه **الفتوحات** وهو الباب ، كان موضوع شرح عبد الكريم الجيلى .

الجيلــى

لن نُسرف هنا فى الحديث عن الجيلى ، فقد سبق لنا إصدار كتابين عنه، الأول كان يترجم له ويستعرض لطائف من تصوفه، وجعلناه بعنوان **عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية**[1] والآخر يتناول فكره الصوفى مقارناً بابن عربى والسهروردى وابن سبعين وابن الفارض، وكان بعنوان **الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى**[2] .. لذا ، سنوجز القول هنا ، ونكتفى بتعريفٍ موجز للرجل وأعماله.

هو **قطبُ الدين عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى** ولد أول محرم سنة ٧٦٧ هجرية ببغداد ، ورحل إلى فارس والهند والجزيرة العربية ومصر وفلسطين، ثم استقر فى بلاد اليمن حتى وفاته بمدينة **زَبيد** سنة **٨٢٦** هجرية .

وفى بلاد اليمن التقى الجيلى بأفراد مدرسة صوفية كبيرة ، على رأسها شيخه **شرف الدين الجبرتى** المتوفى ٨٠٦ هجرية ، وقد تعلّق الجيلى بهذا الشيخ على نحو قريب من تعلّق ابن عربى بأبى مدين، فذكره كثيراً فى كتبه، و لم يقل عن شخص آخر أنه **شيخه** .. وقد ألّف الجيلى قصائد عديدة فى مدح شرف الدين الجبرتى .

---

(١) صدرت طبعته الأولى ضمن سلسلة **أعلام العرب** عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٩٨٨) وأعيد طبع فى بيروت .

(٢) صدرت طبعته الثانية ضمن سلسلة **تراثنا** (دار الأمين ١٩٩٨) .

ويهمنا هنا أن نلفت النظر إلى ذلك الخلط الذى يقع دائماً بين عبد الكريم الجيلى ، والإمام عبد القادر الجيلانى .. فمع أن كلاهما يُعرف بالجيلى والجيلانى ، إلا أن الإمام عبد القادر سابقٌ على الجيلى بقرنين من الزمان أو أكثر ، فقد توفى ببغداد سنة ٥٦١ هجرية . ولكى نخرج من هذا التشابه بين الرجلين فى المشرب واللقب ، اعتدنا أن نشير إلى الإمام عبد القادر بلقب **الجيلانى** وإلى عبد الكريم بلقب **الجيلى** حيث أن الأول يُنسب إلى **جيلان** نفسها، أما عبد الكريم فينسب لأهلها الذين أقاموا ببغداد، وقد جرت عادة المؤرِّخين بإطلاق لقب **جيلانى** على مَنْ هو منتسب لجيلان، وإطلاق لقب **جيلى** على مَنْ ينسب لأهلها .. وكان من لطائف المقادير أن كلا الرجلين صار موضوعاً لرسالتىَّ الجامعيتين ؛ فكان الجيلى موضوع بحثى للماجستير، وكان الجيلانى موضوع بحثى للدكتوراه !

ترك عبد الكريم الجيلى قرابة الثلاثين كتاباً ورسالة ، إلى جانب قدر كبير من القصائد الصوفية التى نأمل قريباً فى جمعها بديوان واحد .. وأهم كتبه وأكثرها شهرةً وتداولاً هو **الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر** وهو كتابٌ فى جزئين ، حاول الجيلى أن يجعل منه دائرة معارف صوفية فلسفية، وأضفى عليه منهجيةً فى عرض الموضوعات - وهى سمة لانجدها فى فتوحات ابن عربى - وزوَّده بتعريف دقيق للمصطلحات .. لكن الكتاب امتاز أيضاً برمزية ثقيلة ، ومبهمات لفظية ، مما لايجعل قراءته عملاً سهلاً .

وأضخم كتب الجيلى من حيث الحجم هو **القاموس الأعظم والناموس الأقدم فى معرفة قَدْر النبى ﷺ** وهو يقع فى أربعة وأربعين جزءاً، معظمها اليوم مفقود ، والباقى لايزال مخطوطاً، ومن أجزاء هذا الكتاب :

* **لوامع البرق الموهن.**

* روضات الواعظين.

* قاب قوسين وملتقى الناموسين.

* لسان القدر بنسيم السَّحَر.

* سرُّ النور المتمكّن فى معنى قوله ﴿المؤمن مرآة أخيه﴾

* شمسٌ ظهرت لبدر.

ومن وراء ذلك، للجيلى مجموعة مؤلفات أخرى متنوعة الأحجام والقيمة، وكلها – كمؤلفات ابن عربى– مقصورة على التصوف دون غيره من العلوم والفنون.. ومن تلك التآليف : *الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم ، المناظر الإلهية، غُنية أرباب السماع وكَشْف القناع عن وجوه الاستماع، إنسان عين الجود، كشف الستور عن مُخْدرات النور، مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب ، أمهات المعارف وجنة المريد والعارف ، المملكة الربانية المودعة فى النشأة الإنسانية، بحر الحدوث والقدم وموجد الوجود والعدم، عيون الحقائق فى كل ما يحمل من علم الطرائق ، حقيقة الحقائق التى هى للحق من وجه ومن وجه للخلائق* .. وقد وردت إشارات إلى بعض هذه الكتب فى شرح الجيلى للفتوحات .

شَرْحُ الفُتُوحَاتِ

فى التراث العربى أشكالٌ متنوعة من الشروح ، فهناك الشرح على طريقة (قال .. أقول) وهو يعتمد على إيراد العبارة الأولى من الفقرة المشروحة ، مسبوقة بلفظ **قال** ثم بيانها وشرحها ، مسبوقاً بلفظ **أقول** وهى طريقة تجعل

النص الشارح لاينقل النص المشروح بكامله. وهناك شرح **الفقرة** الذى يعمد فيه الشارح إلى الإشارة إلى الفقرات الأصلية بعبارة مثل **قوله .. إلى قوله ..** دون أن يذكر نصَّ الفقرات التى يشرحها ، وهى طريقة لاتستخدم إلى فى شروح النصوص فائقة الشهرة ، مما لا يحتاج معه لإيراد النص المشروح ؛ أو النصوص ذات الحجم الكبير ، مما يعسر معه إيراد المشروح. وهناك **الشرح الممزوج** الذى يورد فيه الشارح كلمات النص الأصلى داخل فقرات الشرح، وهى طريقة لاتصلح فى الغالب إلا عند شرح النصوص الصغيرة الحجم .. وأياً ما كان من شكل الشرح، فالغالب على الشروح ، هو شعور الشارح بأنه أقل منزلة من المؤلف ، أو هو منه بمرتبة التلميذ والتابع ؛ وهى مسألة ضمنية لا تذكرها الشروح، بل تظهر بين ثناياها بشكل أو بآخر .. هذه المسألة ، لاتظهر عند الجيلى !

أراد الجيلى أن يشرح **الفتوحات** التى وصفها فى مقدمة شرحه بأنها : ***أعظم الكتب المصنفة فى هذا العلم – التصوف– نفعاً ، وأكثرها لعجائبه جمعاً، وأجلُّها إحاطةً ووسعاً..*** لكنه لاحظ أن ابن عربى : ***لم يزل يتكلم فى هذا الكتاب عن حقائق الأشياء ، حتى آل به الأمر إلى الإسهاب والإطناب*** .. *ثم لاحظ أن ابن عربى :* ***صرَّح بأنه جمع معانى العلوم المبسوطة فى الكتاب، وجعلها مرموزة فى الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة..*** فعمد إلى هذا الباب ، قاصداً بشرحه : ***حَلّ جميع مشكلات الكتاب*** ..

و لم يعتبر الجيلى نفسه مجرد شارح للكتاب، و لم يَر فى نفسه أقل من ابن عربى ، فهو أولاً وأخيراً يريد – بنص قوله– أن : ***يمنح عباد الله شرباً من عباب المعارف ، ويظهر لهم حلاوة العلم بترتيب الحكمة والآلاء والعوارف*** .. لهذا لم يجد الجيلى حَرَجاً فى مخالفة آراء بن عربى، وفى انتقاد ما ذهب إليه

الشيخ الأكبر ، وفى وصف صاحب الفتوحات بأنه **سها** عن بعض الحقائق التى يذكرها هو فى شرحه .. بل إن الأمر وصل بالجيلى لدرجة توجيه مقاصد ابن عربى وألفاظه ، إلى حيث يرى هو ويريد !

وهكذا يضعنا شرح الجيلى أمام اثنين من كبار الأولياء ، كلاهما يشعر بتفرده واستقلاله، وكلاهما يرى فى نفسه **الإنسان الكامل** فى عصره ، هى المرتبة القصوى فى الطريق الصوفى .. خاصةً أن الجيلى كتب هذا الشرح –كما سنرى – بعد أن قطع شوطاً طويلاً فى طريق الولاية، ونضج فى التأليف الصوفى؛ فالشرح ، ليس من مؤلفاته المبكرة ، بل هو من أواخر أعماله.

ونظراً لشعور الجيلى بالاستقلال أمام ابن عربى – وهو استقلالٌ فى الحقيقة: غير تام– فهو لم يتلوَّن فى شرحه بألوان ابن عربى، كما نرى مثلاً عند **النابلسى** حين يشرح آثار السابقين عليه، بل يسير الجيلى فى الشرح بحسب آرائه هو، ويخالف أحياناً آراء ابن عربى ، ويصحِّحها ! ولذا نراه يقول فى بعض المواضع أنه : ***رَمَزَ فى هذه النبذة جميع ما صرَّح به الشيخ*** ! مع أن المفروض أنه يشرح ويصرِّح بجميع ما رمز إليه الشيخ (الأكبر) وليس العكس .. وهو فى شرحه يقلِّب وجوه العبارات ، فنراه يطرح وجهاً معيناً، ثم يقول : ***وإن شئتَ قلت***.. ويقدِّم وجهاً آخر . وهكذا، يحاول الجيلى تقصِّى سائر المعانى الكامنة فى كلام ابن عربى ، بأسلوب شديد التركيز .

ولم يلتزم الجيلى بالنص الشعرى فى شرحه ، فنراه يغض البصر عن بعض الأشعار التى يضعها ابن عربى بين السطور ، اللهم إلا إذا وجد فيها ما يستحق التوقُّف .. وأخيراً : فقد أراد الجيلى بهذا الكتاب (الشرح) استعراض النظريات الكامنة خلف النصوص ؛ ولذلك ، فهو لم يقف عند لفظ ابن عربى الظاهر، بل غاص وراء الأفكار الصوفية التى عبَّرت عنها ألفاظه .

ولايوجد أدنى شك فى نسبة هذا الشرح للجيلى ، فهو فياضٌ بأسلوبه المميز، وبين سطوره العديد من الإشارات إلى كتب الجيلى الأخرى. ومن تلك الإشارات يمكن البحث فى تاريخ تأليف الجيلى لهذا الشرح، وهو تاريخ يصعب تحديده بدقة، لكنه بالقطع كان إبان السنوات الأخيرة من حياة الجيلى .. إذ أنه انتهى من تأليف كتابه (الكمالات الإلهية) سنة ٨٠٥ هجرية، ثم ألَّف (القاموس الأعظم) بعده، وهو يشير إلى الكتاب الأخير فى شرح الفتوحات – كما يشير لغيره – مما يؤكد أن شرح الفتوحات من مؤلفاته المتأخرة .

المُقتطَفَاتُ

لم يشرح الجيلى الباب ٥٥٩ من الفتوحات كاملاً ، واقتصر على شرح الأبواب العشرة الأولى من **باب الأبواب** .. أو **باب الأسرار** . ربما لأنه وجد ذلك كافياً للحديث عن روح أفكار ابن عربى ونظرياته المهمة كلها، بصرف النظر عن التقيُّد الدقيق بالألفاظ ، كما أسلفنا.

لكننا وجدنا فى بقية الباب آيات من البيان الصوفى والأدبى، فعزَّ علينا أن نُهمل تلك البقية .. لهذا ، اخترنا مقتطفات من الباب ، وأردفنا بها تحقيقنا لشرح الجيلى، بعد تزويدها بالمناسب من التعليقات والهوامش المفسِّرة لها. وقد اعتمدنا فى تقديم المقتطفات على طبعة (دار الكتب العربية) للفتوحات، لأنها الأقرب إلى النص الأصلى الذى خطه ابن عربى بيده .. وهذه (المقتطفات) تقف بنا أمام نصوص ابن عربى، بعيداً عن شرح الجيلى، وتُظهرنا فى الوقت ذاته على أن هذا الشرح قد حلَّق بالفعل فى سماء **روح الفتوحات** وكشف عن أفكار الشيخ الأكبر الأساسية .. وهى أخيراً تجعلنا نتأمَّل ذلك النص الصوفى الأدبى الرائع .

ولعل معترضاً يقول : وما الداعي لاقتطاف فقرات من كتاب منشور قبل ذلك، ويُعاد اليوم نشره – على يد الدكتور عثمان يحيى– مُحققاً ؟ ولهذا المعترض نقول : إن طبعة الفتوحات القديمة هي طبعة غير متاحة للكثيرين ، ومليئة بما تمتلئ به الطبعات القديمة من إسقاط لبعض النقاط والهمزات ، مما يجعل قراءتها على الوجه الصحيح عسيرةً .. ناهيك عن أن تلك الطبعة غير محققة ولا مزودة بهوامش وتعليقات ، وهذا ما فعلناه هنا .

أما تحقيق الدكتور عثمان يحيى للفتوحات ، فقد بدأ منذ أكثر من عشرين سنة، و لم يصدر منه إلى اليوم إلا سبعة عشر سفراً من جملة الأسفار السبعة والثلاثين للكتاب . والباب ٥٥٩ يقع في السفر الأخير ، فإذا انتظرنا خروجه مُحَقَّقاً كالأسفار السابقة ، وبنفس التمهُّل في الإخراج ، فهذا يعني أن ننتظر قرابة نصف قرن .. ناهيك عن ذلك (الإنهاك التحقيقي) الذى يظهر في الأسفار التى صدرت أخيراً محقَّقة ، حيث اقتصر التحقيق على ذكر اختلافات المخطوطات، دونما جهود تحقيقية تخص تلك المصطلحات والمعاني والأفكار التى تحتشد بالكتاب .

* * *

ولما سبق ، عمدنا إلى القطف من **باب الأسرار** فأصلحنا النصوص ، وحقَّقناها ، وعلَّقنا عليها . لتكون (المقتطفات) التى تركها الجليبى دون شرح، خاتمةً وملحقاً لشرحه .. ولتكون –وهذا هو الأهم– باباً للدخول إلى عالم ابن عربى، دخولاً متفرِّداً.

مَنْهَـجُ التّحَقِيـقِ

فى الخطوات التى اتبعناها لإخراج هذا النص محقَّقاً، لم نخرج عما هو متعارف عليه من قواعد الإخراج العلمى للتراث المخطوط ، وهى قواعد طالما التزمنا بها فى تحقيقاتنا السابقة[1] ، ويمكن إجمال خطواتها فى النقاط التالية :

أولاً : حصر المخطوطات

كانت أولى خطوات التحقيق تتمثل فى محاولة حصر أكبر عدد من مخطوطات شرح الجيلى على الفتوحات . وقد أدهشنا آنذاك ، أن كارل بروكلمان لم يذكر هذا الشرح إطلاقاً ضمن كتب الجيلى، وبالتالى ، لم ترشدنا موسوعته إلى أية مخطوطات له[2] .. ولما واصلنا التنقيب فى فهارس المكتبات الخطية ، استطعنا أن نتعرف على هذه المجموعة من مخطوطات شرح الفتوحات:

١- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٠/ تصوف، عام .

٢- مخطوطة در الكتب المصرية ، رقم ٢٧١ / تصوف ، عام.

٣- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٦٥٥/ تصوف، عام.

٤- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٣١/ مجاميع.

٥- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ١٤١٦/ تصوف ، طلعت.

٦- مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٧٣٣/ تصوف ، طلعت.

٧- مخطوطة المكتب الهندى India Office بلندن ، رقم ٧١ Arabic[3] .

---

(١) انظر تحقيقاتنا للنصوص التراثية ، ضمن قائمة الأعمال المنشورة بآخر الكتاب .

(٢) راجع :

K.Brockelmann : Geschichte der Arabichen Litteratur, Supplement band (Lieden 1938) IIp. 284.

(٣) بمطالعة هذه المخطوطة ، تبينَّ أنها غير كاملة، ولاتحتوى إلا على النصف الأول من شرح الجيلى.

٨- مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد) رقم ٩١١٨/ تصوف.

٩- مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد) رقم ١٦/ تصوف.

١٠- مخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية ، رقم ٢١٨ / تصوف.

١١- مخطوطة المعهد الأحمدى بطنطا ، رقم ٣٢/ خصوصية - تصوف.

ولا نزعم هنا أننا حصرنا جميع مخطوطات الكتاب، فلا شك أن هناك قدراً آخر لايزال متناثراً بمكتبات العالم المختلفة، إذ يبدو أن النُّسَّاخ قد اهتموا منذ عصر الجيلى بنسخ هذا الكتاب وتداوله، نظراً لأنه يجمع بين اثنين من أكبر رجال التصوف فى الإسلام ، هو ما يؤكده وجودُ ست مخطوطات من **شرح مشكلات الفتوحات** فى دار الكتب المصرية وحلها .. المهم ، أننا فى هذه القائمة من المخطوطات ، اعتمدنا فى التحقيق على النسخ الثلاث الأخيرة. بالإضافة إلى طبعة الفتوحات المكية نفسها ، وهى الطبعة التى أصدرتها (دار الكتب العربية) سنة ١٣٢٩ هجرية.

ثانياً : وصف نسخ التحقيق

المخطوطات الثلاث التى اعتمدنا عليها فى إخراج النص ، لم تنسخ إحداها عن الأخرى، فهى متفاوتة من حيث أخطاء النُّسَّاخ، ومتباعدة من حيث أماكن حفظها. وبذلك ، لم يكن من الممكن أن نرسم **شجرة نَسَب** للمخطوطات التى بين أيدينا ، بحيث نعتبر واحدة منها المخطوطة **الأم** والباقى مخطوطات ثانوية[1] .. ومع ذلك فالمخطوطات متفاوتة القيمة ، كما سيبدو من

---

(١) المخطوطة الأم ، هى تلك التى يكون المؤلف قد كتبها بيده، أو أملاها على بعض تلاميذه .. ثم صارت أصلاً ينقل عنه النُّسَّاخُ اللاحقون .

هذا الوصف .

مخطوطة (أ)

وهى نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٢١٨/ تصوف. نسخة غير مؤرَّخة ، كُتبت بقلم معتاد ، مقروءة تماماً، جيدة . وتضم شرح الفتوحات ، إلى جانب نقول ومقتطفات نثرية وشعرية من كتب الجيلى الأخرى، ويتلو ذلك كتاب : الأجوبة اللائقة على الأسئلة الفائقة ، لابن عربى.

ويقع شرح الجيلى فى هذه المجموعة الخطية فى ٩٣ صفحة من القطع المتوسط، مقاس الصفحة ٢٢×١٥ سم، تحتوى الصفحة على ١٩ سطراً ، يحتوى كل سطر منها على ٨ كلمات فى المتوسط. وقد كتب الناسخ عبارات الفتوحات المشروحة بحبر أحمر غامق، والشرح بحبر أسود .

وعلى الغلاف الخارجى كتب الناسخ : ***كتاب شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية للشيخ المحقق القطب الربانى سيدى عبد الكريم الجيلى قدس الله روحه، آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً*** .. كما تحمل صفحة الغلاف قراءة **محمد بن إبراهيم بن مصطفى باشا الجزايرلى** المؤرخة بسنة ١٣٧٨ هجرية.

وينتهى الشرح فى هذه المخطوطة بقوله : ***وقد تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً .. إلخ*** . وقد رمزنا للمخطوطة بحرف أ نظراً لوجودها بالإسكندرية ، وكذلك فعلنا بالنسبة للمخطوطات الأخرى

مخطوطة (هـ)

وهى نسخة الظاهرية رقم ١٦/تصوف . وهى ضمن مجموعة، غير مؤرّخة ، مكتوبة بخط معتاد ردئ ، مقروءة إلى حد ما ، أقل وضوحاً من سابقتها .. ويقع الشرح فى ٤٨ صفحة من الحجم الكبير، مقاس ٢٧× ١٧، تحتوى الصفحة الواحدة على ٢٧ سطراً، متوسط كلمات السطر ١٤ كلمة.

وغلاف النسخة يحمل العنوان التالى : ***كتاب شرح مشكلات الفتوحات للإمام الجيلى قدس الله سره*** .. وتنتهى المخطوطة بعبارة : ***شرحنا لك جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات ، والله الموفق لا رب غيره .. إلخ*** وعلى الصفحة الأخيرة وقف باسم **الحاج سليمان باشا** وختم الوقفية.

وقد كتب الناسخ عبارات الفتوحات بحبر أحمر فاتح، ثم كتب الشرح بحبر أسود غامق .. وهناك ورقة ساقطة من المخطوطة أثناء التجليد[1] .

مخطوطة (ط)

وهى نسخة معهد طنطا الأحمدى رقم ٣٢/ خصوصية ، تصوف . مجلدة، غير مؤرَّخة، كُتبت بقلم معتاد ، مقروءة فى معظم المواضع ، أوراقها صفراء غامقة. تقع فى ١٠٠ صفحة ، مقاس ٢٠×١٥ ، الصفحة ٢٠ سطراً ، بكل سطر ٨ كلمات .

وتحمل صفحة الغلاف ، العنوان التالى : ***هذا شرح مشكلات الفتوحات المكية لسيدى محيى الدين بن عربى نفعنا الله به آمين*** وبجانبه تصويب بقلم خفيف: ***قد ورد فى فهرس الكتبخانة الملوكية ، نسبة هذا الشرح إلى سيدى***

---

(١) توجد نسخة ميكروفيليمية من هذه المخطوطة ، بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

عبد الكريم الجيلي وتحته تقطيعٌ عروضي لبيت شعرى من بحر الكامل.. وأسفل الصفحة ختم : الكتبخانة الأحمدية .

وتنتهى المخطوطة فى صفحتها الأخيرة بعبارة : ***الباب العاشر من الفتوحات المكية، والله الموفق للصواب لا رب غيره، وقد تم الكتاب بحمد الله وعونه ومدد إمداد وليه ورسوله ونبيه .. إلخ*** وتحتها ختم الكتبخانة الأحمدية.

ثالثاً : المقابلة بين النسخ

المقابلة بين النسخ الخطية عمليةٌ مهمة لاستخراج النص المحقق خالياً من أغلاط النُّسَّاخ ، تلك الأغلاط التى تأتى من سهو كل ناسخ، أو تدخُّله فى النص بالتعديل وفقاً لما يراه هو ! وقد استفدنا عند المقابلة من سابق معرفتنا بأسلوب الجيلى فى مؤلفاته الأخرى، حتى يمكن اختيار اللفظ الصحيح عند اختلاف ألفاظ النسخ المخطوطة .

كما قارنا عبارات **الفتوحات** الواردة فى مخطوطات الشرح ، بنص الفتوحات الذى أصدرته دار **الكتب العربية** اعتماداً على نسخة الفتوحات التى كتبها ابن عربى بخط يده . وذلك حتى يمكن التأكد من سلامة النص المشروح، ومتابعة الشارح (الجيلى) اعتماداً على المؤلف **ابن عربى** وقد كانت هذه المقابلة الأخيرة مفيدة فى معرفة العبارات والأبيات الشعرية التى مرَّ عليها الجيلى من دون شرح، وقد أشرنا إليها فى مواضعها .

وأثناء المقابلة ، قمنا بالعمليات الآتية :

* استخراج النص سليماً من الأخطاء ، كأقرب ما يكون إلى ما كتبه المؤلِّف نفسه .

* تعديل الإملائيات وكتابتها بالأسلوب المعاصر، فالمخطوطات غالباً ما تكتب الهمزة ياءً ، ولا تراعى التنقيط .. وغير ذلك.

* وضع الفواصل والنقط وتقسيم الفقرات بشكل يسهِّل مطالعتها اليوم .. وسوف يلاحظ القارئ أن بعض فقرات ابن عربى قد وُضعت كالشعر المعاصر ، لأننا وجدناها بالفعل : شاعرية ومعاصرة !

* وضع عناوين جانبية للموضوعات التى تعرَّض لها الجيلى فى شرحه .. ومع أننا لا نحبُّ التدخل فى النص التراثى المحقق ، لكننا لم نجد بُدّاً من ذلك ، نظراً لشدة تركيز الشرح ، وانتقاله الدائم بين عدة موضوعات، مما يجعل ملاحقته عملية مجهدة للقارئ .. وقد جاءت العناوين المضافة من عندنا داخل أقواس معقوفة [ ] كى تتميَّز عن النص الأصلى .. وفى نفس الأقواس، ذكرنا البحور الشعرية الخاصة بالأبيات الواردة فى النص .

يضاف لما سبق ، أننا عند الطباعة وضعنا كلام ابن عربى ببنط مختلف عن بنط كتابة شرح الجيلى ، وذلك لمجرد التمييز بين النص الفتوحاتى وشرحه. إذ أن التمييز بينهما باستخدام لونين من الحبر -كما كان يفعل النُّسَّاخ قديماً- هو أمر غير متاح فى الطباعة الحديثة .

رابعاً : الهوامش والكَشَّافات

يشتمل النص المحقَّق على هوامش وكَشَّافات للتحقيق . أما الهوامش فهى تضم اختلافات النسخ والألفاظ التى استبعدناها من المتن حين اخترنا الأفضل، كما احتوى الهامشُ على تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة فى المتن، بالإضافة إلى التعريف بالأعلام المذكورين فيه .. وأخيراً ، يشتمل الهامش على ما لاحصر له من تعليقات ضرورية وتعريفات بالمصطلحات الصوفية .

أما كَشَّافات التحقيق ، فهى تشمل : كَشَّاف الآيات القرآنية - كَشَّاف الأحاديث الشريفة - كَشَّاف الأعلام- كَشَّاف المصطلحات - كَشَّاف القوافى .. و لم نَرَ داعياً لعمل مزيد من الكشافات ، ككشَّاف للمواضع، لعدم ورودها بوفرة فى النص المحقَّق .

خامساً : ملاحظات التحقيق

أثناء عملية المقابلة ، ظهرت لنا تلك الملاحظات فى نسخ التحقيق :

١- يبدو أن ناسخ المخطوطة ط كان مبتدئاً ، لاصبر له على النسخ. فهو كثير التحريف ، عجول فى وضع ما يراه صواباً ، من دون إمعان النظر فى سياق النص الذى ينسخه .

٢- ناسخ المخطوطة هـ هو أدق النُّسَّاخ الثلاثة ، فهو فى نسخته يدرك المراد بوعى ، ويستدرك على نفسه فى هوامش الصفحات، مما يدل على خبرته وأمانته فى النَّسْخ .

٣- كان أمر ناسخ المخطوط أ وسطاً .. فهو غير متعجل من جهة ، وغير دقيق من الجهة الأخرى . مما يجعل نسخته أقل جودة من النسخة هـ وأفضل من النسخة ط .

٤- فى أحيان قليلة ، تختلف عبارة **الفتوحات** بين الأصل المطبوع عن نسخة ابن عربى ، ومخطوطات شرح الجيلى . وهى اختلافات طفيفة، تؤكد أن الجيلى اعتمد فى شرحه للفتوحات ، على نسخة جيدة من الكتاب .

كتاب

شرح مشكلات الفتوحات
المكية وفتح الأبواب
المغلقات من العلوم اللدنية
للشيخ المحقق القطب
الرباني سيدي عبد
الكريم الجيلي
قدس الله روحه
آمين
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

مخطوطة أ

بلدية الإسكندرية رقم ٢١٨ / تصوف

الغـــلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإنه لما كان العلم بالله أعظم العلوم قدرا وأرفعها
لما أودع فيها من معاني وأجلها سرا إذ هو العلم اللازم والواجب
الدائم لحكمه في الأولى والأخرى وما سواه من العلوم
ينقطع حكمه بانصرام الدنيا وهو المقصود من معرفة
سائر العلوم وبه لا بغيره تحيا العقول والأرواح [illegible]
به من أهل الولاية الكبرى وكانت الرتبة من صفات
المجد والكمال تشهد للخلفاء الكمل الأدباء الأمناء وفيهم
قال الله إنما يخشى الله من عباده العلماء أردت
بإذن الله أن أشرح [illegible] شرحا من [illegible] سرا
العارف وأظهر من حلاوة العلم بترتيب الحكمة في الآلاء
والعوارف وكانت الفتوحات المكية التي أنشأها الولي
الأكبر والقطب الأعظم مظهر الصفة العلية ومجلى
الجلالات الغيبية والحكمة لسان الحقيقة وأستاذ
الطريقة الينبوع التابع للأنوار الربية محيي الدين
قدوة الأولياء المربي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد
ابن العربي الحاتمي الطائي المغربي الأندلسي قدس الله
سره وأعلى عنده شأنه وقدره أشمل الكتب المصنفة
في هذا العلم نفعا وأكثرها أسرارا وعجائب جما

مخطوطة أ

الصفحة الأولى

هذا موضع عجز للعقل حيث وجد بني من غير فرع
ترتيب الفهم لذلك والعقول من حيث اولها قاصر
عن ادراك هذا العلم الطويل غيبا الفهم بنبي وكونه
صلى الله عليه وسلم نبيا قبل وجود آدم وذريته مما لا يدركه
العقول لطول الطريقة الفهوم او توقفه من الادلة
فانهم قد شرحت للتصحيح ما حواه الباب العاشر
من الفتوحات المكية والله الموفق لا رب غيره
وقد تم الكتاب والحمد لله اولا
وآخرا ظاهرا وباطنا والله اعلم
بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله على
سيدنا ومولانا النبي
الامي وعلى آله
وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
دائما ابدا
الى يوم
الدين
ورضي الله تعالى عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن بقية الصحابة اجمعين

مخطوطة أ

الصفحة الأخيرة

كتاب شرح مشكلات
الفتوحات للإمام
الجيلي قدس الله
سره

مخطوطة هـ

الظاهرية (مكتبة الأسد) رقم ١٦/ تصوف

الغــلاف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فانه لما كان العلم بالله اعلى
العلوم قدرا وارفعها ذكرا وارفقها معنى واجلها سرا اذ هو الغرض
اللازم والواجب بالذات لحكم ماض في الاولى والاخرة وما سواه تابع
حكمه بانقراض الدنيا وهو المقصود من المعرفة بساير العلوم وبه لا بغيره
تفتخر العقول والفهوم والعلماء به هم اهل الولاية الكبرى والكمال الزائد
وهم افضل العلماء على الاطلاق بالتفصيل والاجمال واجمعهم لكل وصف محمود
من صفات المجد والكمال فهم الخلفاء الكملاء الادباء الامنا وفيهم قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء اردت بان اذن الله لي امنح عباد الله شيئا من
المعارف والمنطبق من حلاوة العلم بترتيب الكمال في الالاء والعوارف وكانت
الفتوحات المكية التي الفها الولي الكبير الاكبر والقطب الاعظم الاجل مظهر
الصفة العلمية ومجلى الكمالات العينية والكلية لسان الحقيقة وامام الطريقة
المتبوع التابع لاثار الشريعة محيي الدين قدوة الاولياء والمقربين ابو عبد الله
محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي المغربي الاندلسي قدس الله سره
اعلا غنية مقاصد واوفرها اعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعا واكثرها
لغرايبه وعجايبه جمعا واجلها احاطة ووسعا تكلم الشيخ فيه بالنسبة لكثرة
وافصح عن معان غريبة خطيرة فصرح تارة عن حالة ورمز اخرى عن حال
واضرب طورا عن مقصوده وادمج اخرى عن مراده في المقال ولم يزل رضي
الله عنه يتكلم في هذا الباب على حقايق الاشياء حتى آل به الامر الى الاسهاب
والاطناب فعسر عليه الاكثرين تحصيله وفات على الغالب معرفته وتاويله
وصار الناس فيه بين احد رجلين رجل محجوب لا يعرف ما اراد الشيخ من
كتاب الفتوحات من كنايات عجيبة واشارات غريبة وانقطع بالكلية عن
ذلك لعلمه لانه مختار عقل كل فاضل ولبيب عن حل مشكل من ذلك الشيء
الغريب لكنه رضي الله عنه صرح بانه جمع معاني العلوم المبسوطة في ذلك
الكتاب وجعلها مرموزة في الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من الابواب
والف ذلك المختصر وادمج ذلك العلم الكبير الكثير الكثير الغزير على وضعه العجيب
واسلوبه الغريب انغلق بالكلية فهو مع جعله في ذلك الباب على كثرة

مخطوطة هـ

الصفحة الأولى

شرحنا لك جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات والله الموفق
لا رب غيره والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وحسبنا الله ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم والحمد لله
رب العالمين

وقف [illegible] الحاج سليمان باشا

مخطوطة هـ

الصفحة الأخيرة



مخطوطة ط

المعهد الأحمدى بطنطا رقم ٣٢/ خصوصية

الغلاف

مخطوطة ط

الصفحة الأولى

الباب العاشر من الفتوحات المكية والله
الموفق للصواب
لا رب غيره ووفقه
تم الكتاب
بحمد
الله
وعونه
وحسن
امداده



مخطوطة ط

الصفحة الأخيرة

رمــوز التحقيـق

أ مخطوطة الإسكندرية (رقم ٢١٨ / تصوف) .

ط مخطوطة طنطا (رقم ٣٢ / خصوصية) .

هـ مخطوطة الظاهرية (رقم ١٦/ تصوف) .

ف طبعة الفتوحات (سنة ١٣٢٩ هجرية) .

– كلمة ساقطة .

+ كلمة زائدة .

∴ اتفاق الأصول الخطية على خطأ.

( ) اختلاف النسخ .

(*) التخريج والتعليقات.

[ ] العناوين الجانبية المضافة من المحقّق .

كتـــاب

شَرْحُ مُشْكِلاَتُ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ

(النصُّ المحقّـق)

المقــدمــةُ

أَرَدْتُ – بإذن الله – أَن أَمْنَحَ عِبادَ الله
شرباً مِنْ عُبابِ المعارف ..

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

أما بعد؛ فإنـه لما كـان العلم بـالله، أعظـم العلـوم قـدراً وأرفعهـا فخـراً وأدقها[2] معنىً وأجلها سرًّا، إذ هو الغرض اللازم والواجب الدائم[3] ، فحكمـه ماضٍ فى الأولى والأخرى[4] ؛ وما سواه من العلوم[5] ، ينقطع حكمـه بـانصرام الدنيا . وهو المقصود مـن معرفـة[6] سـائر العلـوم، وبـه لابغيره تفتخـر العقـول والفهـوم . والعلمـاء بـه، هـم أهـل الولايـة الكـبرى والمكانـة[7] الزُّلفـى، وهـم أفضـل[8] العلمـاء – علـى الإطـلاق[*] – بـالتفصيل والإجمـال، وأجمعهـم لكـل

---

(١) فى بداية النسخ المخطوطة :

أ : وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

هـ : وبه نستعين والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذى اصطفى.

ط : وبه ثقتى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله عدد أنعام الله وأفضاله .

(٢) هـ : وأرقها .

(٣) هـ : بالدائم .

(٤) هـ : والآخرة .

(٥) – هـ ، + ط .

(٦) هـ : المعرفة .

(٧) أ : ولمكانه .

(٨) العبارة التالية ساقطة من أ .

(*) نظر الصوفية إلى طريقهم إلى الله على أنه الطريق المثلى ، وأن علمهـم بـه – تعـالى – هـو أهـم العلوم ومنتهاها .. والملاحظ ، أن أصحاب كل علمٍ ، كانوا أيضاً يرفعون من قدره على سـائر العلوم بشكلٍ أو بآخر ! أما علوم الصوفية فهى رفيعة القدر نظراً لرفعـة مصدرهـا، وهـو الحـق سبحانه وتعالى .. باعتبارها علوماً إلهامية .

وصف محمود من صفات المجد والكمال . فهم الخلفاء(*) ، الكمـلاء ، الأدبـاء ، الأمناء؛ وفيهم قال الله(١) ﴿إنما يخشى الله مـن عبـاده العلمـاء﴾(**) . أردتُ - بإذن الله- أن أمنـح عبـاد الله شربـاً(٢) مـن عبـاب(٣) المعـارف، وأُظهـر لهـم(٤) حلاوة العلم بترتيب الحكمة فى الآلاء والعوارف .

وكانت الفتوحات المكيـة التى أَلَّفهـا الولىُّ الأكـبر(٥) والقطـب الأعظـم الأفخر(٦) ، مظهر الصفة العلمية ، ومجلى الكمالات العينية والحكمية(٧) ، لسـان الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع التـابع لآثـار(٨) الشـريعة : محيـى الديـن، قدامـة الأولياء المقرَّبين، أبو عبد الله محمد بن علىّ بن محمد(٩) بن العربى الحاتمى الطائى المغربى الأندلسى ، قدَّس الله سرَّه وأعلى(١٠) عنده مقامه وقدره؛ أعظم الكتـب المصنفة فى هذا العلم نفعاً ، وأكثرها لغرائبه وعجائبه(١١) جمعاً، وأجلُّهـا إحاطـةً

(*) يقصد خلافة النبوة ، كما ورد فى الحديث الشريف : ***العلماء ورثة الأنبياء*** .

(١) هـ : الله تعالى.

(**) سورة فاطر ، آية ٢٨.

(٢) هـ : شرابا .

(٣) - هـ ، أ : عباد.

(٤) أ ، ط : وأظهر من / هـ : والمظهر !

(٥) هـ : الكبير الأكبر.

(٦) - أ ، ط.

(٧) ط : والحكيمة / أ ، هـ : الحكمة.

(٨) أ : لآثار.

(٩) ط : أحمد.

(١٠) .: أعلا .

(١١) ط : وعجابته.

ووسعاً تكلّم فيها بألسنة كثيرة[١]، وأفصح[٢] عن معانٍ غريبةٍ خطيرة؛ فصرَّح تارةً عن حالة، ورمز أخرى عن حال. وأفصح طوراً عن مقصود، وأدمج أخرى عن مرادٍ في المقال.

و لم يزل، رضى الله عنه، يتكلّم فى هذا الكتاب[٣] على حقائق الأشياء، حتى آل به الأمر[٤] إلى الإسهاب والإطناب، فعسر على الأكثرين تحصيله، وفات عن[٥] الغالب معرفته وتأويله. وصار الناس فيه بين أحد رجلين: رجلٌ عجز عن تحصيل الكتاب[٦]، وعن انتوال[٧] الفائدة منه، وخاب.. ورجلٌ حصَّل، وعجز عن معرفة ما أراده الشيخ من كناياتٍ[٨] عجيبة وإشاراتٍ غريبة، فانقطع بالكلية عن درك علمه؛ لأنه يحتارُ عقلُ كل فاضلٍ ولبيبٍ، فى[٩] حلِّ مُشكل ذلك الرمز الغريب[١٠].

لكنه، رضى الله عنه، صرَّح بأنه جمع معانى العلوم المبسوطة فى ذلك الكتاب، وجعلها مرموزة فى الباب التاسع والخمسين[١١] بعد الخمسمائة من

---

(١) هـ: فيه بالنسبة كثرة.

(٢) أ: وأوضح، ط: وأوضع.

(٣) هـ: الباب.

(٤) – أ، ط.

(٥) أ: وعن، ط: وفات عن.

(٦) هذا الموضع مضطرب فى كل النسخ..

(٧) هـ: تناول.

(٨) هـ: كتاب الفتوحات من

(٩) .. عن

(١٠) مطموسة فى هـ، أ: من الغريب.

(١١) هـ: الخمسون.

الأبواب ، وكفَّ[1] ذلك النَّشْر[2] ، وأدمج ذلك العلم الكبير القدر، الكثير الفخر، على وضعه العجيب ، وأسلوبه العزيز الغريب، فانغلق[3] بالكلية فهْمُ ما جعله في ذلك الباب ، على كثيرٍ من أولي الألباب .

فقصدتُ بشرح هذا الباب المخصوص ، حلَّ جميع مشكلات الكتاب[4] . واختصرتُ في الكلام ، لئلا يفضي[5] إلى الإسهاب والإطناب ، وسميته: **شرح[6] مشكلات الفتوحات المكية ، وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية**. غير أني سأُتحفه تهذيباً ، وأجعله على أسلوب الكتاب ترتيباً ؛ ومن الله المرجو[7] أن يعمَّ به الإنتفاع، ويقدح بأسماعه زناد الأسماع، فيفهم معانيه كل مَنْ سمعه[8] أو نظر فيه.. إنه وليُّ الإجابة ، والموفّق للإصابة .

وهو المستعان وعليه التكلان .

---

(1) هـ : وألف .

(2) هـ : المنشر .. والنشر : الريح الطيبة.

(3) ∴ انغلق.

(4) هـ : مشكلاته .

(5) هـ : يطول .. وبقية العبارة ساقطة .

(6) هـ : بشرح.

(7) أ ، ط : المرجوا .

(8) أ : سمع.

البَــابُ الأَوَّلُ

نحنُ ؛ مَحَلُ انجِلاَءِ كُلِّ شيءٍ،
وَظُهُــورِهِ .

[أسرارٌ إلهيـة]

قال الإمام رضى الله عنه[1] : **الباب التاسع والخمسون بعد الخمسمائة، فى معرفة أسرار وحقائق من منازل مختلفة**[2] . أراد بالأسرار : اللطائف الإلهية التى أودعها فى ذوات الموجودات، فاختصَّ كل موجودٍ[3] بلطيفةٍ هى محتدُّه من كمال الحقِّ تعالى[4] ، بها يرجع إلى ربِّه؛ وهى الحاكمة على روحه وقلبه، ومن ثَمَّ قيل: بين العبد وربِّه سرٌّ لا يطَّلع عليه مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ[*] .

وسببُ ذلك، أن كُلَّ شئ من الموجودات مملوءٌ بما أودعه الله فيه من خصائصه، فليس فى شئٍ[5] فضلة يسع بها ما فى غيره[6] . فما لكل أحدٍ من الله، إلا ماهو عليه ذلك الشخص منه .. غير هذا لايكون ؛ ولكن قد يكون سرُّ بعض الأشخاص ذاتياً ، فيرجع إليه فى الحكْم ، جميعُ أسرار الموجودات[7] ؛ لضرورة رجوع الصفات إلى الذات، فيحوى كل ما[8] حواه الوجود، إجمالاً وتفصيلاً ، وليس له على التفصيل، إلا ماهو عليه عيناً ووجوداً .. فافهمْ .

وأراد بالحقائق : ما تقتضيه تلك الأسرار من الأوصاف والنِّسَب الإلهيـة[9]

---

(١) هـ : الشيخ ... ونفعنا بعلومه .

(٢) ف = الفتوحات المكية (طبعة دار الكتب العربية) المجلد الرابع ص ٢٢٦.

(٣) – هـ.

(٤) هـ : بين عباده .. وبقية العبارة ساقطة.

(*) ورد فى الحديث الشريف : *لى وقتٌ مع الله لايسعنى فيه ملكٌ مقربٌ ولا نبىٌّ مرسل.*

(٥) أ : فيه.

(٦) هـ : فى غير الله.

(٧) + أ .

(٨) أ ، ط : كلما.

(٩) أ ، ط : الالية

الحقيقية. وأراد بالمنازل : أطوار المراتب المختلفة ، لأنه لايمكن أن تجتمع(١) مخلوقات(٢) فى مرتبة من المراتب الإبداعية؛ هذا لايكون أبداً، لأن الله تعالى أوسع(٣) من أن يتجلَّى على عبدين(٤) بصفةٍ واحدة ، أو بصفةٍ على عبدٍ مرتين. فليس فى الوجود شيءٌ مكرَّرٌ ؛ بل كل شيءٍ له مرتبةٌ مخصوصةٌ به، وصفةٌ من صفات الله تعالى يرجع بها إليه، واسمٌ حاكمٌ له وعليه. ولولا ذلك لاختلطت الجزئيات ورجعت إلى الأمر الكُلِّى ، وانبهم(٥) الأمر التفصيلى، والتحق بعض الوجود ببعضٍ، فزال الضدُّ والنظير(٦) ، فاتحدَّ الماءُ بالنار، وبَطَلَ حُكْمُ التركيب(٧).. وليس هذا إلا فى البداية والنهاية(*) ، وأما فى البرزخ الفاصل بين الأزل والأبد(**) ، فلابد من رعاية ترتيب الحكمة الإلهية التى بها قامت الأحكام وتميَّز الكفر والإسلام وظهرت الربوبية والعبودية ، إلى غير ذلك من المراتب الخلْقية والمظاهر الحقِّية التى قصد الإمام –رضى الله عنه– أن يتكلَّم عليها فى هذا الباب .

---

(١) ∴ يجتمع .

(٢) ط : مخلوقاً .

(٣) – أ ، ط.

(٤) أ : إلى عبدين ، ط : على عبده.

(٥) هـ : وانهم ، غير واضحة فى أ.

(٦) أ : والنظر .

(٧) هـ : التركى .

(*) يقصد بالبداية، ما كان عليه الحال قبل الخلق . والنهاية : حالة رجوع الأمر إلى الله.

(**) غالباً ما يشار بالبرزخ إلى مرحلة ما قبل البعث ، أى فترة وجود الإنسان فى القبر .. وسوف يعود الجيلى لبيان حقيقة البرزخ، فى شرحه للباب العاشر . وبخصوص البرزخ عند ابن عربى، يمكن الرجوع إلى البحث الرائع الذى وضعه د. نصر حامد أبو زيد ، بعنوان : فلسفة التأويل ، ص ٤٧ وما بعدها .

[تعريف الإنسان الكامل]

فأول ما أنشأ فى ذلك، قال : **لله فى خَلْقه نذيرٌ يُعْلمهم أنه البشيرُ** .

أراد رضى الله عنه بالنذير والبشير : الحقيقة المحمدية الكلية، التى هى موجودةٌ بجريانه(1) فى كل نبىٍّ وولىٍّ بالعين والشهود(*) . وفيما عدا هذين الوصفين – بالحكم والوجود– فهى على التحقيق روح الأرواح، ولهذا قال : **وهو السراجُ الذى سَنَاهُ يُبْهِرُ أَلْبَابَنَا المنيرُ** ، أىْ، الحقيقة المحمدية هى(2) النور الذى يقع به التميُّز، ومن ثَمَّ عبَّر رسول الله ﷺ عن روحه الكريمة بالعقل ، فقال فى حديث: ***أول ما خلقَ الله العقل***(**) . وقد ورد عنه أنه قال(3) : ***أول ما خلق الله رُوح نبيك يا جابر***(***) . فعلمنا أن روحه هى العقل الذى به ظهر(4) الوجود ، وتميَّز العابد من المعبود، لأن الله تعالى جعل(5) العقل الأول جامعاً لحقائق الموجودات، وأبرزها منه على الترتيب الذى أراده فى علمه ، وقضى به فى حكمه.

والدليل على ذلك، ما ورد فى الحديث عنه ﷺ ، أنه قال حاكياً عن الله

---

(1) أ ، هـ : بجزئياتها .

(*) الحقيقة المحمدية ، نظريةٌ صوفية تفصل بين الوجود الجسدى للنبى (الوجود الزمنى) والوجود المعنوى له (الوجود المطلق) فحقيقة محمد ﷺ مطلقةٌ غير مرتبطة بزمن ، ولذا يقال عن النبى: يا أول خلق الله وآخر رسل الله.

(2) ط : هو.

(**) أخرجه أبو داود (السنن ، ١٦) والترمذى (الصحيح ، تفسير ٦٨) وابن حنبل (المسند ٢١٧/٢) بلفظ : **أول ما خلق الله القلم** .. والحديث بلفظه الوارد هنا ، ذكره الغزالى فى الإحياء، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة بإسناد ضعيف .

(3) هـ : فى حديث آخر.

(***) حديث مشهور ، رواه جابر.

(4) أ ظهر به

(5) هـ خلق

تعالى أنه قال للقلم : *اكتبْ*[*] . فكتب فى اللوح المحفوظ، ما كان ، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة. والقلم هو العقل الأول المعبَّر عنه بالروح المحمدية، لقوله عليه الصلاة والسلام[١] : ***أول ما خَلَقَ الله القلم*** . فوجه الجمع[٢] بين هذه الأحاديث الثلاثة، أن يكون المراد بجميعها واحداً.

ثم نبَّه الشيخ –رضى الله عنه – على تحقيق ظهور صفات العقل الأول فى كل قُطْبٍ كاملٍ بقوله : **فى كل عصرٍ[٣] له شخيصٌ تجرى بأنفاسه الدهور**. يعنى: لظهور صفات الحقيقة المحمدية فى كل عصرٍ، إمامٌ مستكملٌ الشروط القطبية ؛ تجرى بأنفاسه الدهور[٤] ، أى : يتحكَّم فى حركات[٥] الوجود وسكناته، حَسْبما يقتضيه الكمال الإلهى، خلافةً محمدية .

وكان أول ظاهر بهذا المقام ، أبونا آدم عليه الصلاة والسلام[**] ؛ وهو لنا، بحُكْم الوراثة من أبينا[٦] .. وسيكون آخر من يظهر بهذا المقام، عيسى عليه الصلاة والسلام[٧] .

(*) الحديث : ***أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب ، فكتب*** (راجع تخريجه فيما سبق) ولابن تيمية مفهوم خاص للأولية فى مثل هذا الحديث ، مفاده أن كلمة **أول** تعنى :**عندما** .

(١) هـ : صلى الله عليه وسلم.

(٢) هـ : الجميع.

(٣) هـ : له ، ط : لى.

(٤) أ : الدهر.

(٥) هـ : بحركات.

(**) المقام المشار إليه هنا ، هو مقام الإنسان الكامل. وكان ابن عربى قد تناول ظهور حقائق الإنسان الكامل فى الأنبياء، فى كتابه **فصوص الحكم** الذى يبدأ بالفصِّ الخاص بآدم .. وآدم هنا، ليس الشخص المحسوس الزمنى، وإنما الحقيقة الإنسانية ذاتها .

(٦) هـ : الأنبياء .

(٧) هـ : عليه السلام .

[حقائق الإنسان الكامل]

ولما فرغ الشيخ ، رضى الله عنه، من تعريفه(*) . أراد أن يصرِّح أنه لايكون فى الزمان ، إلا لواحدٍ(1) ، فقال : **عَيَّنه فى الوجود فرداً، الواجدُ العالمُ البصيرُ.** أى ذكره على التعيين، أنه يكون فرداً فى الوجود ، لامنازع له فيه ؛ فعيَّنه النُّورُ المحمدىُّ الجزئىُّ(2) ، الذى هو روحٌ . والشيخ رضى الله عنه، عبَّر عنه بالواجد -بالجيم- لكونه وجده كذلك فى سِرِّه، وعلمه بإعلام الله إياه، ورآه ببصره .. فالوجود يتعلق بالإدراك ، والإعلام بالسمع، والرؤية بالبصر .. فلهذا قال : عَيَّنه الواجد العالم البصير .

*　　　*　　　*

ولما فرغ الشيخ(3) من التنبيه على ذلك، استأنف الكلام ، ونادى حقيقته؛ فقال : **يا واجداً مَجَّدَه تعالى ، ليس له فى الورى نظيرُ** . إعلمْ أنه ليس كل مَنْ عرف الله تعالى، وُجِدَ عنده تعظيمٌ ، فمجَّده كما ينبغى له ؛ وإنما يحصل ذلك للكُمَّل من أوليائه. ولهذا نبَّه على ذلك من نفسه بقوله : **يا واجداً مَجَّدَهُ** أى عَظَّمه **الله تعالى** .

ولما كان فى المحل مظنةٌ لقول مَنْ يقول له : كأنك تقول إن القطبَ كالحقِّ ، يتصرَّف فى العالم تصرُّفه ؟! قال فى الجواب ، دفعاً لذلك السؤال: **ليس له فى الورى نظيرٌ** ليزول توهُّم السامع ، فلا يطعن فى اعتقاد الشيخ .

(*) يقصد تعريف مقام الإنسان الكامل ، مجلى الحقيقة المحمدية فى كل عصر.

(1) أ : الزمان الواحد .

(2) أ ، هـ : الجزوى / ط : الجرى !

(3) أ

ويحتمل أن يكون قوله **يا واحدا** بالحاء المهملة ، ويكون حينئذ **مَجْدُهُ** مرفوعاً[1] على أنه فاعل تعالى ؛ فيكون تقديره : يا واحداً تعالى مَجْدُهُ .. ويكون الخطاب حينئذٍ للذات الإلهية ، التي هى ذاته وذات كل ذات؛ فافهم[*] .

ثم أنه أراد أن[2] يُبيِّن أن ذلك التصريف المنسوب إلى القطب، راجعٌ إلى الله تعالى. فقال : **ليس لأنواره ظهورٌ ، إلا بنا ؛ إذ لنا[3] الظهور**. أراد بالأنوار: الصفات والأسماء الإلهية التى لاظهور لها، إلا بوجود الخلْق . لأنه يستحيل ظهور الرازق ولا مرزوق، والخالق ولا مخلوق، والقادر ولا مقدور عليه.. إلى غير هذه المعانى، مما[4] لمقتضى الأسماء والصفات ؛ ولهذا قال : **ونحن مجْلى لكل شئ، يظهر فى عينه الأمور** . الضمير فى عينه ، يرجع إلى **مجلى** .. والمراد : نحن مظهرٌ[5] لكل شيءٍ، تظهر الأمور فى عين[6] ذلك المظهر ؛ أى تبدو فينا كُلُّ الأمور، لأنَّا مجلى كل شئ ومظهره ، لأن الحقَّ الذى هو أصل جميع الأشياء، إنما ظهر بنا من حيث ذَوَاتِنا وأَعْيَانِنا ؛ فبنا تصوَّر ، وفينا ظهر . فنحن : محل[7] انجلاء كل شيءٍ وظهوره .

---

(١) – أ ، العبارة بكاملها ساقطة من ط .

(*) يصرِّح الجيلى هنا –بقوة– بنظريته فى الوحدة الإلهية .. وهو ما سوف يعود للحديث عنه بالتفصيل فيما بعد .

(٢) – أ .

(٣) هـ : بنا.

(٤) أ : مما هو .

(٥) هـ : مجلى .

(٦) – ط.

(٧) هـ : مظهر.

[العلوم اللدنية]

إعلـمْ ، أيّدنـا الله وإيَّـاك، أن الشيـخ -رضـى الله عنـه- لَـفَّ فـى هــذه الأبيات[*] جميع ما أراد نشره[1] فى هذا الباب . ولمـا أراد التنبيـه علـى عظـم[2] هذا الباب قال: **إعلم أيدَّنا الله وإياك بروح القدس، أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتـاب. هـو البـاب الجامع لفنـون الأنـوار السـاطعة، والبروق اللامعة، والأحوال الحاكمة ، والمقامات الراسخة ، والمعارف اللدنية، والعلوم الإلهيـة ، والمنـازل المشـهودة ، والمعـاملات الأقدسـية ، والأذكـار المنتجـة ، والمخاطبات[3] المبهجة، والنَّفَثَات الروحية، والقابلات[4] الرَّوْعيـة، وكـل مـا يعطيه الكشف ، ويشهد له الحق الصرف.**

التأييد، هو المَدَدُ . وروح القدس، هى الحقيقة الإسرافيلية التى تظهر علـى

(*) الأبيات التى شرحها الجيلى فيما سبق، بدأ بها ابن عربى الباب ٥٥٩ من الفتوحات ؛ ونصُّها:

لله فى خَلْقه نَـذِيـرٌ   يُعْلمُهُـمْ أنـهُ البَشِيـرُ
وَهوَ السراجُ الذى سنـاهُ [م]   يُبْهِـرُ ألْبابَنـا المنيـرُ
فى كُلِّ عَصرٍ لَهُ شُخَيْصٌ   تجرى بأنْفاسه الدُّهُـورُ
عَينهُ فى الوُجُـود فـرْداً   الوَاحدُ العَالِـمُ البَصيرُ
يَا وَاحداً مَجْـدُهُ تَعـالَى   لَيْسَ لَـهُ فى الـوَرَى نَظيرُ
لَيْسَ لأنْـوَارِهِ ظُهُـورٌ   إلاّ بِنَـا إذْ لَنَـا الظُّهُـورُ
فَنَحْنُ مَجْـلَى لِكُلِّ شيءٍ   يَظْهَـرُ فِى عَيْنه الأُمُـورُ

[مُخلَّع البسيط]

(١) أ : لنشره .

(٢) هـ : عظم مقدار .

(٣) + ط.

(٤) ف ، هـ : القابلات / أ : القائلات / ط : المقابلات .

هياكل(*) المحقّقين، لتقدّس أرواحهم من نقائص أحكام البشرية وغيرها. و **من** زائدة ! فتقديره: إن هذا الباب أشرف أبواب الكتاب ، لكونه هو الباب الحاوى لفنون -أى لجنس- الأنوار الساطعة، وهى البوادى والبواده[1] التى تفجأ العُبَّاد والزُّهَّاد من مطالعات أنوار عجائب الملكوت(**) .

والبروق اللامعة[2] ، هى[3] عبارة عن مبادئ ظهور أنوار التجلّيات ؛ وهى لأهل البداية . والأحوال الحاكمة؛ يعنى على المريدين : كالشوق ، والوَلَه، والقلق، والحزن، والقبض، والبسط، وأمثال ذلك. والمقامات[4] الراسخة؛ للسالكين: كالرضا[5] ، والتفويض ، والزهد ، والمراقبة ، والمحاسبة، وأمثال ذلك. والمعارف اللدنية؛ للعارفين : وهى العلوم الواردة عليهم من قِبَل الحق بلا واسطة، لأنها من لَدنّه تعالى .

والعلوم الإلهية ؛ هى ما أدركه المحقّقون من المعلومات، على حقيقة[6] الإتصاف بالصفة العلمية الإلهية .. فهى من عين علم الله بذاته وبمخلوقاته . والمنازل المشهودة ؛ يعنى مقامات الأولياء فى الله تعالى، من الغوثية والفردية

(*) الهياكل : الأجساد.

(١) أ : البودى.

(**) تعريف البواده هنا ، قريبٌ من تعريف ابن عربى لها ، بكتابه **اصطلاح الصوفية** (انظر : رسائل ابن عربى- طبعة حيدر آباد ، الدكن ص ١٠)

(٢) هـ : الساطعة اللامعة.

(٣) ط : التى هى .

(٤) هـ ، ط : والمعارف .. والعبارة ساقطة من ط .

(٥) ∴ الرضى .

(٦) أ : بحقيقة .

والبدلية، وغير ذلك. والمعاملات الأقدسية؛ هي التي من شأن الملامتية(*) في جميع أحوالهم وحركاتهم .. ولأجل ذلك جعلها **أقدسية** ولم يجعلها[1] **قدسية** لأنهم ذاتيُّون ، فكل ما يُنسب إلى الذات من حيث هي ذات، يُسمى **أقدسياً**، وكل ما[2] يُنسب إلى ما ينزل عن التجلي الذاتي - كتجليَّات الأسماء والصفات- يُسمى قدسياً .

والأذكار المنتجة؛ التي هي من أوراد الصوفية ، أهل الإستقامة على الطريقة والشريعة . والمخاطبات المبهجة؛ التي هي لأرواح الملائكة من الحق تعالى، فيما يخصُّ كلامهم على العموم، ولأرواح عباد الله على الخصوص.. وقد شرحنا طرفاً منها، في كتابنا المسمى بالناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قَدْر النبيِّ ﷺ (**) .. فافهم .

والنَّفْثات الروحية؛ هي التي من شأن سادات[3] الملائكة على التخصيص[4]،

(*) الملامتية : طائفة من أهل الله ، بالغوا في لوم النفس لتصفيتها ، كما بالغوا في إخفاء صلاحهم عن عيون الناس. راجع بخصوصهم : **الصوفية والملامتية وأهل الفتوة** للدكتور أبو العلا عفيفي، مع تحقيق رسالة الملامتية للسُّلَمي (مطبوعات الجمعية الفلسفية المصرية) .

(١) هـ : يقل .

(٢) ∴ فكلما .

(**) هو مؤلَّف ضخم يقع في أجزاء كثيرة ، معظمها مفقود والباقي مخطوط، وكل جزء منه يمثل كتاباً مستقلاً ؛ ومن هذه الأجزاء : لوامع البرق الموهن - روضات الواعظين- قاب قوسين وملتقى الناموسين -لسان القَدَر بنسيم السَّحَر - سِرُّ النور المتمكّن في معنى المؤمن مرآة أخيه -شمس ظهرت لبدر .. وفي كتاب (مراتب الوجود ص ١٩، ٢٧، ٣٢) نجد الجيلي يدعو الله أنه يوفقه في استكمال بقية أجزاء الكتاب ، مشيراً إلى (شمس ظهرت لبدر) وهو الجزء الرابع بعد الأربعين من هذا الكتاب .

(٣) أ : سارات ، هـ : ساداة .

(٤) أ : التحقيق .

ونُودى لهم أن يلقوا على مَنْ أراد[1] الله تعالى من عباده؛ فالنفث هــو الإلقـاء ، وهو للأنبياء وحيٌ ، وللأوليـاء إلهامٌ . والقـابلات[2] الروعيـة؛ يعنى بالقـابل : الكون، وبالروع : النفس ..يُريد بذلك : المظاهر الموجودة من نَفَسَ الحــقِّ فيـه. وكُلُّ ما يعطيه الكشف ؛ يُريد : مـن العلـوم التـى هـى مـن وراء أطـوار العقـل والنقل، فلا يُدرك إلا بالكشف. وما شهد له الحق الصرف؛ يعنى عُلِمَ بالكتـاب والسُنَّة، وحُكْمُ العقل السليم.

فجمع[3] هذا الباب ، أصنـاف العلـوم المتعلّقـة بـالحق والخلْـق ، ومـا فـى الوجود سوى ذلك، فحوى جميع علوم الوجـود. ثـم نبَّـه الشـيخ - رضـى الله عنه- على إحاطة هذا الباب بجميع ما فى كتـاب الفتوحـات، فقـال : **ضَمَّنْـتُ هذا الباب ما يتعلّق بأبواب هذا الكتاب، مما لابد من التنبيه عليـه، مرتَّبـاً مـن الباب الأول[4] إلى آخره** - يعنى آخر الكتاب - **فمن ذلك** أى فمن بعض مـا تضمنّه هذا الباب من العلوم المذكورة : **سر الإمـام المبـين**؛ وهـو الـروح الـذى تكلّم عليه فى الباب الأول من الفتوحات ، وهو حقيقـة الختـم ؛ وهـى اللطيفـة الذاتية المتعيِّنة[5] فى الصورة الجزئية[*] ، بالكمالات الكلية[6] .

فالسرُّ هو اللطيفة المذكورة ؛ والإمام المبين هو الروح الإضافية ، وقد عبَّر

---

(١) هـ : شاء

(٢) ط : المقابلات .

(٣) يوجد فى هذا الموضع اضطراب فى ترقيم الورقات بنسخة (هـ) ويبدو أنه بسبب التجليد .

(٤) - ف .

(٥) هـ : المتصلة .

(*) يقصد النفخة الإلهية التى نفخها الله فى جسم آدم ، وتوارثها أبناؤه.

(٦) + هـ .

عنها بقوله : **الإمامُ(*) المبين هو الصادق الذى لايَمِـين(١)** . الفرق بين الروح الإضافية والسرِّ، أن السر هو اللطيفة الذاتية بنظره إلى الكمالات الإلهية ، من غير(٢) اعتبار المظهر. والروح الإضافية ، هى عين تلك اللطيفة الذاتية ، لكن باعتبار المظهر وإضافته إلى الظاهر فيه .

وإنما سُمِّىَ السرُّ سراً ، لأنه تحذيةٌ بسرِّ الربوبية المحضة(**) ، تحقيقاً لما تقتضيه الذات الإلهية. وأدب الموطن يقتضى عدم الإفشاء بذلك(***) . والحِكَمُ المُسماة إنساناً وآدمياً وعبداً ، لمقتضياته الذاتية له، اللازمة لصورته الناقصة المباينة للكمال، لئلا يلزم التناقض بين حاله ومقامه، إذ ليس ذلك من الشئون الكمالية. فكتمه(****) لذلك المعنى، من عين أوصاف الرتبة(٣) الكمالية. فجعل ذلك التحذِّى سراً لا جهراً، لما يقتضيه الكمال من صفة الحق، وأدب المقام اللازم للخَلْق.

ثم تكلَّم على تلك اللطيفة بعبارةٍ أخرى ؛ فقال : **مجْلَى ما أحاط به**

(*) لم يتوقف الجيلى هنا عند بيتين وردا بهذا الموضع فى الفتوحات .. يقول البيتان (من الكامل):

إنَّ الإمَامَ هُوَ المبَيِّنُ شرْعَ مَنْ ... شَرَعَ الأُمُورَ مُبَيِّناً لعَبِيدِهِ

مِنْها الذِى فى حقهم تدرونهُ ... وَكذاكَ ما يخْتَصُّ فى تَوْحِيدِهِ

(١) هـ : لا يبين

(٢) هـ : عين .

(**) سرُّ الربوبية : هو توقف الربوبية على المربوب ، فلولا عبودية العبد لم تكن ربوبية الرب (انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٠٢).

(***) يقول الصوفية : إفْشَاءُ سرِّ الرُّبوبية كُفْرٌ !

(****) يقصد ؛ فكتم ابن عربى سر الربوبية .

(٣) أ : الربوبية .. والعبارة ساقطة من هـ.

العلم، وتشكَّل فيه الكيف والكم . هو - أى[1] الروح- محلُّ انجلاء[2] العلم الإلهى[3] . يعنى أن[4] الروح المقدَّسة، التى هى عينُ الروح الإضافى والسِّرِّ الذاتى؛ هى عين العقل الأول المعبَّر عنه بالقلم الأعلى. ولهذا كان مجلى المعلومات الإلهية ، مما هو معنى: كالصفات والأعراض، أو صورة : كالذوات والجواهر[*] .. وعن ذلك عبَّر بما **تشكَّل الكيفُ فيه**.

ثم تكلَّم على تلك اللطيفة بعبارة أخرى ؛ فقال: **وجلت به الأعراض[5]، وفعل بالإرادات والأغراض ، فانفعلت[6] به الأوعية[7] المرَاض** . أراد أن يُبيِّن أن تلك اللطيفة هى الروح الإنسانية، التى هى المدبِّرة للجسم، فهى جوهرٌ يحلُّ[8] العَرَضُ فيه، ويفعل فى عالمه وفى تدبير جسمه بالإرادة متى اختار ، وتنفعل له الأجسام التى تحت تدبيرها.. وإنما سمَّاها **الأوعية المراض** لأن الأجسام كالأرواح، من حيث أنها عين الحق ؛ فلنقصان تحقُّقها فى الظهور بالصفات الإلهية التى تظهر فى الأوراح، سُمِّيت مراضاً .. لأنها ليست فى صحة اعتدال الأرواح .

---

(١) أ : أن .

(٢) هـ : الجلاء .

(٣) - هـ.

(٤) ∴ -

(*) الجوهر : إصطلاحٌ يطلق على عدة معانٍ ، أشهرها : الموجود القائم بنفسه، حادثاً كان أو قديماً، ويقابله (العَرَض) الذى يتعلَّق بالجوهر ، دون أن يكون له وجود مستقل ..انظر : كَشَّاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوى ، المجلد الأول ص ٢٠٣.

(٥) ط : الأرض .

(٦) ف : وانفعلت .

(٧) أ : الأدعية .

(٨) هـ : محلاً ، ط : محل .

فلما فرغ الشيخ -رضى الله عنه- من العبارة عن أطوار هذه الروح، تكلّم عنها عند نهايتها فى الرتبة الكمالية. لأنه رضى الله عنه، كان هو الإنسان الكامل، وهذه العلوم[1] التى يوردها فى كتبه قاطبةً ، مستفادة له، أخذها من روحه، حسبما ذكر ذلك على الإطلاق فى الباب الأول من الكتاب ؛ فقال يصف حالتها فى الكمال : **النور الباهر وجوهر الجواهر**. يعنى : الروح الكامل[2] ، هو النور الباهر[3] .. يريد بذلك ، صفات الألوهية . لأن الذات ظلمةٌ، والصفات نورٌ[*] .

واعلم أنه مَنْ لا يكون فى نفسه ذاتاً ساذجاً يقبل معناه الإنطباع بكل صورةٍ من صور الوجود، سواء كانت تجليات إلهية أم عينيات كونية أم حكْميات علمية؛ لايمكنه[4] تحقيق الإتصاف بالصفات الإلهية ، ولا يستطيع أن يُبرز بالفعل ما هو فيه بالقوة[**] ، ولا ينطلق بالشأن الكُلّى ، لكونه مقيَّداً بالحصر الجزئى. وعن ذلك الانطباع بصورة كل صورة، معنىً عبرَّ عنه بأنه **جوهر الجواهر** ثم شرحه، وأوضح ما أبْهمه وفتحه ؛ فقال[5] : **يقبل الإضافات الكَونية، والإستتارات الغيْبية[6] ، والأوضاع الحِكَمية، والمكانات**

---

(١) - هـ.

(٢) أ : الكمال .

(٣) أ : الظاهر.

(*) جاء فى الحديث الشريف : إن لله تعالى سبعين حجاباً من نور وظلمة..

(٤) أ : لايمكنك .

(**) القوة والفعل : من مصطلحات الفلسفة التى تعود إلى أرسطو ، والمثال الذى يوضّح الفرق بينهما، هو أن الطفل رجلٌ بالقوة، فإذا شبَّ وبلغ مبلغ الرجال فهو رجلٌ بالفعل .

(٥) أ : وقال ، هـ : ففتحه وقال رضى الله عنه.

(٦) ف : والإستنادات العينية .

الحُكْمية، رفيعُ المكانة، كثيرُ الإستكانة، عَلَمٌ فى رأسه نارٌ، عبرةٌ لأولى الأبصار. يعنى : إن روح الإنسان الكامل ، يقبل جميع أحكام الظهور والبطون.. فكنّى عن أحكام الظهور، بالإضافات الكونية. وعن أحكام البطون، بالإستتارات الغيبية – والإستتارات بالتاء المثناة من فوق، والغيبية بالغين المعجمة(*) – وهو العالم المقابل لعالم الشهادة؛ يعنى : إنه مع تمكينه بعالم الغيب، شهادىٌّ ، ومع تحقُّقه بعالم الشهادة، غيبىٌّ . فهو فى الآنِ الواحدِ والساعة الواحدة: ظاهرةٌ بوصف الحقِّ والخلْق، قابلٌ لحكْميهما(**) .

وكنّى عن ترتيب وضع الحكمة فى الأكوان، بقوله **والأوضاع الحكَمية** بتحريك الكاف. وكنّى عن المكانة الإلهية التى قبلتها هذه الروح الكاملة، بقوله **والمكانات الحكْمية** بإسكان الكاف. فالإنسان **رفيع المكانة** لأنه موصوفُ الصفات الإلهية. **كثير الإستكانة** إلى ماهو له من ذلك الجناب . **عَلَمٌ فى رأسه نارٌ** أى : هى(***) عَلَمٌ على الذات الإلهية . **فى رأسه النارُ** الموقدة التى تطلع على الأفئدة(****) ، المعبر عنها بالجلال والعظمة والقهر والكبرياء .. فهى الرياسةُ الإلهيةُ التى هى آخر شىءٍ يخرج من رؤوس(١) الصِّدِّيقين ، أى تظهر عليهم فى نهايتهم؛ لأن الإتصاف بالعظمة والكبرياء(٢) والقهر ، لايكون إلا فى

(*) يُلاحظ هنا ، أن الكلمات التى شرحها الجيلى ، تخالف ما ورد فى طبعة كتاب الفتوحات (الإستنادات العينية – الإستتارات الغيبية) ولعل ذلك هو السبب فى تأكيد الجيلى لقراءته هنا.

(**) يكون الإنسان الكامل متصفاً بالصفات الإلهية ، كالكرم والحلم والتصرُّف ، لكنه لا يخرج عن أحكام البشرية.

(***) يقصد ، الصفات الإلهية.

(****) تضمينٌ لقوله تعالى ﴿نارُ الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ..﴾ سورة الهمزة ، آية ٧ .

(١) ∴ روس .

(٢) – أ .

الكمال. ومن ثَمَّ ، هلك الرجل الذى نظر إلى أبى يزيد(*) - وقد كان يرى ربَّه كل يومٍ فلا يضرَّه شئٌ و لم يصبه سوءٌ - لأنه كان يرى ربَّه على قَدْر قابلية نفسه، فاستطاع الثبوت[1] عنده لذلك.. فظهر[2] عليه أبو يزيد بالعظمة والهيبة -ومن وراء قابليته - فهلك، لأن قابليته لاتبلغ قابلية أبى يزيد، فما استطاع الثبوت عنده(**) . ولذلك قال فيه إنه **عبرةٌ لأولى الأبصار** وقد شرحنا فى هذه

(*) هو سلطان العارفين ، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامى، المتوفى ٢٦١ هجرية. من كبار صوفية القرن الثالث الهجرى، اشتهر بما روى عنه من شطحات وأقوال غريبة بالنسبة للعوام . قال الذهبى : وله نكت مليحة ، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن فى ثبوتها عنه، أو أنه قالها فى حال الدهشة والسكر والغيبة والمحو، ولايحتج بها إذ ظاهرها إلحاد، مثل : ***سبحانى .. ما فى الجبة إلا الله .. ما النار ؟لأستندنَّ إليها غداً وأقول : إجعلنى فداءً لأهلها وإلا بلعتها*** (سير أعلام النبلاء ٨٨/١٣) أنظر ترجماته فى :

طبقات الصوفية ٦٧- حلية الأولياء ٢٣/١٠- المنتظم ٥/ ٢٨ - معجم البلدان ، مادة بسطام- اللباب ١/ ١٥٢- وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١ - ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦- البداية والنهاية ١١/ ٣٥- النجوم الزاهرة ٣/ ٣٥ - شذرات الذهب ٢/ ١٤٣ .. وتوجد له ترجمات مفردة وبحوث خاصة ، منها كتاب الدكتور عبد الحليم محمود (أبو يزيد البسطامى) وكتاب الدكتور بدوى (شطحات الصوفية) .

(١) - أ.

(٢) الفقرة التالية ساقطة من هـ .

(**) ذكر ابن خميس فى المناقب والغزالى فى **الإحياء** وصاحب **القوت** وغيرهم ، عن بعض أصحاب أبى يزيد ، قال : **كان عندى شابٌ صغيرٌ ملازمٌ للخَلْوة . فقلت له : هل رأيت أبا يزيد؟ قال : لا .. رأيتُ الله فأغنانى عن أبى يزيد ! فكورت عليه القول .. فخرجنا نطلب أبا يزيد ، وإذا به قد خرج من النهر ، وفروته مقلوبة على كتفه. فلما رآه الشابُ، صاح ومات. فقلت لأبى يزيد : ما هذا ، فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات ، يراك فيموت ؟ فقال: نعم ، كان يرى الله على قدر حاله، فلما نظر إلىَّ، رأى الله على قدر حالى، فلم يثبت، فمات** (مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزى، ضمن كتاب : شطحات الصوفية ص ٢١٣).

النبذة ، جميع ما حواه هذا الباب من كتاب الفتوحات(*) ، فافهم.

*　　　*　　　*

(*) لم يشرح الجيلى من الفتوحات ، الفقرة التالية : **يُملى جميع ما سطر ، ومـاهو بمسيطر . مالـه وجود إلا بما يحمله ، ولايفصل إلا بما يقبله . هو المحصى لما علم وجهل وفصلٌ وأجمل. لكل صورة فيه عين، وله فى كل صورةٍ كونٌ يمدُّ ويستمدُّ ويعدٌ له ويُعدُّ منه، ظهرنا وإياه، نهينـا وأمرنا .**

البَابُ الثَّانِى

هَيْهَاتُ .. أَنَّى يَسَعُ الكَوْنُ ذَلِكَ !

[حقائق الحـروف]

قال الشيخ : **ومن ذلك** أى ومن بعض ما تضمَّنه هـذا الكتـاب[1] مـن العلوم المذكورة : **سِرُّ الظَّرْفِ المودع فى الحـروف** . سِـرُّ الظـرف، هـو المعـانى الكمالية التى أودعها فى الحرف[2] . والحرف هو الاسم والصفة الإلهيـة ؛ وقـد شرحنا ذلك فى كتابنا ***الناموس الأعظم والقاموس الأقدم فى معرفة قَدْر النبى*** ﷺ وقلنا فيه إن الحروف على ثمانية أطوارٍ :

* حـروفٌ حقيقيةٌ ؛ وهى أعيان الأسماء والصفات .

* وحـروفٌ عاليـةٌ ؛ وهـى ذوات معلومـات العلـم الإلهـى، المعبَّر عنهـا بالأعيان الثابتة فى العلم الإلهى .

* وحروفٌ روحيـةٌ ؛ وهـى الأرواح النوريـة التـى أظهـر ا لله بهـا هـــذا الوجود، كما أظهر الكلمات بالحروف الملفوظة .

* وحـروفٌ صوريةٌ ؛ وهـى جوانـح هـذا العـالم[3] الكُلِّـى، وجـوارح الإنسان بالحُكْم الجزئى[4] . وقد فصَّلنا فـى كتابنـا الموسـوم ***بقطـب العجـائب وفلك الغرائب***(*) كل ما[5] يختصُّ بجوارح[6] الإنسان من الحروف، وقِسْ على

---

(١) أ : الأول .

(٢) هـ : الحروف.

(٣) أ : العلم .

(٤) أ : الجزئ ، هـ : الجزوى .

(*) ذكر الجيلى هذا الكتاب ، فى بداية كتابه **الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل** قـائلاً أنه لايفهم **الإنسان الكامل** إلا منْ وقع على هذا الكتاب .. والكتاب مفقود.

(٥) أ : فلما .

(٦) أ : بخارج .

ذلك ما يضاهيه من العالم الكبير .وقد ذكرنا مضاهاتها فى كتابنا[1] الموسوم **بالناموس الأعظم والقاموس الأقدم[2] ، فى معرفة قدْر النبى ﷺ** فتفطَّن لذلك، والله الموفِّق .

* وحروفٌ معنويةٌ ؛ وهى حركات الأشياء وسكناتها، ينشأ منها حروفٌ ، يتركَّب من تلك الحروف كلماتٌ مناسبةٌ لحال ذلك المتحرِّك، كالإنسان فى حال قيامه ، يتركَّب منه صورة ألف؛ وهى فى حال منامه صورة الباء، إلى غير ذلك. حتى أنه يتصرَّف صاحب هذا العلم، بحركات جسمية كما يتصرَّف بالحروف ، إن كان عارفاً بكيفية التصرُّف بها.

* وحروفٌ حسيةٌ؛ وهى[3] ما تُشاهد رقماً[4] وكتابةً.

* وحروفٌ لفظيةٌ ؛ وهى[5] ما تشكَّل فى الهواء[6] من قرْع الريح، الخارج من الحلق على مخارج الحروف.

* وحروفٌ خياليةٌ ؛ وهى صورة تلك الحروف فى نَفْس الإنسان، عند تعقُّله[7] لها .

وكُلُّ نوعٍ من أنواع هذه الحروف ، ظروفٌ لسرٍّ إلهيٍّ . أى مظهرٌ لظهورٍ

---

(١) – أ .

(٢) العنوان غير كامل فى ط.

(٣) ∴ وهو .

(٤) أ : شوهد.

(٥) أ : وهو.

(٦) ∴ الهوى.

(٧) أ : تعلقه.

كمالى[1] ، أودعه الله[2] بتجلّيه عليه ، حين[3] خلقه من المحتدِّ المقتضى لذلك، بحكم ما لذلك المحتدِّ من معنى الجمال أو الجلال[4] أو الجمع أو الكمال .

ولما كانت الأسماء والصفات، حاملةً لما فيها من شؤون الذات الظاهرة عليها لذى التجليات ؛ قال : **الظرفُ[5] وعاءٌ ، والحرفُ[6] وطاءٌ** . يعنى بالظرف : الألوهية المفهومة عند إطلاق اسم الله على ذات واجب الوجود تعالى، عند اعتبارك لما يُوصف به من الكمال والجمال والجلال . فالإسم – أعنى مفهوم هذه الحروف– محلٌّ لتلك الكمالات المعبَّر عنها بحقائق الأسماء والصفات. وعاءٌ، أى : الألوهية حاملة للمعانى الكمالية الإلهية . والحروف – يعنى الإنسان– وطاءٌ، أى مظهرٌ لتلك المعانى .. **تختلف صورته وتحكم سورته** يعنى : الألوهية تختلف صورتها ، بحسب تعيُّنها فى كل فردٍ فَردٍ من الكُمَّل الأفراد، كما ظهرت فى إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلّى الله عليهم وسلّم أجمعين، وفيمَنْ سواهم من الأنبياء والأولياء على الخصوص ، بالتعيين والوجود، بل فى كُلِّ ذَرَّةٍ من ذرات الكائنات على العموم بالحكم[7] والشهود ، فهى على اختلاف صورها ومظاهرها ، واحدة العين، لاتعدُّد فيها من حيثها[*]. وإلى

---

(١) هـ : كمال الحق.

(٢) هـ : الله تعالى.

(٣) هـ : حتى .

(٤) أ : والجلال .

(٥) أ : الظروف.

(٦) أ : الحروف.

(٧) هـ : العموم بالحكم .

(*) يقصد : من حيث كون الموجودات ، مظاهر للتجلّى الإلهى .. ولكى نفهم كلام الجيلى هنا، لابد أن نتعرَّف إلى مفهوم الألوهية عنده . يقول الجيلى : ***الألوهية اسمٌ جامعٌ لكل مراتب*** =

ذلك أشار بقوله **وتحكم سورته** ولهذا قال[1] : **هُوَ** . يعنى الظـرف الـذى عبَّرنـا عنه باسم[2] الله -وإن شئت قلت الحرف الذى عبَّرنا عنه أنه الإنسان الكـامل- مَعنَى المعانى. يصحُّ أن يكون **مغنى** بـالعين المعجمـة، فيكـون تعبـيره : أنـه محـل المعانى الكمالية. ويصحُّ أن يكـون بـالعين المهملـة ، فيكـون معنـاه : أن الاسـم الله.معنى معانى الأسماء والصفات، أى مفهوم[3] جميـع الكمـالات الإلهيـة. لأن الألوهية هى المظهر لاختلاف الأشكال والمبانى[4] .

المبانى – بالباء الموحـدة مـن تحـت – تعنـى[5] : إن الألوهيـة ، التـى هـى حقيقة الأسماء والصفات ، هى التى أظهرت صور الأشكال الخلْقيـة والأوضـاع الكَوْنية. لكونها آثار تجليـات **السـبع المثـانى** التـى هـى أمهـات الظهـور وأئمـة المظاهر الحقِّية[6] ، فهى الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام. وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى لنبيِّه[7] ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقـرآن العظيم﴾[*] والمراد بالقرآن العظيم ، ما ترجـع إليـه هـذه الصفـات[**] . فكـانت

= *الوجود ، بل هى الجامع بين الأضداد كالحق والخلق والوجود والعـدم .. والألوهيـة تختلـف عن الأحدية، التى هى أعلى الأسماء* (انظر : الإنسان الكامل ١/ ٢٣)

(١) –أ ، هـ : رضى الله عنه.

(٢) أ : باسمه ، والعبارة ساقطة من ط.

(٣) هـ : معنى.

(٤) هـ : فالمعانى.

(٥) ` يعنى

(٦) م : الخفية

(٧) هـ : ﷺ .

(*) سورة الحجر ، آية ٨٧

(**) ينظر الجيلى هنا إلى النبى ﷺ ، على أنه **الإنسـان الكـامل** الـذى تجلَّت فـى حقيقتـه الأزليـة، الصفات الإلهية السبع التى يصفها الجيلى بأمهات الظهور

الألوهية - وإن شئت قلت روح الإنسان الكامل - جامعةً للمظاهر الخَلْقية والمظاهر الحقّية عموماً على الإطلاق .

ولهذا قال[1] : **يحوى الله وجوده** . أى يحيط وجود الإنسان الكامل واسم[2] الله ، بجميع معانى[3] الألوهية تفصيلاً وإجمالاً . **ويغنى عن شهود الحق شهوده.** أى : شهودك للإنسان الكامل يُغنيك عن شهودك للحق المطلق. ويحتمل أن يكون المراد : إن شهودك لمعانى[4] الألوهية - باستحضارها فى ذهنك وتعقُّلك[5] لها - يُغنيك عن مطالعة ما نُقل إليك بالكتاب والسُّنّة من العلوم والمعارف، التى هى حقٌّ لاريب فيه. يعنى : إنك تنال بدوام حضورك مع معانى الإسم الإلهى، وتعقُّلك له بحكم ما يقتضيه من الكمالات ؛ وتصل إلى ما لايُنال ، وتصل[6] إلى ما لاتصل إليه بواسطة النقل والعقل؛ على أنهما حقٌّ[*] .

[مقامات الكمال]

ولما بيَّن حقيقة[7] الإنسان الكامل، من حيث أمره الكُلّى؛ أراد أن يكشف

---

(١) أ : فلهذا ، هـ : رضى الله عنه.

(٢) أ : والاسم ، ط : أو اسم .

(٣) أ ، هـ : المعانى .

(٤) أ ، هـ : المعانى.

(٥) هـ : بعقلك.

(٦) -هـ ، ط .

(*) يشير الجيلى هنا إلى المقابلة بين علمى الظاهر والباطن، مع التأكيد أن علوم الظاهر (النقل والعقل) هى علوم حق .. أما علوم الباطن، فهى علوم حقيقة وشهود ومعاينة ذوقية .

(٧) ∴ عن حقيقة .

عن كيفية تقلُّبه فى الأطوار الكلية التى تتحقَّق[1] بها له، حقائقُ ماهو منطوٍ فيه من الألوهية المحضة، فقال: **منازلـه معدودة** . وهى سبعة أطوارٍ ، لابد لكل كاملٍ أن يقطع تلك المنازل، حتى يبلغ درجة التحقيق .

الطور الأول **التوحيد الصرف** لابد للولىّ أن يقطع مسافة الفرق ، حتى يحصل فى حقيقة الجمع[*] ، فلا يشهد ولا يسمع ولا يعلم شيئاً سوى الله تعالى .. وهو ما دام فانياً ، لايسافر من هذا المنزل[2] .

فإذا بقىَ بالله[**] ، سافر إلى الطور الثانى ، فيحصل فى **حقيقة جمع الجمع**[***] . وفى هذا المشهد، يفنى مَنْ كان باقياً بالطور الأول، ويبقى مَنْ

---

(١) يتحقق

(*) ذكر الجيلى هنا اصطلاحين من أدق الإصطلاحات الصوفية (الفرق - الجمع) والمراد بهما على وجه الاختصار

الفرق : أن يشهد الصوفى الموجودات الكونية دون التحقق بوجود الحق تعالى فيها.. ولهذا قيل: ***الفرق شهود الخلق بلا حق***

الجمع : ألا يشهد الصوفى فى مرحلة أعلى ، سوى الحق تعالى . فلا يتفرَّق نظره فى الموجودات المتعددة - يقال : ***الجمع شهود الحق بلا خلق*** .

(٢) + هـ : عن

(**) هناك عدة مستويات دلالية لمصطلحى الفناء والبقاء (راجع : التعريفات ص ١٤٣، الرسالة ص ٣٩، التعرُّف ص ١٥٠، اصطلاح الصوفية لابن عربى ص ٦) والمراد هنا : أن الصوفى فى مقام الجمع ، يفنى عن وجوده ، ووجود كل ما فى الكون ، فلا يشعر به ؛ نظراً لاستهلاكه فى رؤية الله؛ فالفناء حالٌ قريب من الذهول عن كل شئ سوى الله . وبعد الفناء ، يأتى مقام البقاء ، حيث ترسخ قدم الصوفى ، فيبقى فى الله مشاهداً الحق فى ذرات الخلق .. وعلى هذا المعنى، يدور كلام الجيلى هنا .

(***) جمع الجمع : شهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٤١)

كان فانياً ، فيتحقّق[1] حينئذٍ بالوحدة المحضة ، ويضرب له مثلاً على الرقيم الحامل للمعانى الكمالية[2] بكأسٍ ملآن خمراً، فشُرب الخمر ، ورُمى بالكأس ، فانكسر وانعدم[*] .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الثالث – وهو[3] طور السذاجة المحضة الذاتية الصرفة – فيقبل[4] بحقيقته وهيئته ، التصوُّر بكُلّ صورةٍ من صور التجليات، ومعنى من معانى الأسماء والصفات ، وبكُلّ هيئةٍ وحالةٍ وشكلٍ وحُكْمٍ من سائر الموجودات. فيكون عين كل شئ، على ماهو عليه ذلك الشئ. ويكون متصوراً فى نفسه بصورة ذلك الشئ، يرى نفسه فيه بنفسه، على التفصيل؛ جمعاً وفرادى، ظاهراً وباطناً ، حَقّاً وخَلْقاً ، كوْناً وبوناً[**] .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الرابع. فيُعطى مفاتيح الغيب ، وهى

---

(١) هناك جزء ساقط من الأصل الذى نقل عنه ناسخ مخطوطة (ط) وقد تنبه الناسخ لهذا السقوط، فكتب فى هذا الموضع: ***هنا نقص فى الأصل فتأمل*** ! وسوف نشير فيما بعد، إلى نهاية الجزء الساقط.

(٢) أ : الكاملية.

(*) يتوغل الجيلى هنا فى مفاوز الرمز الصوفى ، ليُلمح إلى معنى يبدو لنا على النحو التالى :
إذا وصل الصوفى لإدراك معنى **الوحدة المحضة** حيث لاوجود إلا لله فقط، يكون هذا الصوفى وكأنه يتناول كأساً (الكون) به خمر (الوجود الإلهى) فيشرب الخمر (يتحقق بأنه لا موجود سوى الوجود الإلهى) فيرمى بالكأس (لايلقى بالاً إلى العالم الحسى) فينكسر الكأس وينعدم (يتلاشى بالكلية وجود الخَلْق) وعندئذٍ تقف العبارات والإشارات.. أو كما قيل : تتسع الرؤية، فتضيق العبارة ! ولذا رمز الجيلى هنا ، ولم يصرِّح .

(٣) ∴ وهى .

(٤) ∴ يقبل .

(**) يتعرَّض الجيلى هنا إلى مقابلة الإنسان الكامل للكون كله، بحيث يصير الإنسان الكامل كوْناً جامعاً تقابل كل حقيقةٍ منه، رقيقةً من رقائق الوجود . وقد عرضنا لهذه الفكرة بالتفصيل فى بحثنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى ص ٨٥ وما بعدها .

الأسماء التى أظهرت صور الكائنات مـن الغيـب إلى الشـهادة[1] . فهـى مفـاتيح لأقفال خزائن الغيوب ، وهى أسماء الأفعال التى كانت المؤثّرة فـى ظهـور عـالم الغيب إلى عـالم الشـهادة، ويسـميها الشيخ[2] : المفـاتيح الثوانـى .. وفـى هـذا الطور، يسبح[3] فى فلك الأسماء والصفات – فى كل اسمٍ وصفةٍ على حدته – حتى يعلم مقتضياتها، على ما هى عليه فى محلها.

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور الخامس. فيُعطى مفاتيح غيب الغيب – وهى أُمهات الأسماء، وأئمة الصفات – فيصرفها بالذات ، ويتحقّق بهـا صـورةً ومعنىً فى جميع الأوقات. ومَنْ وصل إلى هذا الطور ، لايتوارى عنه مشهوده[*] بحالٍ[4] أصلاً ، ولايجوز عليه الاستتار قطعاً .. وهذه الأسماء ، هى التى يسـميها الإمام رضى الله عنه بالمفاتيح الأُوَل ؛ فيتحقّق العبدُ بالاتصاف بها.

ومـن هـذا المـنزل ، يسـافر إلى الطـور السـادس ؛ فيسـتكمل التحقُّـق[5] بالأسماء الذاتية والنعوت الصفاتية والأوصاف الفعليـة، ويتعـينَّ فـى الظهـور بهـا جملةً وتفصيلاً . وفى هذا المنزل يتدرَّع بالهيبة ، ويتوَّج بالعظمة؛ فتكون له. فلو نظر بنظَر نفسه البشـرية الإنسـانية ، إلى جبـلٍ ، بـالقهر ؛ لتَدَكْـدَكَ مـن هيبتـه، وتلاشى لعظمته. فكيف له لو رأى ذلك بحقيقة الإلهية .. هَيهَـات .. أنَّـى يسـع الكون ذلك! بل لاتتجلّى عظمته – كما هو له– إلا عنده، وفى علمـه . ولهـذا

---

(١) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٢) هـ : قدس الله سره.

(٣) هـ : الله تعالى !

(*) يقول الإمام عبد القادر الجيلانى فى وصف القطـب : *لايشقى به جليسه ، ولا يغيب عنه مشهودة، ولا يتوارى عنه حاله* (ديوان عبد القادر الجيلانى ، ص ١٩٩).

(٤) إلى هنا ينتهى الجزء الساقط من ط .

(٥) هـ : التحقيق .

قال الله تعالى ﴿وما قدروا الله حقَّ قدْره﴾(*) يعنى : كُلُّ ما[1] سواه لايستطيع أن يقدِّره، فيعظِّمه بذاته لذاته؛ لأن الكون وجودٌ مقيَّدٌ ، فلا يستطيع لشئ من ذلك. فلو لمحت بارقةٌ من عظمة جلال الله تعالى على الأكوان، لأعدمتها[2] بالعين والحكْم .. جملةً وتفصيلاً .

ومن هذا المنزل ، يسافر إلى الطور السابع ، المعبَّر عنه بنزول الحق فى الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا(**) . وعندها يطلع الفجر، وتظهر شمس الكمال على سائر أعضائه الجسمانية - على حسب ما كان لروحه وقلبه - فيكون جسمه روحاً ، وقلبه[3] عقلاً ، بالعين والحكم والوجود جملةً وتفصيلاً . وهذا معنى قوله ﷺ : ***لايزال(***) عبدى يتقرَّب إلىَّ[4] بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا[5] أحببته، كنتُ[6] سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه***

(*) سورة الأنعام ، آية ٩١.

(١) ∴ كلما .

(٢) أ ، ط : لأعد منها ، هـ : لاعدمنتها .

(**) الإشارة إلى الحديث الشريف : **ينزل الله إلى سماء الدنيا .. فيقول هل من مستغفر فأغفر له..** أخرجه البخارى (الصحيح ، كتاب التهجد ، باب ١٤) ومسلم (الصحيح، كتاب المسافرين، حديث رقم ١٦٨- ١٧٠) وأبو داود (السنن، كتاب السنة، الباب ١٩) والترمذى (الصحيح، كتاب الصلاة ، الباب ٢١١- كتاب الدعوات ، الباب ٧٨) وابن ماجة (السنن، كتاب الصلاة ، الباب ١٦٨) ومالك (الموطأ ، حديث رقم ٣٠ من قراءة القرآن) وابن حنبل (المسند ٢/ ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤)

(٣) ∴ قلبا .

(***) يلاحظ هنا أن الجيلى وضع الحديث القدسى، على لسان النبى ﷺ !

(٤) - أ .

(٥) أ.

(٦) هـ : أكون

الذى ينطق به، ويده[1] *التى يبطش بها، ورجله التى*[2] *يمشى*[3] *بها*[*]

فافهم!

وما بعد هذا المنزل، إلا العجزُ والحيرة فى التجليات التى لانهاية لها وهذا العجز، عين الكمال والقدرة. وهذه الحيرة[4] ، عين الثبوت. ونهاية ما يعبّر به عن هذه الحيرة وهذا العجز ، بأن يقال : إنه يجد كمالاته الإلهية ، التى هى له، على ماهى عليه من عدم النهاية التى يعجز العلم[5] عن الإحاطة بها، من حيث أنها لانهاية لها. فبالنظر إلى هذا العجز، قال عليه الصلاة والسلام : ***لا أحصى ثناءً عليك***.. وبالنظر إلى ماهو من كمال الصفة العلمية له تعالى ، قال : ***أنت كما أثنيت على نفسك***[**]

---

(١) هـ

(٢) - هـ.

(٣) + أ .

(*) هو أصحُّ الأحاديث القدسية فى ولاية الأولياء .. أخرجه البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة، وابن حنبل فى المسند عن عائشة، وأبو نعيم فى الحلية ، والبزار والطبرانى والسيوطى (جمع الجوامع ١٢٣/ ١٠٦٠)

(٤) هـ : الحيواة !

(٥) + هـ.

(**) الحديث الشريف . **لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك** .. أخرجه مسلم (الصحيح، كتاب الصلاة ، الباب ٢٢٢) وأبو داود (السنن ، كتاب الصلاة الباب ١٤٨- الوتر، باب ٥) والترمذى (الصحيح ، كتاب الدعوات، الباب ٧٥) والنسائى (السنن، كتاب الطهارة ١١٩- التطبيق ٤٧، ٧١- قيام الليل ٥١) وابن ماجه (السنن، كتاب الدعاء ، باب ٣- الإقامة ١١٧) ومالك (الموطأ ، القرآن رقم ٣١) وابن حنبل (المسند ٩٦/١، ١١٨، ١٥٠ ٥٨/٦، ٢٠١)

[حقائق الإنسان الكامل]

ولتحقُّق روح الإنسان الكامل بالحقائق الإلهية ، قال : **آثاره مشهوده.** يعنى : آثارُ الإنسان الكامل مرئيّةٌ بالعين، لأنه يُحيى الموتى، ويميت مَنْ شاء من[1] الأحياء ، وينبىء الناس إذا شاء[2] بأسمائهم وأفعالهم وبما يأكلون وما يدَّخرون إلى يوم القيامة. **كلماته محدودة** . يعنى : إنه يقف بالكلام على حدِّ الشريعة، فلا يخرج منه[3] بلسان القُدْرة ، عن سياج الحكمة ، بل يؤدى حَقَّ العبودية بظاهره، كما أدى[4] حَقَّ الربوبية بباطنه. **وآياته بالنظر مقصودة .** يعنى: إنه فى نفسه[5] لنفسه، يتجلىَّ متى شاء بما شاء فيما شاء[6] . فكنّى بالآيات عن التجليات الإلهية، بحكم الأسماء والصفات ؛ يقصد منها : الظهور بما شاء ، والبطون بما شاء. وإلى تحقيق ذلك أشار بقوله : **أعطى مقاليد البيان، فأفصح وأبَان.** يعنى : إنه أُوتى التمكين بالبيان - أى بالظهور- فأفصح، وأظهر كلماته. **وأبَان** عن المعانى[7] بإرادة[8] ذاته.

[الإنسان الكامل والحروف]

وسوف أُنَبِّهك على علمٍ شريفٍ قد رمزه الشيخ[9] فى ذلك من وجه،

---

(١) + هـ.

(٢) أ : يشاء .

(٣) + هـ .

(٤) أ : يودى.

(٥) - أ.

(٦) أ : يشاء.

(٧) أ : معانى.

(٨) هـ : ما أراد به ، ط : ما أرادته .

(٩) هـ : رضى الله عنه وقدس الله سره.

وصرَّح[١] به من وجه. وهو أن جميع ما شرحناه[٢] لـك فـى صفـة هـذه الـروح الشريفة، من أطوار المعانى المذكورة هنا؛ إنما هو من حيث كون الإنسـان حرفـاً من حروف أحد الأنواع الثمانية المذكورة فى تقسيم الحـروف[٣] . فاعتـبر مثـل جميع هذه المعانى المذكورة وكمالها ، لكل حـرفٍ مـن حـروف كـل نـوعٍ مـن الأنواع الثمانية ؛ لأن الحروف **وطاء** أى محل ظهور الأسرار الإلهيـة. والحـروف كلها مَرَائى يظهر فيها معنى السرِّ الإلهى ، لكنْ له فى كل طورٍ حكمٌ مخصـوص ومشهدٌ منصوص وأثرٌ منفرد، ونسـبة[٤] تحقُّقـه ، علـى أسـلوب عجيـب ونمـطٍ غريب. ولو أردنا أن نتكلم فـى ذلـك، لاحتجنـا إلى مجلـدات؛ ولكـن تفطَّـن[٥] ذلـك وتدبَّـره ، فكلمـا قلنـا لـك ***إن الأعيـان الثابتـة حـروفٌ ، وكـان النـوع الإنسانى***[٦] ***من جملتها*** فهـو بالنسـبة[٧] إلى بقيـة الحـروف ألـفٌ . فاعتـبر ذلـك المعنى لكل ألف من أنواع الحروف الثمانية؛ كـالعقل الـذى هـو ألـف الحـروف الروحية، فإنه[٨] يجمع[٩] العلوم[١٠] والخصوصيات[١١] كلها، كما يجمع الإنسان الكامل. وكالألف الرقمىِّ ، فإنه يجمع المعانى المودعة فى الحروف كلهـا، كمـا

---

(١) – أ ، هـ : وخرج.

(٢) أ : ما ذكرناه.

(٣) أ : الحرف .

(٤) الفقرة التالية ساقطة من هـ.

(٥) أ : سقطن.

(٦) ط : وكان الإنسان.

(٧) هـ : بنسبة.

(٨) ط : فإنها.

(٩) ط : بجمع.

(١٠) أ : الحروف.

(١١) أ ، ط : فالخصوصيات.

يجْمل جميع الملفوظات ويوصلها إلى مَنْ أمره[1] الله به. فاعتبر هذا المعنى ، في كل قسمٍ من هذه الأقسام الثمانية ، بما يناسب ذلك العالم، ترى عجائب وغرائب من أسرار الله تعالى ، فقد فتحت لك باباً إليها . واستعنْ في تحقيق ذلك، بما[2] ذكره الشيخ في الباب الثاني من الكتاب ، عند ذكره مراتب الحروف اللفظية وعوالمها وأطوارها وخواصها وما أودع الله تعالى فيها من العجائب والغرائب، مما يطول شرحه[*] . وسوف أُنَبِّهكَ في الأبيات المذكورة هنا، على ما يعينك على معرفة ذلك ، إن شاء الله تعالى .

[تجليات الإنسان الكامل]

قال الشيخ : **فمنه نثرٌ ، ومنه نظمٌ ، ومنه أمرٌ ، ومنه حُكْمٌ** . إن للتجليات[3] الحقية ، التي هي للإنسان[4] الكامل ، نثرُ تجلياتٍ ذاتية[5] منفردة، غير متعدِّد، ليس لكل تجلٍّ إلا اسمٌ واحدٌ . ومنه نظم تجليات صفاتية[6] ، يجمع

---

(1) هـ : إلى أمر .

(2) هـ : تحقيق ما .

(*) الفتوحات المكية (طبعة دار الكتب العربية ١/ ٥١ - تحقيق د. عثمان يحيى ١/ ٢٣١) وهذا الباب يتناول فيه ابن عربي واحداً من أدق الموضوعات ، فيجعله بعنوان : **في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنى، ومعرفة الكلمات ومعرفة العلم والعالم والمعلوم ويتقسم الباب إلى ثلاثة فصول ، الأول في معرفة الحروف والثاني في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات والثالث في معرفة العلم والعالم والمعلوم .. وكما يقول الجيلي هنا ، فهو بابٌ يطول شرحه !**

(3) ∴ التحليات.

(4) هـ : الإنسان .

(5) العبارة التالية ساقطة من أ.

(6) هـ : صفات.

كُلُّ تجلٍّ[1] أسماءٌ متعدِّدة وصفاتٍ متغايرة؛ كتجلى القدرة – مثلاً– يجمع جميع تجليات الأفعال . وكذلك تجلى الإرادة ، وكذلك تجلى العلم ، وكذلك تجلى الجمال، وكذلك تجلّى الجلال وتجلّى الكمال، إلى غير ذلك من تجليات الصفات والأسماء التى لها الهَيْمنة على ما تحتها . ولهذا قال **فمنه أمرٌ** أى ، مما يصدر من تجلياته، أمرٌ بوجودٍ أو تكوين ، أو غير ذلك من أوامر الحق تعالى على عباده. **ومنه حكمٌ** نافذٌ لايتغيّر فى العالم، لأنه الحقُّ المعيِّن[2] ؛ هذا معناه .

ولما كان ذلك للإنسان[3] ، الذى هو[4] حرفٌ من الحروف[5] العاليات[*]؛ كذلك[6] هو للألف الذى هو حرفٌ من الحروف الحقيقية أو

---

(١) ن. تجلى .

(٢) أ : للمتعين .

(٣) هـ : الإنسان ، ط : الإنسان الكامل.

(٤) + هـ.

(٥) هـ : حروف.

(*) ينسب لابن عربى بيتان (من الكامل) هما :

كُنّا حُروفاً عاليات لم تُقَلْ | متعلقاتٍ فى ذرى أعلى القُلَلْ
أنا أنت فيه ونحن أنت | والكل فى هو ، هو ، فَسَلْ عمَّنْ وصل

وقام القيصرى بشرح البيتين (علم الحقائق .. مخطوط) كما شرحهما النابلسى (ورد الورود فى شرح الحروف العاليات .. مخطوط) ويوجد شرح معاصر لهما وضعه أحمد خيرى بعنوان : إزالة الشبهات عن قول الأستاذ كنا حروفاً عاليات (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٧٠ هجرية) انظر أيضاً ؛ د. سعاد الحكيم : المعجم الصوفى ، ص ٣٢٢.

والبيت الثانى مكسور – كما لاحظ محمد زاهر الكوثرى وحاول إصلاحه – وليس فيه ما نعرفه من أسلوب ابن عربى .. ونرى من جانبنا ، أن البيتين من وضع أحد أتباع الشيخ الأكبر.

(٦) يوجد جزء ساقط من هذا الموضع فى ط.

الروحية أو المعنوية أو الصورية أو اللفظيـة أو الرقميـة(*) أو الخياليـة[1] . ألا تـراه يقول : **فمنه نثرٌ، ومنه نظمٌ** إن اعتبرته فـي الحروف اللفظيـة ، وجـدت الأمـر كذلك.. **ومنه أمرٌ ومنه حكم كلفظة أفعل** ؛ وهــذه حروفٌ مركبـةٌ . ولفظـة قول وفعل[2] ، وغير ذلك، كلها أمرٌ؛ وكلٌّ منها حـرفٌ واحـدٌ غـير مركّـب ! فاعتبر جميع الباب في أطوار الحروف، تقع على كنزٍ من كنوز الله تعـالى. وإنما ضربنا على تبيُّن كل ذلك، لئلا يفوت الغرض من تأليف هــذا الكتـاب، والمـراد بذلك سعادتك.. وإنما هي[3] في معرفتك لنفسك، فلأجـل ذلـك تكلَّمنـا علـى الإنسان وحده .

وقال[4] في اللفظية والرقمية والخياليـة إنهـا[5] : **ابـن[6] الإمـام المبـين(*)** . الذي هو اللوح المحفوظ(**) ، لأنها تبرز بتلك[7] الحقائق، كما تـبرز المعـاني مـن

(*) الرقمية : المكتوبة .. والرقم : الكتابة والوشي.

(1) أ : الخالية .

(2) هـ : ق و ل   و ف ع ل

(3) – أ .

(4) أ، ط : ولما / هـ : وكما !

(5) هـ : وأنها ، أ : أنها أثر .

(6) ∴ بن .

(*) ترك الجيلي الفقرة التالية من الفتوحات دون شرح : **وفيه حقٌّ وفيـه خلْقٌ، ففيـه عـدْلٌ وفيـه ظُلمٌ. له التلفُّظ والرقم ، وله التوهم لا الوهـم . لا وجـود لـه إلا بـه فانتبـه** (فـي الأصـل : فانبته) **أبان للآذان ما ستره الجنان. نطق عـن الغيـب ، بما لاشـك فيـه ولا ريـب . يشـهده الإيمان والعيان، صحفاً مكرمة، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة ، كرام بررة، هو ابن الإمام.**

(**) يقول الجيلي : **اللوح المحفـوظ ، نـورٌ إلهـيٌّ حقـيٌّ متجـلٍّ فـي مشـهدٍ خَلْقيٍّ، انطبعـت فيـه الموجودات انطباعاً أصلياً . فهو أم الهيـولى (يقصـد المـادة) لأن الهيـولى لاتقتضـي صـورةً إلا وهي منطبعةٌ في اللوح المحفوظ . فإذا اقتضت الهيولى صورةً ما ، وُجدت في العالم على =**

القلوب، **لا، بل هى[1] أبوه** . يعنى : هل أصلٌ لتلك الحقائق المكتوبة فى اللوح[2] ، لأنه لابد من حروفٍ كتبها القلم(*) فى اللوح حتى قُرئت. وتلك الحروف، ولو كانت على غير هذه الهيئة ، فهى عين هذه الحروف الرقمية ؛ لأنها متلوّةٌ مقروءةٌ ، ولو بلا معنى[3] ؛ فلا يخرجها ذلك عن كونها حروفاً، فهى – أعنى الحروف – أصلٌ للمعانى الموضوعة فى اللوح المحفوظ، إذ بها **الكمال والتمام[4]** . لكونها مشهودة صورةً ومعنىً ، والموضوع[5] فى اللوح المحفوظ إنما هو مشهود معنىً لا غير ؛ فجمعت هذه الحروف ، حقائق المعنى والصورة .. وليس[6] ذلك لتلك[7] ، فافهم .

ولكون[8] الإنسان الكامل ، كلّى[9] التحقيق ؛ قال : **إذا أَسْهَبَ ذهب.**

= حسب ما اقتضته الهيولى، على الفور والمهلة ؛ لأن القلم الأعلى جرى فى اللوح المحفوظ بإيجادها، واقتضتها الهيولى؛ فلابد من إيجادها على حسب المقتضى (الإنسان الكامل ٢/٦).

(٧) هـ : تلك.

(١) فى ف : هو ابن الإمام ، لا بل أبوه .

(٢) هـ : اللوح المحفوظ .

(*) يصف الجيلى القلم الأعلى بأنه : أول تعيُّنات الحق فى المظاهر الخلقية . وهو أنموذج ينتقش ما يقتضيه فى اللوح المحفوظ ؛ كالعقل ، فإنه أنموذج ينتقش فى النفس .. فالعقل بمكانة القلم (الإنسان الكامل ٢/٥) وبهذا تكون عملية الخلق والإيجاد عند الجيلى ، ناجمة من اقتران فعل القلم واللوح ، فما يكتبه القلم فى اللوح ، يظهر فى الوجود.

(٣) أ : بالمعنى.

(٤) ف : الذى له الكمال والتمام.

(٥) العبارة ساقطة من هـ .

(٦) – أ.

(٧) ط : أملك .

(٨) ط : ويكون.

(٩) ط : الإنسان كل .

أسهب -بالسين المهملة- يعنى إذا طوّل[1] وأطْنب - يُقال : ***أسهب فى الكلام وأطنب*** . إذا طوّل فى الحديث . المراد : إذا تمادى وأطال نظره إلى[2] حقائق صفاته- التى لا نهاية لها، وكلها كمالية - ذهب عن حكم الكون، فلا يُسمَّى خلْقاً بوجهٍ من الوجوه، لأنه قد ذهب عن العالم وما فيه بالكلية ؛ فليس هو من العالم، ولا هو فيه .

وإذا أَوْجز أَعْجز . الإيجاز[3] ضدُّ الإسهاب ، يعنى : إن الإنسان إذا اختصر فى نفسه ، فوقع نظره فى[4] صفاته ، إلى نظره لذاته؛ أعجز غيره عن دركه. وإن شئت قلت: أظهر كُلَّ أمرٍ مُعْجِزٍ . وإن اعتبرت ذلك فى الحرف اللفظى والرقم[5] ، فمعناه ظاهر .. ومن ثم قال : **فصيح المقال ، كثير القيل والقال** . يعنى : إن الإنسان الإلهى[6] الكامل، ظاهر التكوين بالكلمة[*] ؛ كثير الكلام، لأن الموجودات كلها كلمات . **تختلف أشكاله ومعارجه** لأنه متصوِّر بكل صورة خَلْقية ، ومتحقّق بكل حقيقةٍ إلهية ؛ فهو مختلف الأشكال والمعارج.

---

(١) هـ أطول .

(٢) ط : فى .

(٣) هـ : الإعجاز .

(٤) أ : فوقع نفسه فى

(٥) هـ : الحروف اللفظية والرقمية.

(٦) غير واضحة فى أ.

(*) انظر مقالة الدكتور أبو العلا عفيفى : نظريات الإسلاميين فى الكلمة (مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ١٩٤٥) ومطلق لفظ **الكلمة** حين يرد فى لغة ابن عربى ، فالمراد به كلمة التكوين : كُنْ .. وهى الكلمة المخلوق بها .

ويخفى[1] **على المتبع أثرهُ**[2] **ومدارجه**[3] . لأنه من وراء قوة أطـوار[4] الكـون، فيخفى أثره على كل متّبع، لأنه لا يبلغه حـدُّه، ولا يصـل إليـه دركُـهُ . واعتـبرْ تلك المعاني فى الحروف ، فالحرف اللفظـى[5] تختلـف أشـكاله[6] علـى حسـب وضع كل واضع بكل لغةٍ. **ويخفى على المتّبع أثره** يعنى : على المقتفى له، معرفة ما جعل الله فى كل حرفٍ من أثـرٍ[7] – بالخاصيـة والطبـع والفعـل– فـى كـل معنىً وصورة، مما لكـل حـرف[8] مـن التصـرُّف . لأن الحـرف[9] ، وإن شـئت قلت الإنسان الكامل : **كائنٌ بائنٌ** . يصحُّ أن يقول عن[10] الإنسان الكامل إنـه ***كائن مع الحق، بائنٌ عن الخَلْق*** ويصح[11] أن يقول **هو كائنٌ مع الخلق** ، **بـائنٌ عما هم فيه** كما أن الحرف[12] كائنٌ فى رتبة الإحاطة ، بائنٌ عن حكـم القيـد بالإحاطة؛ لكونه يفعل بحقيقته[13] فى الغيب، فهو غير محصورٍ علـى مـا يشـهده من صورته.

---

(١) ف : تختلف .

(٢) ف : آثاره.

(٣) أ ، هـ : ومعارجه.

(٤) أ : أطوار قوه.

(٥) – أ .

(٦) ط : اشكالهم.

(٧) أ : الأثر .

(٨) كلمات هذا الموضع مضطربة فى كل النسخ.

(٩) أ : من الحرف ، هـ : لأن الحروف ، ط : لأن من الحرف.

(١٠) أ : على.

(١١) العبارة ساقطة من ط.

(١٢) هـ : الحروف .

(١٣) أ : بحقيقة.

ومن ثَمَّ، قال عن الحروف ؛ وإن شئت قلت عن الإنسان الكامل، بل هو الإنسان : **راحلٌ قاطنٌ** . أى راحـلٌ عـن المراتـب الخَلْقيـة ، قـاطنٌ فـى المراتـب الإلهية . **استوطن الخيـال** فأقـام فـى عـالم[1] ؛ معنـاه : وهـو محـل العلـم بـا لله. **وافترش الكتاب** يعنى : لما[2] كان فى باطنه ساكناً مع ربه؛ افـترش الكتـاب ، يعنى اتخذ الصفات والأسماء الإلهية ، فرشاً له فى موطن كماله ، يتلّقب عليها.

واستوطأ اللسان بتحقيق القدرة والإرادة ، فـى نفـوذ الأمـر بكلمـة كُـنْ حيـث يريـد . واعتـبر هـذه المعـانى[3] للحـروف الرقميـة واللفظيـة والخياليـة ؛ فالخيالية[4] مستوطنة الخيال ، لأنها لاتكون إلا فى عالم الخيال ، فلا تخرج عنـه؛ والرقميـة[5] افترشـت الكتـاب ، لأنهـا متلوَّة ، فـلا تكـون إلا فـى الصحـف ؛ واللفظية استوطأت اللسـان، فـلا تظهـر إلا بواسـطته. وقـسْ علـى ذلـك، كُـلَّ الأقسام الثمانية.. وقد شرحنا فى هذه النبذة ، جميع ما حواه البـاب الثـانى مـن كتاب الفتـوحات ، فى الحـروف وغيرها ؛ ونبّهنـاك علـى مـاهو المقصـود مـن ذلك.

* * *

---

(١) + هـ .

(٢) أ : الإنسان الكامل لما .

(٣) أ : الثلاثة المعانى ، هـ : الثلاث المعانى ، ط : الثلاث معانى !

(٤) – أ .

(٥) هـ : إلى الرقمية .

البَـابُ الثَّـالِثُ

ما ثمّ أمـرٌ فاصِلٌ بـينَ ا لله
وبَيْنَ العَـالَمِ .

[التنزيه والتشبيه]

قال الشيخ رضى الله عنه : **ومن ذلك** ، أى[1] ، ومن بعض ما تضمَّنه هذا الباب من العلوم المذكورة: **سرُّ التنزيه التنزيه** . التنزيه التنزيه[2] ، هو تنزيه الحقِّ تعالى لنفسه ، كما يُعْلمه[3] لذاته . وهذا التنزيه لايقابله تشبيه[*] ، بل هو منزهٌ عن مقابلة التشبيه. فتنزيهه لانعلمه ولانعقله ، لأن كل تنزيه نُنَزِّهه به[4] ، إنما هو منوطٌ بضدِّية التشبيه . فهو إذن[5] يتعالى عن تنزيهنا له، فتنزيهه منزهٌ عن التنزيه والتشبيه .

ولأجل ذلك ، قال : **التنزيه تحديد المنَزَّه**[**] . لأنك عند أن تنزِّهه عن معنى التشبيه، ليحصل بذلك ما تريده[6] من التنزيه ؛ وبهذا[7] الفعل تحصره على ما يضاد التشبيه، فتحدُّه وتقيِّده بذلك المعنى؛ فالتنزيه تحديدٌ وتقييدٌ . **والتشبيه تثنية المشَبه** ، لأنك إذا قلت " هو كذا وكذا" على التقييد بصورةٍ

---

(1) + هـ .

(2) – أ .

(3) هـ : يعلم .

(*) التشبيه ؛ يُراد به تشبيه الله بالخلق ، والقول بأن لله صورة كخلقه. والأصل فى القول به، ما ورد من أن الله : خلق آدم على صورته !

(4) – هـ ، ط / أ : بها .

(5) ∴ إذا .

(**) ورد فى هذا الموضع بالفتوحات ، بيتان [من الوافر] هما :

تنزَّهْنَا عن التّنزيه لمَّا ... رأَيْنَاهُ يدلُّ عَلَى الشبيه

وَقُلْنَا ذَاكَ حَظُّ الحقِّ مِنّا ... بِعِلْمِ الوَاحِدِ الفَرْدِ النبيهِ

(6) أ : تريد .

(7) أ : وهذا .

واحدةٍ دون عيرها، فقد أشركته مع تلك الصورة فى معنى واحد؛ وهذا هو عين التثنية. فكلا الأمرين على انفرادهما ، خطأٌ ؛ والصواب جمعهما بحيث أن تنزّهه فى عين التشبيه، وتشبِّهه فى حكم التنزيه .

وإلى هذا أشار ونبَّه بقوله : **فيا ولدى**[1] . يخاطب تلميذه بدر الحبشى[*] بقوله، ليسمع غيره : **تنبَّهْ وتَفَكَّرْ فِيمَنْ نَزَّه وشَبَّه** . يعنى : تأمَّل فيمن جمع بين الوصفين : **هل حاد عن سواء السبيل ؟**

كلمات الإستفهام إذا صدرت عن العارف بما يُسْتَفْهم عنه، تكون إما نفياً وإما[2] إثباتاً ؛ لأن المتكلِّم يعرف المعنى، فلا فائدة للاستفهام . و **هل** هنا بمعنى النفى، يعنى : إن كل مَنْ جمع بين التشبيه والتنزيه ، ما حاد عن سواء السبيل.أى ، ما مال عن طريق الله، الذى هو صراط الله فى نفسه. وذلك هو المعبَّر عنه بتجليات ذاته فى حقائق أسمائه وصفاته ؛ فما حاد عن ذلك ، مَنْ كان عن هذا الوصف؛ لأنه عرفه على ما هو الأمر عليه.

---

(١) ف: فيا ولى .

(*) هو عبد الله بن بدر الحبشى الخادم، من تلامذة ابن عربى المباشرين ، لم تفرد له المصادر التاريخية أية ترجمة ،لكنه يُذكر كثيراً فى ثنايا كلام ابن عربى ..وكان هو وإسماعيل بن سودكين، هما اللذان سألا ابن عربى أن يضع شرحاً لديوان **ترجمان الأشواق** لما وجدا الناس يظلمون ابن عربى ويتهمون بعشق ابنة الشيخ رستم ، عشقاً حسياً محضاً .. ففعل ابن عربى ما أشارا به (راجع مقدمة : ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق) .
وتوجد لبدر الحبشى مخطوطة بعنوان **الإنباه على طريق الله** جمع فيها كلام ابن عربى ، وهذه المخطوطة نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وأصلها محفوظ بمكتبة (أمانة) تحت رقم ١٢٧٤.

(٢) أ : وإلا

وهل هو من[1] **علمه في ظلٍّ ظليل** . ولفظة **هل** هنا بمعنى الإثبات ، وتقديره : نعم ، هو من علمه ، أن الحقَّ هو المنَزَّهُ في التشبيه والمشَبَّهُ في التنزيه[2] . **في ظِلٍّ** يعني : في سترٍ مانعٍ ، مستورٍ بصفات الحق عن صفات الخلْق؛ ولهذا كان ظِلُّه ظليلاً[3] .. وإلى هذا أشار القائل ، بقوله[4] :

تَسَتَّرْتُ فِي دَهْرِي بِظلِّ جنَاحِـهِ[5]

فَعَيْنِـي تَـرَى دَهْـرِي وَلَيْسَ يَرانِـي[6]

فَلَوْ تُسْأَلُ[7] **الأَيَّامُ مَا اسْمِيَ ما دَرَتْ**[8]

وَعَنْ[9] **مَوْضِعِي**[10] **لَمْ تَدْرِ**[11] **أَيْنَ**[12] **مَكَانِي**

[الطويل]

فمن هو بهذه الصفة على التحقيق : **هو في خير مستقرٍ**[13] **وأحسن**

---

(١) أ ، هـ، ط : في . والتصويب من (ف)

(٢) هـ : التنزيل .

(٣) هـ : ظليل .

(٤) أ : في قوله ، ط : رضي الله عنه.

(٥) ط : جنابه .

(٦) أ . ط : تراني.

(٧) هـ : سأل .

(٨) ط : ما درت.

(٩) ط : وأين .

(١٠) أ : ملمعي ، ط : مكاني .

(١١) أ : لم تدرى ، ط : مادرين .

(١٢) - ط .

(١٣) أ : مستقراً.

مقيل. لأنه يتنعَّم بتجليات ربِّه بين الصورة والعروج[١] والمعنى، فلا يخرج عنها بوجهٍ من الوجوه، بل يجدها فى كل حالٍ من الغيبة والحضور، والنزول والصعود، والعروج والهبوط ؛ على اختلاف الظهور ، فأمره نورٌ على نور .

ولما فرغ الشيخ[٢] من تعريف حال من له الجمع، رجع[٣] إلى تعريف حال من له الفَرْق، ليميِّز بينهما. فقال : **المنَزِّهُ يُخْلى** ، بالخاء المعجمة ، يعنى: يخلِّى الحق عن صفة التشبيه ، فيعطِّله[*] . **والمشَبِّهُ[٤] يُحْلِي[٥]** ، بالحاء المهملة، المعنى: أنه يُلبس الحقَّ حلية غيره، فيقصره على صورة الخَلْق . **والـذى بينهمـا لا يُخلى ولا يُحلى[٦]** . يعنى : والعارف الذى بين التشبيه والتنزيه ، لا يخلى الحقَّ عما هو له[٧] ، ولا يحليه[٨] بصورة غيره . **بـل يقـول : هـو عـين مـا بطـن وظهـر، وأبْدَر واستتر**. يعنـى[٩] : إن العـارف بوصفـه ، يصـف[١٠] البطـون والظهـور؛

(١) - أ .

(٢) هـ : رضى الله عنه روَّح الله روحه، على .

(٣) العبارة ساقطة من أ.

(*) ينتهى المغرقون فى التنزيه العقلى إلى نوعٍ من تعطيل قدرة الله، حين يسلبون الصفات عن الذات الإلهية ، ويظهر هذا الموقف فى تاريخ الفلسفة القديمة، عند أفلوطين .. كما يظهر فى التاريخ الإسلامى، عند المعتزلة وبعض الفرق الكلامية.

(٤) أ : والمعطل .

(٥) ف : يحلى ويحلى .

(٦) - هـ ، أ : ويحلى.

(٧) هـ : عليه.

(٨) أ : يحلبه / هـ ، ط : يخليه.

(٩) أ : يريد .

(١٠) ∴ يوصف .

فبصفة[١] الكمال الحكمي له البطون، وبصفة[٢] تعيُّن الوجود[٣] له الظهور . فهو ، أى الحق: عينُ ما أبدر، أى صار بدراً بالكمال والجمال والجلال **وعينُ ما استتر** أى استتر باللباسات[٤] الخلْقية . **فهو** ، أى الحقُّ تعالى . **الشمس والقمر**، أى العبد والرب . **والعالم له** أى لله تعالى . **كالجسد للنفس**[٥] ، وكالصورة للمعنى، فالخلْق صورة الحقِّ ، والحقُّ معنى الخلق[٦] ؛ فلا خلو للمعنى عن الصورة ، ولا للصورة عن المعنى .

[الجمع والفرق]

ولهذا ، قال[٧] : **فَمَا ثَمَّ الاَّ جَمعٌ** . يعنى : ما[٨] ثم ظهورٌ للحقِّ إلا بالخلْق[٩] ، ولا ظهور للخَلْق إلا بالحقِّ ؛ فلا وجود إلا[١٠] لصورة الجمعية بينهما، لأن الله[١١] عينُ كلِّ موجود .. ولمَّا لم يوجد فى الوجود خلقٌ خالٍ[١٢] عن وجود الحقِّ[١٣] ، ولا حقٌّ خالٍ[١٤] عن وجود الخلق . قال : **ما فى الكون**

---

(١) ∴ فصفة .

(٢) ∴ وصفة .

(٣) أ : التعيين والوجود .

(٤) هـ : بالأسباب

(٥) – هـ.

(٦) هـ : للحق.

(٧) هـ : رضى الله عنه .

(٨) هـ : أى فما.

(٩) ط : بالحق.

(١٠) – هـ .

(١١) ط : الله تعالى.

(١٢) ∴ خالياً .

(١٣) هـ : الخلق .

(١٤) ∴ خالياً .

صَدْعٌ . الصدع فى اللغة، هو الشقُّ الفاصل بين جزئىٍّ الجدار .. استعاره[1] هنا، للثنوية[2] والمتوَهمَّةِ بين الخلق والحق. وتقديره : ما ثَمَّ أمرٌ فاصلٌ بين الله وبين العالم، بل هو عين العالم والعالم عينه ! **فإن تَوَهَّمْتَ فاصلاً** ، **فإنما هو** من حيث وَهمْك لا غير . لأن[3] العالم له ، كهيكل الإنسان[*] للنفس الناطقة.

إن لم يكن الأمر كذلك . يعنى : إن لم تكن[4] حقيقة الأمر ، على أنه عين العالم، وأن العالم عينه . **فما ثَمَّ[5] شئٌ هنالك**، فما ثَمَّ شيءٌ زائدٌ على العالم وحقيقته؛ فاترك ما توهَّمته من أنه خارجٌ عن حقيقة العالم ، وأن وجوده أمرٌ[6] زائدٌ على الكون؛ واعلم أنه[7] عيْنك وأنت عَيْنه .

والأمرُ موجودٌ . يعنى : ذات البارى تعالى ، أحدى[8] العين **موجودٌ فى** جميع ما يتصوَّره من صفتى الحقِّ والخلْق ، فهو واحدٌ العين فى كثرة تعدادات[9] الأين[10] . **لا بل وجود** . نَفَى الكثرة ، لأنه عين الوجودد المطلق، فلا تعدُّد[11]

---

(١) هـ : وهو استعارة ، ط : واستعمالها.

(٢) أ : للبينونة .

(٣) أ : فأن.

(*) يقصد ؛ الجسم الإنسانى.

(٤) ∴ يكن.

(٥) – ط .

(٦) ط : ليس أمر.

(٧) هـ : انك .

(٨) ط : واحد .

(٩) هـ : تعداد .

(١٠) أ : العين .

(١١) هـ : تعداد .

فى الوجود . ومن هنا نَكّرَهُ ، فقال **وجود** و لم يقل **الوجود** لكون الكثرة عين الواحدية ، من غير تعقُّل مباينةٍ، لأنه عين التباين والتطابق .

والحكْمُ . يعنى[1] : آثار الصفات الإلهية فى الذوات[2] المخلوقة . **مشهودٌ لا بل شهود**؛ يعنى : أنها مرئيةٌ وهى عين الرؤيا التى نراها[3] بها، فهى المشهود والشاهد والشهود. **وبالنِّسَبِ صَحَّ النِّسَبُ** . أى ؛ بالربوبية وُجدت العبودية، وبالعبودية وُجدت الربوبية، فلا تعقُّل لأحداهما[4] إلا بالأخرى- كالمعلومية؛ لاتحقُّق[5] بها إلا بالعَالِية ، ولا تحقُّق للعَالية إلا بالمعلومية .. وكلا المرتبتين لا وجود لهما إلا بتعقُّل الصفة العلمية، ولا وجود للصفة العلمية إلا بتعقُّلهما. وكلٌّ واحدٍ من العلم والعالِم والمعلوم نسبةٌ ؛ فما وُجدت النِّسَب إلا بالنِّسَب.

ولولا المسببُ، ما ظهر حُكْمُ السَّبَبِ . المسبب يجوز[6] أن يكون بالفتح والكسر؛ فإن قلنا بالكسر ، كان اسم الفاعل[7] ، وتقديره : لولا الله الذى أوجد الأسباب[8] ، لما ظهر حكمها . وإن قلنا إنه بالنصب ، كان اسم المفعول، يعنى: المسبَّبُ ، الذى هو مفعول السبب، أعطى السبب حكم السببية. فكما أن القلم ، الذى هو سبب الكتابة ، علةٌ لوجود المكتوب ؛

---

(١) هـ : هى ، ط : هنا .

(٢) هـ : الصفات .

(٣) أ : يراها .

(٤) ∴ احدهما .

(٥) العبارة ساقطة من ط.

(٦) ط : يجوز فيه .

(٧) أ : فاعل .

(٨) ط : الأشياب !

كذلك المكتوبُ علةٌ لنسبة السببية إلى الكتابة ، كما أن كلا منهما علةٌ لنسبة السببية إلى الكاتب. وكذلك الكاتب، علةٌ لنسبة السببية إلى القلم، كنسبة[1] السببية إلى المكتوب .. فبالمسبِّب، الذى[2] هو فاعل ؛ وبالمسبَّب، الذى هو مفعول؛ ظهر حكم السبب عنهما . فكان هذا به فاعلاً، وكان[3] هذا به مفعولاً! فارتبط الأمر بعضه ببعض . ولهذا قال : **فإن قلت : ليس كمثله شئ[*]، زال[4] الظلُّ والفيء ، والظلُّ ممدودٌ بالنص[**] ، فعليك بالفحص[5] .**

إعلم أيّدنا الله وإيّاك، أن الشيخ - رضى الله عنه - ذكر فى[6] غير موضع من مؤلفاته، أن الكاف فى ﴿ليس كمثله شئ﴾ يحتمل أن تكون زائدة ، فيكون المعنى : ليس مثل الحق شئٌ ، لأنه عين الوجود كله، فلا مثل للوجود.. لأنه لو كان للوجود مثلٌ، لصحَّ أن يُطلق عليه اسم[7] الوجود . فالواحد أمرٌ واحدٌ، لا مثل له على الحقيقة.

ويحتمل أن تكون الكاف تشبيهيةً ، فيكون معناه[8] : ليس كالإنسان ،

---

(١) أ : ولنسبة .

(٢) - هـ.

(٣) - أ، هـ.

(*) سورة الشورى ، آية ١١.

(٤) ف : زل .

(**) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل .. ﴾ الفرقان /٤٥ .

(٥) ف : البحث والفحص.

(٦) ط : فى هذا .

(٧) - ط.

(٨) هـ : المعنى .

الذى هو مِثْلُ الحقِّ ، شئٌ . لأن[1] الإنسان نسـخة الحـقِّ والخلْـق ، وا الله تعـالى عينُ الحقِّ والخلْق . فهو -أى الإنسان- موصوفٌ بكل ما يوصـف[2] بـه الحـق، ومنعوتٌ بكل ما يُنعت به الخلْق . فهو المثل الذى لامثل له ، وهذا معنى ﴿ليس كمثله شئ﴾ .

فإن غلب[3] عليك شهودُ الأحدية المنزَّهة عن الكثرة، انعدم وجود الخلـق عندك، وزال الظلُّ والفئ . لأن العالم ظلُّ الله، فـيزول ؛ لأنـك لم تشـهد شـيئاً سوى الوحدة المحضـة، فـلا ظهـور للظـلِّ، لأن الظـلَّ يحتـاج إلى نـورٍ مفيـض[4] وظلامٍ قابل للصورة المتوسطة بين النور وبـين المحـل ، وبظهـور الوحـدة، ينعـدم ذلك؛ فلا كثرة بوجـه مـن الوجـوه ، لقولنـا إن الوجـود شـئٌ واحـدٌ فـى كـل موجود، فلا تعدُّد للوجود ، وإذن[5] فلا تعدُّد للموجودات. لأن الوجـود علـى الحقيقة، هو عين الموجودات؛ فظهرت الواحدية ، وبظهورها بطنـت[6] الكثـرة، فزال الظل والفئ المعبِّر عنه بما[7] سوى الله ..

والسوى موجودٌ، والظلُّ ممدودٌ. **فعليك بالفحص والبحث**[*] لتجمـع[8]

---

(١) هـ : لا.

(٢) + ط .

(٣) - أ ، ط : غلبتك .

(٤) ط : للفيض .

(٥) هـ ، ط : وإذا .

(٦) أ : بطنه .

(٧) ∴ به عما ! ويبدو أنه من سهو المؤلف لا النُّسَّاخ .

(*) يلاحظ هنا أن الجيلى عاد لكلمتى **الفحص والبحث** الواردتين فى متن الفتوحات المكيـة ، و لم تذكرهما معاً نسخ الشرح فى الفقرة السابقة .

(٨) ط : تجمع .

فى الحقيقة بين القول[1] بأن الأمر ﴿ليس كمثله شئ﴾[*] وبين ﴿أنه هو السميع البصير﴾[**] وحينئذٍ تجمع بين التنزيه والتشبيه . فعليك بالكشف عن هذه النكتة[***] ، لتجدها إن شاء الله تعالى .. وقد شرحنا لك فى هذه النبذة ، جميع ما فى الباب الثالث من كتاب الفتوحات . والله الموفق ، لا ربَّ غيره .

* * *

---

(١) أ ، ط : القولين .

(*) سورة الشورى ، آية ١١.

(**) سورة يوسف ، آية ٣٤ .. سورة فصلت ، ٣٦.. سورة الدخان ٦ .

(***) أ : النكرة ، هـ : النكتته ! والنكته : الدقيق المعنى من القول ؛ ونكت : أشار (انظر : لسان العرب، مادة نكت)

البَابُ الرَّابِع

مَا هَـٰذِهِ المظَاهِرُ المشْـهُودَةُ، إلاَّ
عَيْنُ الظَّاهِـرِ فِيهَـا؛ وَهُـوَ اللهُ .

[خَلْق العـالـم]

قال الشيخ رضى الله عنه : **ومن ذلك** أى ، ومن بعض مـا تضمنّـه هـذا الباب[1] . **سرُّ البدء[2] اللطيفُ ، وما جاء فيـه مـن التعريف** . يريـد[3] : سِرُّ بداء العالم ... واللطيف صفة سِر البداء[4] ، والضمير راجعٌ إلى السر.

وسوف أُنبهك على مقدمةٍ ، تعرف بها معنى[5] كـل مـا يـرد فـى هـذه النبذة ، التى جمعت[6] جميع ما فى الباب الرابع من كتاب الفتوحـات[7] المكيـة. وذلك : إن الله تعالى لما أحبَّ فى شأن ذاته البطونى ، أن يظهر فى كنزيتـه[*] ، لما يقتضيه شأن ذاته الظهورى[8] من الظهور على حكم شؤونه الذاتية. فتشـكَّل وتصوَّر بأشكال العالم وصوره ونسبه وإضافاته وأحكامه جميعاً، صورةً ومعنىً ، بطوناً وظهوراً ، فناءً وبقاءً، عيناً وحكماً ، وجـوداً وشـهوداً. فمثلـه تعـالى فـى هذا المعنى ﴿و لله المثل الأعلى﴾[**] كمثل النفس الناطقة فـى هيكـل الإنسـان ،

---

(١) هـ : من الفنون والعلوم .

(٢) أ ، هـ : البدو / ط : البداء .

(٣) – أ ، ط : يريد بهذا .

(٤) أ : النداء ، هـ : البدو .

(٥) – هـ.

(٦) هـ :جمعت فيها.

(٧) أ : من الفتوحات .

(*) يعتمد الجيلى هنا على الحديث القدسى : كُنـتُ كنزاً مخفياً ، فأردت أن أُعرف، فخلقت الخلق، فبه عرفونى .. وهو حديثٌ مطعونٌ فى صحته.

(٨) أ : الظهورية ، هـ : الظهور .

(**) سورة النحل ١٦.

إذا حدَّثت نفسها بنفسها[١] ، فتكون هى المتكلِّمة والسامعة ، وهى عين كلامها[٢] ؛ لأنها تتصوَّر لنفسها بصورة مفهوم ما تكلّمت به .. فهى الكلامُ والمتكلّمُ والسامع . وكذلك الحق تعالى ، عينُ المسمَّى بالخلْق ، وعين الخالق له[٣] المسمَّى بالحق . يبدو ان لأسمائه وصفاته ، ترتيباً تقتضيه كل صفةٍ، لما هى[٤] عليه فى شأنها . فلكل اسمٍ مرتبةٌ فى ظهور العالم، فهو ناظرٌ إلى العالم، من حيث تلك المرتبة والمقتضى ، لإيجاد الكون[٥] من جهة تلك الصفة. فنقول[٦] -مثلاً- إن الصفة العلمية أول متوجهةٍ لإيجاد العالم[٧] ، وإن الصفة الإرادية أو متوجهة لتخصيص كل شئ على ماهو عليه من الهيئة والترتيب، وإن الصفة القادرية أول متوجهة[٨] لظهور العالم فى الحس. لكن توجُّه كل صفة من هذه الثلاثة المذكورة ، على ترتيب ذكرها ؛ فالعلم[٩] له التقدُّم، ثم الإرادة ، ثم القدرة .. وعلى ذلك فقسْ واحكُم ، إلى أن تستوفى جميع الأسماء والصفات ؛ فإن أحكامها المتعلّقة أعيانٌ وجودية، يسمعها الكاشف ويراها. فاعتبر ذلك حتى تستوفى مقتضياتها، إلى أن يتمَّ الأمر بظهور كل المراتب الكونية .. علوّاً وسُفلاً .. لطيفاً وكثيفاً .

---

(١) أ : فى نفسها .

(٢) - أ .

(٣) ط : الإله .

(٤) - أ .

(٥) ط : الكونين.

(٦) أ : فتقول.

(٧) كلمات هذا الموضع ، مضطربة فى كل النسخ.

(٨) هـ : متوجه .

(٩) أ : فالعالم.

فتنبَّه لهذه المقدمة[1] ، تفهم جميع ما أراده الشيخ -رضى الله عنه- بقوله: **إن العالم علامةٌ** . يعنى أنه علامةٌ على موجده تعالى، يُعرف هو -سبحانه - بالعالم وتحقيقه ؛ أن كلَّ وجهٍ من وجوه العالم راجعٌ إلى صفةٍ من الصفات الإلهية. وتقدير ذلك : إن العالم من حيث كونه موجوداً[2] ، أثرُ صفة اسمه الموجِد؛ ومن حيث[3] كونه على هيئةٍ مخصوصةٍ ، أثر اسمه[4] المريد ؛ ومن حيث كونه[5] بارزاً - من غير مادةٍ، ولا تعيُّن[6] - أثر اسمه القادر ؛ ومن حيث[7] كونه مخلوقاً ، أثر اسمه الخالق؛ ومن حيث كونه مرزوقاً ، أثر اسمه الرازق؛ ومن حيث كونه مرئياً ، أثر اسمه البصير ؛ ومن حيث كونه مسموعاً ، أثر اسمه السميع .. وقسْ على ذلك؛ فهذه الأسماء هى المظهرة لأعيان[8] هذه الآثار، وإن شئت قلت : هذه الآثار هى التى أظهرت هذه الأسماء .. وعلى الحقيقة، هو واحدٌ فى[9] واحدٍ لواحد .

فلهذا قال[11] : **بَدْؤُهُ مِمَّنْ، فهو علامةٌ على مَنْ** . يعنى : إذا كان الحقُّ

---

(١) - هـ .

(٢) - ط ، أ : موجود .

(٣) - أ ، ط.

(٤) أ : اسم.

(٥) الكلمة ساقطة من كافة النسخ !

(٦) - هـ ، أ : معين ، ط : معنى .

(٧) - ط .

(٨) أ : للأعيان.

(٩) هـ : عز وجل .

(١١) أ : بدو / هـ ، ط : بدأ .

عينُ العالم، فمن أين بدء[1] العالم؟ بل هو في نفسه ، كما كان عليه . فإذن : ليس هو علامةٌ على شيءٍ ، لأنه ما ثَمَّ غيره[*] . فلا يُقال إن الشيء الواحد ، يكون علامةً على نفسه لنفسه. إذ لا مغايرة في نفسه لنفسه، فلا بدأ ، ولا ظهر، ولا بطن، ولا استتر ؛ إذ الحقُّ هو الكُلُّ[**]. وإلى هذا المعنى، أشار بقوله: **ما استتر عينٌ ، حتى يظهر كونٌ** .. يعني : ما استترت[2] ذاته ، ليظهر غيره .

ولما تحقَّق الشيخ -رضي الله عنه- بشهود واحدية[3] الحق تعالى في كثرة الموجودات، وعاين كثرة تنوعات تجلياته في الأسماء والصفات؛ قال : **رأينا رسوماً ظاهرة**. أراد بالرسوم ، الأسماء والصفات التي هي الظاهرة في العالم بحقائقها وآثارها . **ورأينا ربوعاً**. يعني بذلك ، المظاهر الكونية . دائرةً، فانية لظهور الحق تعالى . **وقد كانت** تلك المظاهر الكونية، التي يُعبر عنها بالسوى والعالم. **قبل ذلك**. أي ، قبل شهودنا فيها أَحديةَ الحق : **عامرةً** لكوننا كنا نراها، ونظنُّ أن لها وجوداً؛ فكانت من حيثنا ، وجوديةً **وناهيةً وآمرةً، فسألناها: ما وراءك يا عصام[4]** ؟

---

(١) أ : بدو / هـ ، ط : بدأ .

(*) لايرمى الجيلى هنا إلى القول بأن العالم بدأ مع الله، فيكون بالتالى قائلاً بقدم العالم .. وهى القضية التى كَفَّر الإمام الغزالى القائلين بها ! بل يقول الجيلى أن العالم لا وجود له أصلاً ، على الحقيقة .. ولسوف يؤكد الجيلى هذا المقصد فى بقية الشرح. والضمير فى غيره هنا، يشير إلى الله تعالى .

(**) يؤكد الجيلى هنا بوضوح ، تلك النظرية القائلة بالوحدة المطلقة ، وهى وحدة الذات الإلهية، حيث يتلاشى الخلق ولا يبقى فى وعى الصوفى الكامل ، إلا الحق تعالى .

(٢) أ : استتر.

(٣) أ : واحدية أحدية.

(٤) ف : باعصام !

تكلّم الشيخ على لسان[1] حال الوجود . فكلُّ منْ نظر بعين اليقين، وجد[2] الله وراء الموجودات ، من حيث استنادها إليه الاستناد الإيجادى؛ وإن شئت قلت: من حيث كونها مظاهر، وهو الظاهر . ولأجل ذلك، قال إن الحال أجابة؛ **فقالت[3] : ما يكون بـه الاعتصام** . الاعتصام هو الاحتفاظ ، فلولا نظرُ الله فى العالم و جُودُه[4] ، لعُدِمَ العالم؛ فبالله عِصْمة[5] العالم وحِفْظه.

ولهذا قال : **فقلتُ : ما ثَمَّ إلا الله وحَبْله ، وما لايسع أحَدٌ[6] جَهْلـه.** يعنى: ما هذه المظاهر المشهودة[7] ، إلا عين الظاهر فيها، وهو الله . وحبله الذى به الاعتصام ، هو صفاته الحاكمة بتنوع الموجودات. فشبّه الاعتصام بالحبل، للارتباط المعقول بين الأثر والمؤثر ؛ وعن ذلك كَنَّى بقوله **ما لايسع أحداً جهله** لظهور آياته فى[8] مصنوعاته.

فقال يعنى : لسان حال[9] العالم : **لولا الكثائف** يعنى : المخلوقات التى هى حُجُبٌ[10] على صانعها ، لأن الحجاب من طبعه أن يكون كثيفاً ، وإلا لما

---

(١) هـ : بلسان.

(٢) هـ : رأى .

(٣) أ ، هـ ، ط : فقال !

(٤) ط : فى وجوده.

(٥) أ : أعصام عصمه .

(٦) أ ، هـ : أحداً .

(٧) هـ : الموجودة المشهودة.

(٨) هـ . فى حال .

(٩) هـ ، ط

(١٠) العبارة التالية ساقطة من أ .

حجب . فلولا هذه الحجُبُ الكثيفة : **ما عُلمت اللطائف** أراد باللطائف : حقائق الأسماء والصفات . **ولولا آثارها** . الضمير راجعٌ إلى اللطائف ، يعنى ولولا آثار الأسماء والصفات . **ما ظهر مَنارها** . أى منار الكثائف التى هى المخلوقات على الإطلاق ؛ يعنى : لولا العالم ، ما عُرفت أسماء الحق[1] وصفاته؛ ولولا أسماء الله وصفاته ، لما ظهر العالم .

فمن خَبَتْ[2] نارُهُ ، انهد[3] منَارُهُ[4] . يعنى : فكلٌّ مظهرٍ سكنت ناره – لبطون تجلى الإسم الحاكم عليه – انهدم وفَنِيَ[5] من حيث الحس ، فصار[6] **له حضرة القُدْس،** على ما كان عليه ؛ لأنه كان ثَمَّ قبل ظهوره ، وصار إليه بعد بطونه. فما ازدادت حضرة القدس بدخوله فيها، وما انتقصت بخروجه عنها.

وما ينمُّ به إلا الحسُّ . يعنى : وما ينمُّ بوجود الموجودات، إلا مراتب الحِسِّ. **لولا الحِسُّ** . أى، العالَم المحسوس الدالُّ على الله. بشهود الأثر[7] . برؤية أثر الأسماء الإلهية، والصفات[8] الكمالية ، فلولا ذلك. **ما عُرف للطيف خَبيرٌ**. اللطيف هو الله، وتقديره : لولا الموجودات ، لما عُرف الموجد[9]

---

(١) هـ : تعالى .

(٢) ط : حيث .

(٣) أ : انهدت / أ ، ط : انهدم .

(٤) ط : جداره.

(٥) أ : فنا .

(٦) – هـ .

(٧) أ : شهود .

(٨) أ : الوجد

(٩) – هـ.

سبحانه[1] وتعالى.

[النفس الإنسانية]

ولما فرغ الشيخ -رضي الله عنه- من الكلام على العالم عموماً ، خَصَّصَ بذكر الإنسان . فقال : **النَّفْسُ عمياءٌ** . يعنى[2] عن شهود كمال الله تعالى. **للقُربِ[3] المفرط** . حيث يقول الله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد[*]﴾ لأنه سبحانه[4] عينُ النفس، فجهلت النفسُ حقيقتها من أجل ذلك القرب، ومن أجل ما تشهده الحواس[5] من كثائف الحجُبِ وظاهر الأمر. فصارت النفس بواسطة هذين الأمرين ، جاهلة بالله طَبْعاً .

وهى ، يعنى النفس : **الصَّمَّاء عن إدراك الوسواس[6]** . أراد بالوسواس، الخواطر الإلهية التى ترد على النفوس بالفطرة[7] . وإنما صُمَّت آذان النفوس عن إدراك هذه الخواطر ، لأن المادة[8] حاكمةٌ على النفس بالعقل[**] والمقتضيات البشرية، فامتنعت عن سماع ما يرد من الحق لأجل ذلك. **وهى الخرساء[9] فلا**

---

(١) – هـ .

(٢) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٣) هـ : عن القرب ، ط : المقرب .

(*) سورة ق ، آية ١٦.

(٤) ط : وتعالى.

(٥) أ : يشهده، هـ : يشهد ، ط : يشهد الخواص.

(٦) هـ : الوساوس ، ط : المحسوسات.

(٧) العبارة ساقطة من هـ.

(٨) أ : السعادة .

(**) العقل هنا إشارةٌ إلى القياس الظاهرى والإستدلال الحسى.

(٩) أ : الحرضاء ، ط : الخرصاء.

تفصح . يعنى: إن النفس صارت خرساء بالطبع الحيوانى ، فلا تُفصح عن سرٍّ من الأسرار الإلهية المودعة فيها ، لكونها بشريةٌ بحكم الطبع فى قيد[1] الجسم وحَصرِه.

وهى[2] . يعنى النفس : **العجماء** . إنما اعتجمت[3] النفس بفراقها[4] ما فى[5] قابليتها من الكمالات؛ وإنما فارقته لعدم اشتغالها به، بسبب ما أخذها[6] عنه من الأمور الحِسيَّةٌ . **فلا تعقل** النفس ما هى حاويةٌ له من الكمالات الإلهية[7] **فتوضح** وتُخبر عنه.

ولولا اشتغالها عن المعنى بالحِسِّ ، لظهر بالفعل ماهو باطنٌ[8] فيها بالقوة[*] من أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال. وإلى ذلك أشار بهذه الأبيات :

سَرَى اللَّطيفُ مِنَ اللَّطيفُ فَنَاسَبهْ ... وَبَدَا لَهُ مِنْهُ الخِلاَفُ فَعَاتَبهْ

[الكامل]

اللطيفُ الأولُ هو النفس ، واللطيف الثانى هو ذات واجب الوجود[**] .

---

(١) أ : وفى هذا .

(٢) الكلمة غير موجودة فى الفتوحات !

(٣) ط : اعجمت.

(٤) هـ : لفراقها ، ط : لفراقتها.

(٥) أ : ما هو .

(٦) هـ ، ط : ماخذها.

(٧) أ : الكمال الإلهى.

(٨) أ : بالظن .

(*) راجع معنى القوة والفعل فيما سبق .

(**) واجب الوجود، هو الله تعالى .. وهذه التسمية متداولةٌ بين الفلاسفة !

يعنى : إن النفس على الحقيقة، مخلوقةٌ من نور ذات الواجب بذاته[1] ؛ ولهذا وُجدت فيها من الكمالات[2] ، جميع ما وصفت الحقَّ به- وقد بيَّنا كيفية مضاهاتها للحق والخلق على التفصيل ، فى كتابنا الموسوم **بإنسان عين[3] الوجود، ووجود عين الإنسان الموجود**[*] فمن شاء أن يعلم ذلك، فليُطالع فيه- وحوت من النقائص جميع ما فى[4] الوجود؛ فجمعت من كلا وصفى[5] الحق والخلق، ما استوعب الأمر على ما هو عليه. ولهذا قال **فناسبه لأن الحقَّ** تعالى جامعٌ لذلك[6] ، فحصلت المناسبة بين النفس - التى هى روح العالم الإنسانى - وبين الحق ، الذى هو روح العالم.

وأما قوله **بدا له منه الخلاف**[7] فهو إشارةٌ إلى ما يقع للنفس من النزول والركون إلى المقتضيات الأرضية التى لأجلها يكون العتاب[8] ، وإليه الإشارة[9] بقوله **فعاتبه** .. ثم قال :

وَتَوجَّهتْ مِنْهُ إليه حُقُوقُهُ ... فَدَعَاهُ للقَاضِى العَلِيمِ وَطَالَبهْ

---

(1) هـ : واجب الوجود .

(2) أ : الكمال.

(3) - هـ .

(*) إنسان عين الجود ووجود عين الإنسان الموجود : هو كتابٌ مفقودٌ من كتب الجيلى ، وقد عرضنا للفكرة التى يشير إليها هنا ، فى بحثنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى (راجع صفحات ٥٣ : ٨٥) .

(4) أ : ما أمكن .

(5) هـ : كل وصف .

(6) ط : كذلك.

(7) أ : الخلافة ، ط : الخلافة فعاتبه.

(8) .: العذاب .

(9) هـ : أشار .

يعني : واقتضى الحال أن يتوجَّه على النفس حقوقٌ كثيرة لموجدها، إذ للصانع حقٌّ على مصنوعه لاينكره العقل طبعاً(*) ، والقاضى هو العقل ، فعبَّر عن إرجاع الحق للنفس إلى العقل – لتعرفه النفس – بقوله **فدعاه للقاضى العليم** فطالبه ، بأداء حق الصانع عليه. ونَعَتَ القاضى – المعبَّر به عن العقل– أنه عليمٌ .. لأن العقل من طبعه درك الأمور كلها، لما أودع الله فيه من مكنون علمه، كما سبق بيانه[1] . فعندما[2] رجعت النفس إلى مقتضى العقل، عَرَفتْ بحكم العقل، أن نزولها[3] إلى مقتضى حكم الجسم وَبَالٌ عليها، فعبَّر عن هذا المعنى بقوله: **نَادَىَ عَلَيْـهِ**(**) . يعنى : نادى العقل على النفس **تجرُّساً** التجريس، التعزيز على سبيل الإهانة تهكُّماً[4] إذ العقل يقضى[5] أن يكون : **هَذَا جزاء مَنْ عَامَلَ الجِنْسَ**[6] **البعيد وَصاحَبَهْ** . الإشارة بقوله **هذا** إلى النزول والإنحصار والتقييد[7] والعجز والإحتباس[8] بحكم سجن الطبع ، فذلك جزاء كل نفسٍ اشتغلت بالظاهر عن حكم الباطن ؛ لأنها تألفه وتنسى ذلك المعنى

(*) يقصد ، العقل طُبِعَ على عدم إنكار حق الصانع.

(١) أ : علمه .

(٢) .·. فعندأن .

(٣) هـ : ردها .

(**) في الفتوحات ، ورد البيت على النحو التالى :

نـادى عليه مجرسا هذا جزاء   من عامل الجنس البعيد وصاحبه

والهمزة فى كلة (جزاء) زائدة ، وتستقيم الوزن العروضى بحذفها .

(٤) ط : تحكما .

(٥) هـ : يقتضى.

(٦) ط : الحبس .

(٧) ط : القيد .

(٨) هـ : الاحساس .

طبعاً . فما أنزلها عن التحقُق[1] بحقائق الكمال، إلا فعلها .. فإذن، نزولها جزاء ما صنعت.

وعن الجسم ومقتضياته ، عبَّر بالجنس البعيد . فنزول النفس إلى العجز[2]، لأمرين .. أحدهما ، العمل بمقتضى الجسم[3] ؛ والثانى ، مصاحبة الجسم[4] . فالأول عارضٌ ، والثانى لازمٌ . فينبغى أن يسعى المرء أولاً فى زوال حكم العارض، حتى إذا انفكَّ عن الجسم[5] ، حصل له اللازم أيضاً.. فيخلص إلى الكمال المطلق من كل وجه.

وعن الرجوع عن المقتضيات البشرية ، عبَّر بقوله :

لِيَتُوبَ مَنْ سَمِعَ[6] النِّدَاءَ فَيَرعَوى
عَنهُ وَيَعْلَمَ أنهُ إنْ جانَبَهْ
تظْفَرْ يَدَاهُ بِكُل خَيرٍ شامِلِ
فَاستَعْمَلَ الإرْسَالَ[7] فِيهِ وكَاتَبَهْ

اللام[8] فى **ليتوب** للتعليل ، يعنى : إنما نادى العقل مجرساً للنفس ،

---

(١) ..: التحقيق .

(٢) هـ : للعجز

(٣) أ : الجنس .

(٤) هـ ، ط : مصاحبته الجسم .

(٥) -هـ .

(٦) أ : سماع / هـ، ط : يسمع .

(٧) ط : الاسترسال .

(٨) أ : اللازم .

لتحصل منها التوبة ، وهى[1] الرجوع عن حكم الجسم ومقتضاه[2] ، إلى الحق؛ فتلزم مشاهدته منها فيها – ولتعلم النفس، بما أوضحه العقل، أنها إن جَانَبَت[3] الجسم –المعبَّر عنه بالجنس البعيد[4] – فتركت العمل بمقتضاه ، وخالفت أحكامه ؛ ظفرت يداها بالصفات الإلهية ، التى هى قوة[*] النفس وقابليتها ، فتستعمل[5] الإسترسال فى ذلك بشهودها[6] لحقائقها[7] الحقيقية ؛ لأنها عين المعبَّر عنه بالذات الإلهية ، وإلى[8] النفس أشار بقوله : **هو اللطيف فى أسمائه الحسنى ، وبها ظهر الملأ الأعلى والأدنى**[9] . يعنى : إن النفس المعبَّر عنها بالذات، ظاهرةٌ فى الأسماء الحسنى والصفات العليا التى ظهرت[10] بواسطتها الموجودات ؛ فالضمير[11] فى قوله **بها** راجعٌ إلى الأسماء الحسنى . وقد شرحنا لك فى أول هذه النبذة ، عن كيفية كونها توسَّطت فى إيجاد هذا العالم .

وعبَّر عن ذلك بقوله : **لما تجاوَزَتْ تحَاوَرَتْ** الأول بالجيم ، والثانى بالحاء المهملة . يعنى : لما حصلت المحاورة بين الأسماء الإلهية والصفات الربانية، لأنها

---

(١) أ : وهو .

(٢) هـ : ومقتضياته .

(٣) ط : خاينت .

(٤) أ : بالذات الإلهية ، ط : بالحبس البعيد .

(*) القوة هنا تعنى : استعداد النفس .

(٥) أ : فسهل.

(٦) أ : لشهودها ، هـ : شهودها .

(٧) هـ : الحقائق .

(٨) ط : والى ذلك أى.

(٩) هـ : الأصفى .

(١٠) أ : ظهر .

(١١) هـ : والضمير .

كانت فى محلٍ واحدٍ فخاطبت[1] بعضها بعضاً[2] بحكم المقتضى ؛ وعن ذلك عبَّر بقوله **تحاورت**[3] . وقد قلنا لك إنها طلبت[4] ظهور آثارها ، وإن الكلام على الحال . وذلك واقع صورةٍ فى الآزال ، عُلِمَ تحقُّقه[5] .

وعن لسان[6] حالها المطالِب بمقتضى آثارها ، عبَّر بقوله : **ولما تكاثرت، تسامرت. فرأت[7] أنفسها على حقائق ، مالها من[8] طرائق** . يعنى : رأت الأسماء[9] والصفات أنفسها على حقائق مختلفة ، فلتلك[10] الحقائق ظهورٌ فى الوجود. فكان الأمر : **سماؤها مالها من فروج** . كَنَّى عنها بالسماء ، لأن السماء لها[11] العلو على الأرض ، كما أن المؤثِّر له العلو على ما أثَّر فيه؛ وإنَّى بقوله **ما لها فروج** عن عدم ظهور مؤثراتها فى ذلك الموطن، فاقتضاه حالها؛ وعن ذلك عبَّر بقوله : **فطلبت(*) أرضاً تُنبت[12] فيها من كل زوجٍ بهيج** .

---

(١) هـ : فخاطبتا .

(٢) هـ : ببعض .

(٣) هـ ، ط : تجاورت .

(٤) أ : طلبت منها.

(٥) كلمات هذا الموضع مضطربة وغير مفهومة فى كافة النسخ .

(٦) أ : لسانها .

(٧) هـ : ظهرت .

(٨) – ف .

(٩) هـ : الحسنى .

(١٠) هـ ، ط ، فتلك .

(١١) أ : له.

(*) لم يشرح الجيلى هنا، عبارةً وردت فى الفتوحات ، تقول ومع هذا فلها نزول وعروج وربما كانت كلمة عروج هى التى جعلت الجيلى ينصرف عن شرح هذه العبارة ، لأنه هنا يتعرض لتنزُّلات الأسماء والصفات وليس لعروجها .

(١٢) أ : نبتت .

يعنى : طلبت الأسماءُ والصفاتُ الإلهية، المعبَّر عنهـا بالسـماء ، أرضـاً؛ أى محـلاً تظهر فيه آثارها . وعن ذلك عبَّر بقوله **تنبت فيها من كـل زوجٍ بهيـج** يعنـى: فاشتاقت أن تُظهر هـذه الأسمـاء والصفـات ، كُـلٌّ معنـى لطيـف مـن معـانى[1] آثارها ، فى الموجودات .

فقـالت . أى لسـان حـال[2] الأسمـاء والصفـات، عنـد اقتضـاء الظهـور: **المفتاح فى النكاح**. يعنى : فتح باب الإيجاد، بظهور الكون فى تناكح الأسماء، أى توالُج بعضها فى بعض ، لظهور[3] هذا العالم. فعبَّر عن دخول حكم الأسماء بعضها على بعض ، بالتكاح[*] .

ولابدَّ من ثلاثة ليصح النكاح المعنـوى. ولأجـل ذلـك بُنـى عليـه النكـاح الصورى[**] ، فلا يصـحُّ النكـاح فـى ظـاهر الأمـر ، إلا بثلاثـة . وهـم : **ولىّ ، وشاهدىّ[4] عدلٍ ، لهذا القضـاء الفصـل**. فالثلاثـة المتصـدرة[5] المشـروطة فـى نكاح الأسماء الإلهية ، هم : الاسـم الذاتـى ، وهـو الله. والاسـم الرحمـن، لأنـه

---

(١) + ط ، هـ : المعانى .

(٢) – ط .

(٣) العبارة ساقطة من هـ .

(*) يقع بعض الباحثين فى خطأ فاحش ، حين يفهمون مصطلح النكاح بحسب المعنى الحسى للكلمة. فنرى منهم مَنْ يقول إن القطب الصوفى يحب النساء ! لأنهم قرأوا فـى الفتوحـات أن القطب كثير النكاح والحقيقة ، فالمراد هنا هو : كثرة تصرف القطب فـى الوجـود، بمقتضى الأمر الإيجادى ؛ كن.

(**) يقصد عقد الزواج المعروف ، الذى لايصح إلا بولى أمر العروس وشاهدين.

(٤) أ ، هـ شاهد ، ط : شاهدان.

(٥) ط : المتصورة .

يرحم[1] أسماءه وصفاتـه فيُظهر[2] آثارهـا . والاسـم الرحيـم ، لأنـه بـه تُرحـم الموجودات.. هذا نكاحٌ أقدسيّ، وثَمَّ نكاحٌ قُدسيّ !

والثلاث المشروطة فى الأسماء ، لنكاحها الثاني وتداخُل بعضها فى بعـض لظهـور العـالم كلـه – أعـلاه وأسـفله ، أولـه وآخـره – هـو : العلـم والإرادة والقـدرة[3] . فـالعلم هـو محـل ظهـور المعلومـات ، ومنصَّـة[4] وجـود الأسمـاء والصفات. والإرادة هى المخصصة لكل موجودٍ ، على حكم مـا يقتضيـه حـال الكمال. والقدرة هى المبرزة له من[5] العلم إلى العين[*] .. فهذه شروط صحة[6] النكاح المعنوى الأسمائى الأزلى الأبدى .

فالنكاح الأول ، لتعلُّق الأسمـاء والصفـات بحقائقهـا، ولكمـال ظهورهـا. والنكاح الثانى ، لظهور الموجودات وتحقيق بروزها ، ليتم به مقتضى الكمـال.. فافهم .

ولما كانت الكلمة الإلهية، التى هى مجلى العلم والإرادة والقدرة، وهى[7]:

---

(١) أ : به ترحم أسماؤه.

(٢) أ : فيظهر .

(٣) هـ : القدرة والإرادة.

(٤) هـ : ومنصبه.

(٥) أ : فى .

(*) يكاد الجيلى هنا يجمع بين العلم والقـوة ، وبـين العـين والفعـل . فـالوجود العلمـى هـو وجـود بالقوة، أما العينى فهو وجود بالفعل .. لكن هذا لايصح إلا بـالنظر إلى الكـون الحسـى لتعقُّـل مراتب الإيجاد ، أما على الإطلاق ؛ فالأعيانُ ثابتةٌ فى العلم، بقطـع النظـر عمـا هـو كـائن فـى الكون المادى.

(٦) هـ : صحة شروط.

(٧) هـ : وهى كلمة.

كُنْ .. متعلقةٌ بالمعلوم[1] ، لشمول معانى الكمال له تعالى ، لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿إنما قولنا[2] لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[*] فالشئ هو معلومٌ بالصفة العلمية، ومرادٌ[3] بالصفة الإرادية. وكلمة **كُنْ** هى المتعلِّقة بعين ذلك المعلوم فى العلم، وصفة القدرة هى المخْرِجة له من العلم إلى العين. عبَّر عن ذلك بقوله : **فقال العليم** ، يعنى[4] الصفة العلمية أعطت أنه : **لابد من كلمة كن، لظهور هذه الأعيان الثابتة فى العلم** وخروجها من محلها إلى العالم[5] العينى .

[أسرار البسملة]

وعن كلمة **كُنْ** عبَّر بقوله : **بسم الله الرحمن الرحيم** . ومن ثَمَّ قال بعض العارفين : ***بسم[6] الله الرحمن الرحيم من العارف ، ككُنْ من الله***[**] .. وسوف يذكره الشيخ[7] فيما يلى فى هذا الفصل – إن شاء الله تعالى– ولولا أن الكلام يأتى على ***بسم الله الرحمن الرحيم*** فى أثناء هذا الباب[8] ، لتحدَّثنا

---

(1) – ط .

(2) أ : أمرنا .

(*) سورة النحل ، آية ٤٠.

(3) هـ ، ط : مرادنا.

(4) العبارة ساقطة من هـ.

(5) ط : العلم.

(6) العبارة ساقطة من هـ.

(**) فى مقالة رمزية للإمام عبد القادر الجيلانى ، المتوفى ٥٦١ هجرية، يقول : بسم الله من العارف، بمنزلة كن من الله .. (انظر : ديوان عبد القادر الجيلانى ؛ بتحقيقنا ؛ مقالة الاسم الأعظم) .

(7) ط : رضى الله عنه .

(8) هـ : الكتاب .

هنا[1] ، حسبما أراده الشيخ رضى الله عنه .

فهذا[2] يا ولىُّ[3] ، الشاهدان والولىُّ. لما كان الاسم الله، والاسم الرحمن، والاسم الرحيم؛ موجوداً فى البسملة . أشار الشيخ رضى الله عنه إلى ذلك حسبما ذكرنا ذلك آنفاً . فجعل الولىّ هو الاسم[4] الله، والشاهدان هما[5] الرحمن والرحيم[6]، على النمط السابق . ففى ***بسم الله الرحمن الرحيم*** سرُّ النكاحين[7] المعقودين لظهور حقائق الحق وحقائق[8] الخلق .. فتأمَّلْ ، تُرشدْ إن شاء الله تعالى.

[تركيب الموجودات]

قال الشيخ رضى الله عنه : **فهذا** . يعنى ما عبَّرنا[9] عنه من لسان حال الكمال فى[10] الأزل : **كان أول[11] تركيب الأدلة** . أراد بالأدلة ؛ المصنوعات وبروزها[12] . يعنى : بذلك[13] المعقول آنفاً ، كان سبب تركيب

(١) أ : عليه هنا.

(٢) هـ : هذا.

(٣) ف : أيها الولى .

(٤) – ط .

(٥) أ : هو .

(٦) هـ ، ط : الرحمن الرحيم.

(٧) أ : سر حين .

(٨) + ط .

(٩) هـ : ما عبرناه.

(١٠) أ : من.

(١١) – ط .

(١٢) – أ .

(١٣) أ : كذلك ، ط : فذلك.

المصنوعات وبروزها على لسان[1] العموم. وأما على الخصوص ، فالأدلة هى الأسماء والصفات الإلهية؛ لما اقتضاه[2] الشأن الإلهى ، من حيث ماهو الأمر عليه، ليكون ذات واجب الوجود، منعوتاً بنعوت الكمال والجلال والجمال.

فتركيب[3] كل[4] اسمٍ علماً ، على صفة منصّته؛ وتركيب[5] كل صفةٍ منصّةً: على شأنٍ إلهى .. فقال تعالى[6] ﴿ولله الأسماء الحسنى (*)﴾ لأن الشئ فى نفسه، لايحتاج إلى اسمٍ يميز به نفسه لنفسه. هذا إذا كان ثَمَّ موجودٌ آخر ، فكيف إذا لم يكن ثَمَّ غيره ؟ فبالأَوْلى(**) ..

ولما لاح هذا المعنى لبصائر المعتزلة(***) ، من حيث أنهم لم يشعروا به، ذهبوا إلى أن القِدَمَ للذات فقط، ليس لشئ من الصفات عندهم قَدَمٌ فى القِدَمِ؛

---

(١) العبارة ساقطة من أ .

(٢) أ : اقتضاها.

(٣) هـ : فركوب .

(٤) – أ .

(٥) العبارة ساقطة من ط .

(٦) ط : فقيل .

(*) سورة الأعراف ، آية ١٨٠.

(**) وفقاً لنظرية الجيلى –وابن عربى – فإنه لاموجود على الحقيقة، إلا الله .. وأما ما نراه من حولنا، فهو وجودٌ مجازىّ، ملحق بوجود الله، وهو ما يسميه الجيلى : العارية الوجودية (راجع بحثنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٤١).

ويريد الجيلى هنا أن يقول : إنه لما كان الله هو الموجود فقط، ولما كانت الأسماء علماً على الموجودات .. فلله الأسماء كلها ! لكنه هنا لم يفرق بين مطلق الأسماء، وبين الأسماء الحسنى التى هى لله بالاتفاق.

(***) المعتزلة ؛ واحدة من كبريات الفرق الإسلامية ، ناقشت قضايا العقيدة وعلم الكلام بنوعٍ من الجدل والحجج العقلية، وانتهت إلى بعض النظريات، منها نظرية العلاقة بين الذات والصفات .. انظر ما يأتى .

فقالوا بأن جميع الأسماء والصفات الإلهية مخلوقة(*) . وفاتهم نصف المعرفة بـا لله، كما فات من قال بأنها(١) قديمةٌ على الإطلاق ، لقِدَمِ(٢) الذات .. ولم يجمع بين الحكْمين، إلا عارفٌ با لله. ولا يكون ذلك، إلا لمن أشهده ا لله حقائق الأشياء ، فعرفها، وعـرف مجاليهـا - علـى مـاهى عليـه جملةً وتفصيـلاً - فعـرف كيـف يُنسب(٣) كل اسمٍ أو صفةٍ إلى ا لله(٤) ، فيحكم بأنه قديم؛ وكيف ينسـبه إليـه ، فيعرف بأنه - أى الاسم والصفة - مُحدَثٌ . ولم يقف على وجـهٍ دون آخـر ، لأن الحقَّ هو الجمعية.

وبعد هذا ، عرضت الشُّبَهُ(٥) المضِلَّةُ . يعنى عرضت على العقول أمورٌ ، يعطى بعضها الاشتباه بالحق، فضَلَّت أهل تلك العقول عن الطريق الإلهـى الـذى هو له تعالى. على أن الطريق المضِلَّـة ، أيضـاً ، لـه وإليـه(**) .. لكـن هـذه علـى

(*) فى العلاقة بين الذات والصفات ، ذهـب بعـض المعتزلـة إلى القـول بـأن الـذات الإلهيـة قديمـة، وصفاتها حادثة ؛ لأنهم أرادوا إثبات قديم واحد فقط. وبعضهم قرر أن الصفات عين الـذات فهى بذلك ليست خارجة عنها أصلاً ، ويُعرف قولهم هذا ، بنظرية الهو هو .. فا لله عليمٌ بعلمٍ هو هو ، وقادرٌ بقدرةٍ هى هو .. وهكذا .

(١) هـ : أنها .

(٢) هـ : لتقدم.

(٣) + ط .

(٤) ط : تعالى .

(٥) أ ، هـ : النسبة ، ط : الشبهة.

(**) يقول الجيلى فى كتابه (الإنسان الكامل ١/ ٣٤) إن ا لله تعالى : يتجلّى باسمـه المضِـلّ، كمـا يتجلّى باسمه الهادى . وهو ينطلق هنا من اعتبارٍ لتجليات الأسماء الإلهيـة كلهـا فـى الوجـود .. وا لله تعالى يهدى ويضل ، فهو إذن الهـادى المضـل ؛ ولابـد أن يظهـر أثـر ذلـك -منـه - فـى الوجود.

العموم وبحكم الوسائط البعيدة ، وتلك على الخصوص وبالوسائط القريبة .. وقد شرحنا لك فى هذه النبذة جميع ما أراده[1] الشيخ رضى الله عنه، ونبَّه عليه فى الباب الرابع من كتاب الفتوحات.

والله الموفق .

* * *

---

(١) هـ : أراد .

البَــاب الـخَامِسُ

الأَمْرُ دَوْرِيٌّ ، يَعُودُ إِلَى مَا مِنْهُ بَدَأَ !

[سِرُّ كُنْ]

قال الشيخ رضى الله عنه[1] : **ومن ذلك** . أى، ومن بعض[2] ما تضمّنه هذا الباب من فنون العلم المشار إليه آنفاً[3] : **سِرُّ كُنْ والبَسْملة ، فيمَنْ علَّله** .

قد قلنا لك آنفاً ، إن[4] البسملة عبارة عن كلمة **كُنْ** لأن الله تعالى كما أظهر الموجودات بواسطة الكلمة ، كذلك أظهر سِرَّ كتابه الكريم[5] بواسطة البسملة. فالكتاب كله، نسخة جميع[6] الوجود ؛ والفاتحة نسخة الإنسان، والبسملة نسخة كلمة الحضرة . ولهذا سَنَّ رسول الله ﷺ البسملة فى ابتداء الأمور ، ليكون[7] التقدير فيه : كل فعلٍ[8] يفعله عقيب البسملة، بالله. فمن بَسْملَ عند الأكل ، كان تقدير حاله[9] أن يقول[10] : بالله أشرب .. فلابد من تقدير الفعل بعد[11] البسملة بلسان الحال ، لتعلُّق[12] الباء من **بسم** الله **واسم** زائدة ، والمراد الله، كما فى قول ﴿سبحِ اسْمَ رَبكَ الأَعْلَى﴾[*]

---

(١) العبارة ساقطة من هـ.

(٢) أ : بعد .

(٣) غير واضحة فى أ.

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٥) ط : العزيز .

(٦) – هـ ، أ : كل .

(٧) أ : فيكون .

(٨) – ط .

(٩) هـ : أنه .

(١٠) هـ : تقديره .

(١١) هـ : العقل عقيب .

(١٢) هـ : ليتعلق ، ط : لتتعلق .

(*) سورة الأعلى ، الآية الأولى .

والمراد[1] بذلك : سَبِحْ رَبكَ .

وقد وضعنا للبسملة كتاباً ، شرحناها فيه أيام البداية ، وسميناه ***بالكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم***[*] . وهذا الكتاب المذكور ، أول كتابٍ صنّفناه فى علم الحقيقة، فالحمد لمن جعل أول تصنيفاتي في : بسم الله الرحمن الرحيم ، ليقع كمال النسبة الإلهية[2] فى إظهار الحقائق صورةً ومعنى. ولولا ما شرحناه من[3] أمر البسملة ، لأوردنا لك ذلك كله[4] ، على التفصيل والإجمال .. وزبدةُ[5] الأمر كله؛ رجوعُ أمر جميع أفعال العباد ، إلى أنها أفعالٌ لله[6] .

[عبارات صوفية]

فلذلك قال الحلاّجُ ، وإن لم يكن من أهل الاحتجاج : بسم الله منك بمنزله كُنْ منه. الحلاج رضى الله عنه، هو الحسين بن منصور الحلاج[**] . قال

---

(١) العبارة ساقطة من هـ .

(*) هو أول كتب الجيلى فى التصوف – كما ستأتى الإشارة – وقد انتهينا من تحقيقه ، ونتعشّم أن ننشره قريباً .

(٢) هـ : الكمالات .

(٣) هـ : فى .

(٤) أ : كل .

(٥) هـ : وبيله .

(٦) أ : الله ، ط : الله تعالى .

(**) يعدُّ الحلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هـ) من أشهر الصوفية الذين استهلكتهم رؤية الله، فباحوا بالأسرار الإلهية التى لم يأت الإذن الإلهى بالبوح بها. كان الحلاج قد تفوه ببعض الألفاظ التى تفوح منها رائحة الحلول ، فاتهمه معاصروه من الفقهاء بالإلحاد ، وأفتى بعضهم بقتله ، فقتل فى يوم مشهود (انظر المناقشة التفصيلية لقضية الحلول وموقف الحلاج ، فى كتابنا : الفكر الصوفى .. ص ١٥٩ وما بعدها)

الشيخ إنه ليس من أهل الإحتجاج ، لأنه لما تحدَّى وقال ***أنا الحقُّ*** قتله سيف الشريعة؛ فلو امتنع بمقتضى صفات الحق، لم يستطع أن يقتله أحدٌ ؛ فكانت حُجَّته ثابتة ودعواه صحيحة عند الغير . كما جرى لأبي يزيد(*) رضى الله عنه في قوله : ***سبحاني ، ما أعظم شأني وأعزَّ سلطاني !*** وفي قول الشيخ عبد القادر(**) رضى الله عنه : ***معاشر الأنبياء ، أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه !***

= ومعظم الصوفية الكبار ينظرون إلى الحلاج على أنه من أهل التلوين وأنه لم يصل إلى التمكين ! لذلك لاَمَهُ ابن عربي في (كتاب التجليات) قائلاً له : **لِـمَ تركت بيتك يخرب ..** مشيراً بذلك إلى أن الحلاج أعطى للأغيار حق التصرُّف في دمه . وقال الإمام الجيلاني : **عثر الحلاج ولم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو أدركته لأخذت بيده** .. وهي عبارة تفوح بتعاطف الجيلاني مع الحلاج ، وفهمه لموقفه (انظر مقالات الجيلاني في الحلاج ، ضمن: ديوان عبد القادر الجيلاني ، بتحقيقنا، ص ٢٦٩ وما بعدها) .

وللمزيد عن الحلاج يمكن الرجوع إلى : طبقات الصوفية ص ٧٤ - كشف المحجوب ٣٦١- تجارب الأمم ٧٦/١ - الفهرست ٢٦٩ - تاريخ بغداد ١١٢/٨- الأنساب ١٨١- المنتظم ١٦٠/٦- الكامل في التاريخ ١٢٦/٨ - وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠- العبر ٢/ ١٣٨- سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣ - دول الإسلام ١/ ١٨٧- مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣ - شذرات الذهب ٢/ ٢٥٣ .. وغير ذلك.

(*) راجع ترجمة البسطامي فيما سبق .

(**) هو الإمام : محي الدين عبد القادر الجيلاني ، المتوفى ٥٦١ هجرية .. إمام التصوف، وشيخ الحنابلة، وصاحب واحدة من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في العالم الإسلامي . ولد بجيلان سنة ٤٧٠ هجرية ، ونزل بغداد وظل بها حتى وفاته .. ترك مجموعة من المؤلفات ، أشهرها كتابه : الغنية لطالبي طريق الحق .

وقد كان الإمام الجيلاني وتصوفه موضوعاً لرسالتنا لنيل درجة الدكتوراه .. ثم أصدرنا عدة أعمال حوله ، فعن حياته وشيوخه وطريقه إلى الله وضعنا كتاب (عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب) وعن طريقته الصوفية وانتشارها وضعنا كتاب (الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر) ثم جمعنا نصوصه الشعرية والنثرية وحقَّقناها في كتاب (ديوان عبد القادر الجيلاني) ولازلنا نعمل على تحقيق مجالسه ومواعظه الصوفية المجموعة بعنوان : جلاء الخاطر في =

وفي قول الشيخ أبي الغيث ابـن جميـل(*) رضـى الله عنـه : ***خُضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله*** ! وقوله حين قال له الحِكْمى(**) رضـى الله عنـه: ***ما حالك*** ؟ قال: ***أصبحتُ أُحيي وأُميت ، وأفعلُ ما أُريد ، وأنا على كل شيءٍ قدير*** .

فكُلٌّ من هؤلاء السادة(***) ، منع بحاله أن يسطو عليه أحدٌ ، فأقام حُجَّته. وكان(1) الحلاج دون هذه المرتبة - ولو كان على الحق - ولهذا أخذتـه سـيوف الشريعة . ولا مؤاخذة على مَنْ قام عليه، لأنهم قاموا بـالحق ؛ ولـو كـان حَقُّـه أعلى من حَقِّهم.

ونهايةُ الأمر ؛ إن الذين فعلوا هـذا الفعـل ، إذا ظهـرت عليهـم الحقـائق؛ نَكَّسُوا رؤوسهم ، وآمنوا بقوله . ولولا الحقيقة ، ما أخذته سيوف(2) الشـريعة؛

- الظاهر والباطن .

ولاتكاد ترجمات الجيلاني في المصادر التاريخية تقع تحت الحصر ، وهناك قرابة الثلاثين كتاباً عنه، أشهرها كتاب الشطنوفي : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار .

(*) هو شمس الشموس ، أبو الغيث ابن جميل المتوفى ٦٥١ هجرية.. أشهر صوفية اليمن في القـرن السابع . كان له أثره الكبير في الحياة الروحية ببلاد اليمن ؛ قيل إنه كان فـي أول أمـره قاطعاً للطريق ! فخرج مع رفقة له للسطو على قافلة ، فطلبوا منه أن يكون عيناً لهم، ليترصَّد وصـول القافلة ؛ وبينما هو يراقب الطريق فإذا بهـاتف يقـول لـه : يـا صـاحب العـين، عليـك العـين ! فعرف أنه هاتفٌ رباني ، وكفَّ عن قطع الطريق ، وسلك طريق الصوفية حتـى بلـغ فيه شـأناً عظيماً.

انظر ترجمته في : مـرآة الجنـان ٤/ ١٣٦- العقـود اللؤلؤيـة (مخطـوط) ١٠٧/١- الصوفيـة والفقهاء في اليمن ص ١٥.

(**) هو أحد الصوفية المعاصرين لابن جميل.

(***) يقصد ؛ أبا يزيد البسطامي وعبد القادر الجيلاني وابن جميل.

(1) - ط .

(2) - هـ .

لأنه لما طلب[1] ظهوره بالربوبية فى عالم العبودية - وذلك أعزُّ من وجود النار فى قعر البحار - أطلقه[2] لسانُ الوقت[*] ، عن قيد الهيكل الجسمانى[3] ، ليتحقّق بما ادَّعاه فى العالم اللائق بتلك الدعوى ، فجرى عليه ، ما جرى غيره من الحقائق على الحقائق ؛ لئلا يدَّعى هذا المقام مَنْ ليس له ذلك. ولو كان متحقّقاً بذلك كمال[4] التحقّق[5] ، كما كان عليه غيره من الكُمَّل المذكورين، لامتنع بحق صفات الربوبية عن تلك القَتْلة ، كما امتنع غيره .. فكان[6] الحلاَّج على بينةٍ من الله، ولو[7] لم يكن له شاهد تلك البينة. وكان مَنْ ذكرناهم من الكُمَّل، على بينةٍ من الله، ويتلوه شاهد منه.

ولهذا ، قال الله تعالى ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[**] يريد بذلك، كناية عن حال المريد إذا تكلّم قبل أوان الكلام[***] ؛ وفى المَثل السائر

---

(1) ط : ظلت .

(2) هـ : أقلقه .

(*) الوقت اصطلاحٌ صوفى خاص .. يقول القاشانى : الوقتُ ما حضرك فى الحال، فإن كان من تصريف الحق ، فعليك الرضا والاستسلام حتى تكون بحكم الوقت، ولايخطر ببالك غيره، وإن كان مما يتعلق بكسبك، فالزم ما أهمَّك فيه ، لا تعلُّق لك بالماضى والمستقبل .. ولهذا قال المحقّق ، الصوفى ابن وقته (اصطلاحات الصوفية ص ٥٣) وقد أوجز ابن عربى تعريف الوقت، حين وصفه بأنه : عبارة عن حالك فى زمن الحال ، لاتعلُّق له بالماضى والمستقبل .

(3) ط : الجثمانى .

(4) + هـ .

(5) ط : التحقيق .

(6) هـ : وكان .

(7) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(**) سورة لقمان ، آية ١٩.

(***) يؤكد الصوفية ضرورة التزام المريد المبتدئ بالصمت، حتى يأتى أوان ظهوره والإذن الإلهى له بالكلام. وقد عدوا الصمت أحد السبل التى تقود للولاية ، فيقول الصوفية : ما صار =

عند الامتحان يعزُّ المرء أو يُهان. فلكل مقامٍ مقال، لايصح دعوى المتكلِّم عن ذلك[1] ، إلا إذا تمكنَّ[2] فيه.

فلو[3] كان الحلاج رضى الله عنه، واجد الحقيقة ، ما قال غير متمكّنٍ بالحال؛ فتعجَّل[4] وتكلَّم، ولو تأمَّل فى قوله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿لا تحرك به لسانك[5] .. الآية﴾[*] لكان ، كغيره من الكُمَّل الذين قال الله[6] فى حَقِّهم : ﴿لايسبقونه بالقول[7] .. الآية﴾[**] فالكامل يعمل بأمر الله ، كُلَّ ما[8] يُعلمه[9] الله، والعارف يعمل بالله مطلقاً ؛ لايعلم[10] هذا الأمر المخصوص – الذى يتوجَّه من الحق إلا الكامل – إلا إذا كان كاملاً[11] ، وإلا فهو محجوبٌ عنه.

= الأبدال أبدالاً ، إلا بأربع خصال ؛ الصمت والجوع والسهر والخلوة .. وبخصوص الصمت عند الصوفية ، انظر : اللمع ص ٣٧٦ – قوت القلوب ٩٥/١ – الرسالة القُشيرية ص ٦٢– الإحياء ٤/ ٢١٠.

(١) – هـ .

(٢) عبارات هذا الموضع مضطربة فى أ.

(٣) ∴ لو .

(٤) أ : فيحل ، ط : فعجل .

(٥) هـ : لتعجل به (أنه) علينا جمعه وقرآنه فإذا (أقراناه) فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه.

(*) سورة القيامة ، آية ١٦.

(٦) أ : تعالى .

(٧) هـ : وهم بأمره يعملون.

(**) سورة الأنبياء ، آية ٢٧.

(٨) ∴ كلما .

(٩) هـ ، ط : يعمله.

(١٠) ط : يعمل.

(١١) أ : عارفاً كاملاً.

[تصرُّف الأولياء]

ولما كان الولىُّ فاعلاً با لله، لتحقُّق ذاته بمعنى صفاته ؛ كان **بسم ا لله** منه، بمنزلة **كُنْ** من ا لله. إذا قَارَنَتْ ذلك منه[1] حركـةٌ إراديـةٌ لصـدور مـا يريـد فـى الخارج ، كما أن كلمة **كُنْ** من الحق مقارنة لإرادتـه مـا[2] يكـون علـى الوجـه المخصوص[3] المراد .

ولهذا ، قال الشيخ رضى ا لله عنه : **فَخُذْ**[4] **التكويـن عنـه** . الضمـير فـى **عنه** راجعٌ إلى اسم ا لله المذكور فى البسملة، والمراد : خُذْ علم كيفية التكويـن، عن ا لله المكون[5] ؛ فقل للشئ **كُنْ** فيكون ، كما هو القائل تعالى لكل شئ .

وعـن ذلـك عبَّر بقولـه : **فمـن تقـوَّى**[6] **جأشـه**[7] ، أى قلبـه **واسـتدار عرشه**[8] ، باستوائه[9] بذاته علـى عـرش أسمائـه وصفاتـه ؛ **وتمهَّـد فرشـه**[10] ، بتمكُّنه[11] من التحقُّق، صورةً ومعنىً ؛ فظهر أثر[12] اسم باطنـه علـى ظـاهره،

---

(١) + ط .

(٢) أ ، ط : بما ، هـ : لاراتبه بما .

(٣) – هـ .

(٤) أ : فى.

(٥) هـ : الموكون .

(٦) هـ : قوى.

(٧) ط : جلسته.

(٨) – هـ.

(٩) هـ : بالسواية .

(١٠) ط : فراشه .

(١١) ط : بتمكينه.

(١٢) أ : وظهر اسم.

فكان لجسمه جميع ماهو لروحه – التى[1] لها ما للحق تعالى – كان متصرفاً فى العالم، تكوَّن الأشياء بكلمته لها كن . **كرسول[2] الله ﷺ ، قال كُنْ ، ولم يُبَسْمِلْ ؛ فكان ، ولم يُحَوْقِلْ .**

أشار إلى قوله ﷺ لشيخ رآه من بعيد : كُنْ زيداً، فكان ذلك[3] الشيخ زيداً، أخو عمر بن الخطّاب[4] ، أرسله رسول الله ﷺ [5] ، وترقّب وصوله؛ وحكايته مشهورة. والمراد : إن مَنْ كان متحقّقاً[6] بربه – روحاً وجسماً، وصورةً ومعنىً – تكوَّن ذلك الشيخ فصار زيداً لرسول الله ﷺ ، فقال كُنْ ، و لم يقُلْ بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن ***بسم الله*** مرتبة المعارف ، و**كُنْ** مرتبة الله ، والمحقّق[7] هو ***الله*** ليس المراد بهذا الاسم غير المحقّق ، ولا غير الله تعالى[*].

وقوله **فكان** ضميره راجعٌ إلى ما قاله رسول الله ﷺ : كُن[8] . وفاعل **لم يُحَوْقِلْ** راجعٌ إلى رسول الله ﷺ ، أى : لم يقل لاحول ولاقوة إلا بالله . لأن ذلك مرتبة العارف الذى رجع إلى الله تعالى بالفناء[**] عن صفات نفسه

---

(١) ن. الذى .

(٢) أ : كرسوله .

(٣) هـ : وكان .

(٤) ط : رضى الله عنه.

(٥) – أ .

(٦) ط : محققا.

(٧) العبارة ساقطة من هـ.

(*) يشير الجيلى هنا إلى المعية التامة المطلقة بين الولى المحقّق وبين ربه ، على النحو المشار إليه فى مفهوم الفناء فيما يلى .

(٨) العبارة التالية ساقطة من أ .

(**) وضع ابن عربى تعريفاً للفناء ، يحتاج إلى تعريف ! فقال : الفناء رؤيةُ العبد للعلة، بقيام –

وأفعالها، بل وعن ذات نفسه[1] ؛ والله راجعٌ إلى المحقّق ، رجوع العارف إلى الله.. فالعارف قائمٌ بالله، والله قائمٌ بالمحقّق . فلهذا ، لم يقل المحقّق لاحول ولا قوة إلا بالله، كما يقول المحقّق[*] .

فمن ذاق ، من شراب التمكين بالذات فى تحقيق إظهار معانى الأسماء والصفات؛ **ضاق** مسلكه ، لأنه حينئذٍ[**] يسير[2] بالذات ، والذات ظلمةٌ لا طريق فيها لسالك . وإلى هذا المعنى أشار سيدى محيى الدين عبد القادر الجيلانى ، رضى الله عنه ، بقوله:

كُلُّ الأَوْلياء لما وَصَلُوا إلى القَدَرِ وَجَدُوهُ مُصْمَتاً .. فَوَقَفُوا ، إلا أَنا ، فُتِحَتْ لِى فيه روزَنَةٌ[***] ، فَوَلجتُ فيها ، فَدَافَعْتُ أَقْدارَ الحقِّ بالحقِّ[****] .

= الله على ذلك (اصطلاح الصوفية ص ٦) وبالجملة ، فالفناء حالةٌ شعورية لا يكون فيها للولى أى إحساس بذاته . وقد أوضح الكلاباذى أن : فناء البشرية ليس على معنى عدمها، بل على معنى أن تُغمر بلذةٍ توفى على رؤية الألم (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٥٠) .

(١) هـ : صفات نفسه .

(*) بخصوص معنى المحقق ومفهوم التحقيق ، راجع بحثنا : الفكر الصوفى ص ٨٠ .

(**) وضع ناسخ المخطوطة أ اختصاراً لطيفاً لهذه الكلمة ، فكتب : ح ا

(٢) أ ، هـ : يشير .

(***) الروزنة : تعريبٌ لكلمة فارسية ، تعنى الكوة .. راجع : معجم الألفاظ الفارسية المعربة، للسيد أدى شير (مكتبة لبنان ١٩٨٠) ص ٧٢ .

(****) وردت عبارة الإمام الجيلانى ، مراوة بالإسناد المتصل ، فى كتاب (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار) للشطنوفى ، بلفظ : أنا من وراء أمور الخلق ، أنا من وراء عقولهم، كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القدَرِ أمسكوا، إلا أنا ، وصلت إليه وفُتح لى منه روزنة، فأولجت فيها ونازعت أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له .. (بهجة الأسرار، ص ٢٣)

وتشير العبارة إلى منتهى تصرف الأولياء فى الكون ، حيث يدفعون بأمر الله قَدَرَ الله. ولا شك فى أن فهم هذه العملية فهماً عقلياً منطقياً ، من شأنه أن يثير العديد من الإشكالات .. فلا يبقى إلا اعتبارها حقائق مخصوصة ، والعهدة فيها على القائل .

هذا[1] معنى ؛ وإن شئت قلت : من ذاق ألوهية الحق فى الحق، ضاق عن قبوله بحكم[2] الخلْق بالكلية ؛ فإن فى ذلك فقدانه للربوبية ، إذ ليس من الكمال ترك الربوبية للعبودية[*] ، فيضيق المحقِّق[3] عن كمال التنزيل إلى العالم الخلْقى من كل جهةٍ . فإذن[4] : يكون حَقّاً مع حقيقته بالذات، وخَلْقاً مع خليقته بالأسماء والصفات والشئون والاعتبارات والنسب والإضافات ، فمعيَّته مع الحق والخلق، خير معيَّة ، الحق سبحانه وتعالى ! و لم يُقر بهذه النكتة حالاً ، إلا كامل[5] فى هذه الدار .. وحقيقة الأمر ؛ رجوع الكُل إلى هذا المعنى .

[رجوع الأمر]

وقد أشار الشيخ رضى الله عنه إلى[6] ذلك بقوله : **وإذا التفت الساقُ بالسَّاقِ ؛ فإلى[7] ربك[8] المسَاق[**] ، وإليه[9] ترجع الأمور ، إذ[10] كان منه الصدور** . معناه: إذا التفَّت والتحقت الذات الإنسانية بالذات الرحمانية ، بشهودها أنها عينها -لاغيرها- من كل جهة، وبكل اعتبار ، وعلى كل حال،

---

(1) هـ : للحق هذا .

(2) أ : لحكم .

(*) يقصد ترك مقتضيات الربوبية من تصريفٍ وغيره ، إلى أحكام البشرية وما إليها .

(3) ط : الحق .

(4) ∴ إذ .

(5) أ : كل كامل .

(6) – هـ.

(7) أ ، هـ : إلى / ط : وإلى .

(8) أ ، هـ : ربك يومئذ .

(**) تضمين للآية ٢٩، ٣٠ من سورة القيامة.

(9) هـ : فإليه.

(10) هـ ، ط : إذا .

وفى كل وقتٍ على الدوام . فإلى مقام الربوبية المحضة، يكون مساق هذا الإنسان. وحينئذٍ[1] ، ترجع إليه -أى إلى الإنسان[2] - الأمور ؛ لأنه الحق الذى كان منه البداية والصدور[*] . إذ الأمرُ دورىٌّ ، يعود إلى ما منه بدأ.

ولهذا ، قال[3] الشيخ رضى الله عنه : **لاتُبَسمِل ، وقُلْ بكُنْ ، مثل ما قاله يكن**[**] .. بكن[4] الأولى ، بالباء الموحدة . ويكن الأخيرة ، بالياء المثناة من تحت ؛ وهذا[5] جزاءٌ لقوله : قل .. والمعنى : لاترجع بك إليه، كما هو المقصود فى البسملة، بل ارجع بالأمر كله إليك ، وقل **كُنْ** لما تريده، كما يقوله الحقُّ يكن ما شئت كما شئت.

فإليه رجوعنا ، لا إلينا . أى : فإلى مقام الربوبية[6] رجوعنا ، لا إلى مقام العبودية . فالربوبيةُ لازمةٌ لذواتنا ، والعبوديةُ عارضةٌ بحكم المحل . وترتيب الحكمة، هو المقتضى للحكمين فى المحلين ؛ من أجل هذه الذات[7] الواحدة الكاملة بجميع تلك المعانى .

---

(1) أ : و ح .

(2) + ط .

(*) يقصد ؛ صدر الموجودات عن الله. وهى فى الأصل نظريةٌ فلسفيةٌ شهيرةٌ ، وسوف يعرض لها الجيلى بعد قليل ، حين يتناول موضوع الروح وتنزلات الذات الإلهية .

(3) هـ : وإلى هذا أشار .

(**) هما بيتان [من مجزوء الخفيف] وردا فى الفتوحات على النحو التالى :

لاتُبَسْمِلْ وَقُلْ بِكُنْ   مثْلَ مَا قالَـهُ يَكُنْ

فإليــهِ رُجوعُنــــا   لاَ إلَيْنَا فَكُنْ تَكُنْ

(4) أ : يكون / هـ ، ط : يكن !

(5) هـ : وهو .

(6) هـ : الربية .

(7) أ : الدار .

فكن[1] عين الذات الإلهية من كل جهة ، وبكل اعتبار ، وعلى كل حال، لا تخرج عن ذلك طبعاً. **تكن** ، عينه .. بإظهار الأثر[2] من نفوذ كل أمرٍ، وإدراك كل علمٍ. وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا ، وما يُلقَّاها إلا ذو حظٍ عظيم[*] .

وقد رمزت لك فى هذه[3] النبذة[4] ، جميع ما صرَّح به الشيخ[**] فى الباب الخامس من كتاب الفتوحات المكية . فتأمَّله ، تُرشدْ بمعرفته إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) هـ : فكيف .

(٢) ط : الآثار .

(*) سورة فصلت ، آية ٣٥.

(٣) – هـ.

(٤) – ط .

(**) المفروض أن الجيلى هو الشارح الذى يصرح بجميع ما رمزه ابن عربى !

البَابُ السَّادِسُ

جَرَى بِنَا جَوَادُ البَنَانِ فِي هَذَا البَيَانِ، حَتَّى أَظْهَرَ مَالَمْ يَخْطُرْ إِظْهَارُهُ فِي الجَنَانِ ..

[الروح وتنزُّلات الذات]

قال الشيخ رضى الله عنه: **ومن ذلك** . أى[1] ، ومن بعض ما تضمَّنه هذا الباب من فنون العلم المشار إليه أولاً . **سرُّ الروح وتشبيهه بيوح. الألف** واللام فى الروح ، للعهد[2] –وتقديره : سِرُّ[3] الروح الكلية المشرقة من الهياكل الجزئية، التى يصحُّ وقوعها على كل فردٍ من أفراد هذا[4] النوع الإنسانى. وتشبَّهت هذه الروح بيوح، وهو اسم من أسماء الشمس[5] ، والمراد به هنا الحق تعالى[6] ، لأنه نور السموات والأرض .

فالإنسان، هو *المثل* الذى *ليس كمثله شئ*[*] ، فى الأرض ولا فى السماء، لكونه[7] نسخةً كاملةً جامعةً شاملةً . وقد صرَّحنا فى كتاب[8] *الكمالات الإلهية*[**] عن حقيقة هذه النسخة وكيفية معناها، وكشفنا عن ذلك أيضاً على التفصيل[9] – بعبارة مبسوطة – فى كتابنا الموسوم *بإنسان عين*

---

(١) العبارة التالية ساقطة من هـ.

(٢) غير واضحة فى أ .

(٣) أ : وسر .

(٤) – أ ، ط .

(٥) + أ .

(٦) أ : سبحانه وتعالى .

(*) سورة الشورى ، آية ١١.

(٧) – أ.

(٨) هـ : كتابنا .

(**) هو كتاب : الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية .. ذكر الجيلى فى خاتمته ، أنه انتهى من تأليفه سنة ٨٠٥ بمدينة زبيد باليمن .

(٩) – ط .

الوجود[١] ***ووجود عين الإنسان الموجود***[٢] فمن أراد تحقيق هذه المعرفة، فليكشف عن محلها من هذين الكتابين .. وسأذكر لك من ذلك طرفاً[٣] جامعاً، وهو:

إن الله تعالى ، لما[*] أَحَبَّ الظهور من ذاته لذاته، بمقتضى ذاته؛ قَسَّمَ ذاته قسمين – من غير تعدُّد فى العين– فسمى أحد القسمين بالواجب ، والقديم، والرب ، والفاعل. وسمى القسم الثانى بالممكن ، والمُحْدَث ، والعبد ، والمنفعل.

فأول ما أظهر[٤] من ذلك القسم الثانى ، مَحَلٌ[٥] حكمىٌّ سماه[٦] بالهباء والهيولى[**] والقدرة ؛ لأن العالم كله متحيزٌ ، ولابد للمتحيز من مكانٍ يحلّه. فإن كان المكان مخلوقاً ، فقد دخل فى حُكْم العالم ، ولابد له من مكانٍ؛ هكذا

---

(١) – أ .

(٢) – هـ .

(٣) هـ : طرفاً من ذلك .

(*) يستخدم الجيلى هنا كلمة لما كما استخدمها ابن عربى فى بداية كتابه **فصوص الحكم** حيث لاتشير إلى زمان، لأن المشيئة الإلهية لاتتعلق بزمان دون آخر . يقول الدكتور عفيفى: ***المسألة تقريب للأذهان ، وشرح للحكمة الإلهية فى الظهور*** (تعليقات على فصوص الحكم، ص٦)

(٤) أ : ظهر .

(٥) هـ ، ط : بمحلى .

(٦) هـ : اسمه .

(**) الهيولى : كلمةٌ يونانية واصطلاحٌ فلسفى استخدمه أرسطو فى معرض حديثه عن خلق العالم وفلسفته الطبيعية ، حيث قسَّم الموجودات إلى صورة ومادة، والمادة هى الهيولى .. ويقرر أرسطو ، أن الصورة لاتوجد أبداً بلا هيولى – إلا فى حالة وحيدة، هى الله أو المحرك الأول– كذلك ، فإنه لاتوجد فى العالم الطبيعى هيولى (مادة) بلا صورة .

إلى أن يتسلسل ، أو يدور ، أو ينتهى[1] لمحلٍ حكمٌ لا يقال إنه[2] خَلْقٌ ، لئلا لغيره؛ كما أن غيره لايكون ظرفاً له . فالهباءُ ، هو الحقُّ المخلوق .. وتقيُّد[3] الحقُّ هنا بالخلْقية فى هذه المرتبة ، من أجل ذلك الانقسام .

[الإنسان نسخة الحق]

وهذا المعْنِىُّ المسمَّى[4] بالهباء ، هو الهيولى المعبَّر عند المحقِّقين[5] عنها بالعقل الأول والروح المحمدية والقلم الأعلى. فكانت الحقيقة المحمدية ، أولُ مخلوقٍ . وكانت[6] على النسخة الإلهية، صورةً ومعنىً .. أما من حيث الصورة[7] ، فكما أن الوجودَ المخلوق صورةُ الحق، والحقُّ روحه ؛ ذلك الإنسان ، قد خلق الله فيه نسخة كل شئ من صور الموجودات وحقائقها - جملةً وتفصيلاً- فهو على صورة الخلْق[8] ، لأن العالم صورته(*) . وأما كونه على النسخة المعنوية للحق - أيضاً- فلأنك[9] تجدك قابلاً[10] لكل اسمٍ وصفةٍ

(1) أ : ينتمى .

(2) ط : له.

(3) هـ : فقيد .

(4) - أ ، هـ .

(5) هـ : المحققون .

(6) + ط .

(7) + ط .

(8) هـ ، ط : الحق .

(*) يشير الجيلى هنا إلى مقابلة الإنسان (العالم الصغير) للعالم (الإنسان الكبير) ثم يضيف مقابلة أخرى بين الإنسان والله ! مع ملاحظة أن الأحدية الإلهية صفة ذاتية لله، لايجوز نسبتها للإنسان .

(9) هـ : فلا تكن ، ط : فلا تك.

(10) هـ : قاتلاً.

على التمام والكمال، فقل فى الأسماء الذاتية أولاً إنك **أَحَدٌ** ذا[1] أَحَدِيَّةٍ غير[2] مجهولة فى كل شئٍ ، لأنها عبارة عن صرافة ذات الشئ[3] ، بالنظر إليه من حيث هو ذاتىٌّ[4] .. فمتى عرفت إنك هو، كانت هذه الأحدية – التى ذكرتها لك – نفى[5] أحدية الواجب بذاته ؛ وقِسْ على ذلك . فليس شئٌ من[6] تجليات الأسماء والصفات، أعلى من تجلى الأَحَدية؛ ولعزَّتها ، منع[7] أهل الله أن يكون لغير الله قَدَمٌ فى تجلى الأَحَدية .

وسِرُّ المنع، أن الأَحَدِيَّة –من حيث هى أَحَدِيَّةٌ – تقتضى عدم التعدُّد فيها من كل وجهٍ وبكل اعتبارٍ ، فكيف لِلْخَلْقِ[8] فيها قَدَمٌ مع حَقٍّ ؟ وذلك مُشعرٌ بالتغاير والإثنينية، وهذا محالٌ غير ممكنٍ فى تجلى الأَحَدية . فإذا قد صَحَّتْ لك نسخةٌ منها ، فبالأَوْلى أن يصحَّ لك جميع ما تحتها من الكمالات المعبرَّ عنها بالأسماء والصفات. فأنت الحىُّ ، وأنت العليمُ ، وأنت القديرُ[9] وأنت المريدُ، وأنت السميعُ ، وأنت البصيرُ ، وأنت المتكلِّمُ . وهذه السبعة[*] ، هى أُمهات الكمال وأئمة الأسماء والصفات ؛ قد سُميت[10] بها ظاهراً، وسوف أكشف

(١) أ : اذ .

(٢) أ : العين.

(٣) – هـ.

(٤) ط : ذاته ، والعبارة التالية ساقطة من هـ.

(٥) – هـ ، ط : هى .

(٦) أ : فى .

(٧) – هـ.

(٨) ط : أن يكون لخلق .

(٩) ط : القادر .

(*) يقصد ؛ الصفات السبع الإلهية : الحياة ، العلم ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام.

(١٠) هـ : سميت بهما ، ط : تسميت بها .

لك عن مواقع نجومها باطناً :

• أما الحيُّ ؛ فأنت متصفٌ به لأن الحقَّ سبحانه وتعالى ، كما أنه عين الوجود الساري في أعيان الممكنات ، كذلك أنت سارٍ[1] في أعيان الموجودات بهمَّتك؛ ألا تراك[2] إذا افتكرت[3] في السماء ، كيف تسري روحك فيها ؟ وفي الأرض، وفي جميع ما تفكر فيه، أنت كذلك سارٍ[4] فيه[5] بروحك؛ فحياتك هي القائمة بحياة[6] كل ما سرَتْ فيه.

• وأما العلم ؛ فأنت متّصفٌ به من حيث عقلك ، لأنه عين علم الله به وبمعلوماته، فهو المحيط بالحق والخلْق[7] ؛ ألا ترى إلى عقلك ، كيف عرفت به الحق والخلْق ؟ فلولا أنه الصفة العلمية الإلهية[8] ، لما اتّسع لمعرفة[9] الحق تعالى[10] . وسبب ذلك ، أنك لابد أن تُطلق اسم الحق في علمك على شيءٍ، تضيف إليه ما هو للحق من صفات الكمال، وذلك الشيء الذي أطْلَقْتَ هذا الاسم عليه، هو في عقلك معلومٌ لك[11] ، وهو عين الحق تعالى ، الذي

---

(١) هـ : ساري .

(٢) أ : ألا ترى.

(٣) ط : افكرت.

(٤) – ساري.

(٥) – هـ.

(٦) أ : بحيات ، هـ : لحياة ، –ط .

(٧) – هـ.

(٨) أ : الإلهية العلمية.

(٩) هـ : بمعرفة.

(١٠) – هـ.

(١١) هـ : بل .

أَضَفْتَ إليه ما أَضَفْتَ من صفات الجمال والجلال[1] والكمال؛ فلو لم يكن عقلك، عين الصفة[2] العلمية الإلهية ، لما ظهر هو فيها ؛ لأنه سبحانه[3] ليس له محلٌ إلا العلم .. وقد عُرِفَتْ بذلك أسرارٌ كثيرةٌ[4] .

● إن كنتَ من أهل الله، فقسْ بالإرادة والقدرة على ما ذكرتُ، وتأمَّلْ.. هل تجد حقيقة هذين الوصفين لك فى حال تصوُّرك[5] للأشياء فى تخيُّلتك وتخيُّلك[6] ، فتتكوَّن كما تريد أم لا ؟ ومتى عرفت ذلك، لم تفتك[7] معرفة السميع والبصير والمتكلم منك ، وتتحقَّق هذه المعرفة .

فيجب[8] عليك ، أن تسعى فى زوال الموانع لك عن تحقيق ما تجده من كمالك، ليظهر جسمك[9] بما هو لروحك . فإذن : تصوّرٌ[10] ، فى العالم وتكوُّنه[11]، ما كنت[12] تصوره فى العالم الخيالى ؛ تستبرزه[13] مشهوداً للحس، كما كان مشهوداً للخيال.. وبذلك تعرف أنك المعبَّر عنه بمسمى

---

(١) هـ : الجلال والجمال .

(٢) – هـ.

(٣) ط : وتعالى .

(٤) + ط.

(٥) هـ : تصويرك .

(٦) – هـ.

(٧) أ : يفتك.

(٨) أ : يجب.

(٩) هـ : لجسمك.

(١٠) هـ : تصورته.

(١١) ط : تكون .

(١٢) هـ : كما كنت .

(١٣) أ ، هـ : وتبرزه.

الأسماء الحسنى والصفات العُلى! ... جرى بنا جَوَادُ البنان[1] فى هذا البيان[2]، حتى أظهر ما لم يخطر إظهاره فى الجنان، من كل علم لا[3] يسعه الكيان؛ فلنقبض[4] العنان، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من شرح هذه الكلمات الحِسَان.

[الإنسان نسخة الخَلْق]

قال الشيخ رضى الله عنه : **أشرقت(*) أرض[5] الأجسام بالنفوس، كما أشرقت الأرض بأنوار الشموس**. لما أظهر الشيخ رضى الله عنه -فيما سبق- أن الإنسانَ نسخةٌ للحق، أراد أن يظهر كونه نسخةً للخَلْق؛ فشَبَّه روحه بالشمس التى هى روح العالم الدنياوى، وشبَّه الإشراق بالإشراق، لأن النفس الجزئية[6] متصرفةٌ فى الهيكل الإنسانى[7]، ومدبرةٌ[8] له؛ كما تصرَّف الشمس فى العالم الدنياوى، وتدبره[9] على مَر[10] الدهور. وكُلٌّ من النفوس

---

(1) ط : البيان.

(2) ط : التبيان.

(3) هـ : الذى لا .

(4) هـ : فنقبض .

(*) لم يتوقف الجيلى بالشرح، عند هذين البيتين الواردين فى هذا الموضع من الفتوحات بقوله البيتان (من البسيط) :

الرُّوحُ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ الذى تَدْرِى ... كَمِثْلِ مَا نُصَّ لِى فِى مُحْكَمِ الذِّكْـرِ

وَإِنَّ رَبِّى بِهَـذَا القَـدْرِ عَرَّفَـنِى ... وَكَـانَ تَعْـرِيفُهُ حَقـًّا عَلَىَّ قَدْرِى

(5) أ : الأرض .

(6) أ : الجزيئية ، هـ : الجزية.

(7) هـ : الهياكل الإنسانية .

(8) هـ : ومدبره.

(9) هـ : وتدبره.

(10) أ : عمر ، ط : مد .

والشموس ، عينُ كُلٍّ على[1] الحقيقة؛ إذ هذه الصورة كلهـا، راجعةٌ للوجـه[2] الواحد الظاهر فى مرائى[3] مختلفة الأشكال والمقادير .

فلهذا ، قال الشيخ رضى الله عنه[4] : **وإنما لم تفرد العين، لأنها[5] ما أشرقت، إلا بما حصل فيها من نور الكون ، وإن كان الأصل ، ذلك الواحد؛ فليس ما صدر عنه بأمرٍ زائدٍ ، فعدَّدته الأماكن، لما أنزل نفسه فيها منزلة الساكن.**

زبدة هذا الكلام ، وخلاصة هذه المسألة : إن الله[6] تعالى ، هو المتجلىٌّ بأعيان الموجودات على حسب ما تقضيه قابلية كل هيئةٍ لكل موجود ، كما أن الصورة تظهر[7] فى كل مرآةٍ بحسب تلك المرآة ؛ فاختلفت الصور[8] المرئية[9] لاختلاف المرائى ، وحقيقة الصورة[10] واحدةٌ كما أن الحق[11] تعالى واحدٌ متعدِّدٌ بحسب تعدُّد الموجودات ؛ وبالحقيقة ، لاتعدُّد ، لأن الشئ الواحد إذا تعدَّد باعتبارات كثيرة راجعةٍ إليه، هو واحدٌ غير مُتعددٍ فى نفسه. وهذه

---

(١) هـ : عين على .

(٢) ط : إلى الوجه.

(٣) أ : مرآى ، هـ : المرآى.

(٤) هـ : وأرضانا به.

(٥) أ : لانه .

(٦) ط : شاء .

(٧) أ : انما تظهر .

(٨) ط : الصورة .

(٩) أ : الربية .

(١٠) – هـ.

(١١) أ : الله .

الاعتبارات هى الأسماء والصفات، التى هى أعيان الممكنات .. وإلى ذلك، أشار بقوله: **فللحقيقة رقائق ، يُعَبَّرُ عنها بالخلائق .**

أطلق هنا لفظ **الحقيقة** والمراد بها : الحقيقة[1] الإلهية. لها **رقائق** أى معانى كمالية ، هى أعيان الأسماء والصفات المظهرة[2] لحقائقها فى ذوات الموجودات، على سائر النعوت والنسب[3] والإضافات والاعتبارات ؛ فهى هويةُ شيءٍ واحدٍ، من كل الوجوه بالذات[*] .. وقد شرحنا فى هذه النبذة، جميع ما تضمَّنه الباب السادس من كتاب الفتوحات المكية ؛ فتأمَّلْ ذلك ، أرشدك الله للصواب، وعلَّمك الحكمة وفصل الخطاب .

* * *

---

(١) - أ .

(٢) هـ : المظهر .

(٣) أ : والصفات والنسب.

(*) يمكن تلخيص فكرة الجيلى هنا ، خلال هذا القياس المنطقى من الشكل الأول :

لما كان الله جامعٌ لحقائق الحق والخلق.

ولما كان الإنسان هو صورة الله ونسخته .

إذن فالإنسان جامعٌ لحقائق الحق والخلق .

وقد شرح الجيلى فيما سبق ، مقابلة الإنسان مع حقائق الذات والأسماء والصفات الإلهية -عدا الأحدية- ويبدو أنه أحجم عن تفاصيل مقابلة الإنسان لحقائق العالم، توخياً للإيجاز .. وكان الجيلى قد عرض لهذه الفكرة الأخيرة بالتفصيل فى العديد من كتبه ، وفى قوله بالأبيات ٤٨٥: ٤٨٧ من قصيدة النادرات (من الطويل) :

وَكُل الورى طرا مظاهر طلعتى ... مَرآء بها مِنْ حُسْنِ وَجْهِي لَامِــعُ

ظَهَـرْتُ بِأَوْصَافِ البَرِيَّةِ كُلِّهَــا ... أَجَلْ فى ذواتِ الكلِّ نُـورِىَ سَاطِعُ

تخلقتُ بالتحقيق فى كل صورةٍ ... ففِى كُلِ شيءٍ مِنْ جَمَالِي لَــوَامِــعُ

البَابُ السَّابِعُ

الجِسْمُ هُوَ المظْهِرُ للرُّوحِ، التي
هِيَ النُورُ المظْهِرُ للأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

[عالم الأجسام]

قال الشيخ رضى الله عنه: **ومن ذلك** . أى ، ومن بعض ما تضمَّنه[1] هذا الباب من أنواع العلوم : **سِرُّ الكيف[2] والكم ، وما لهما من الحكم.**

لما كان السؤال بكيف وكم، من لوازم العالم المحسوس ، الذى هو منصَّة الأجسام ، ومظهر الكثافة والأجرام . عبَّر بهما[*] عن الجسم الكُلِّى ولوازمه ، والنفس الكلية[3] وعوالمها[4] . فسِرُّ ظهور العالم الجسمانى ، هو لتحقُّق الإنسان بالشأن الرحمانى[5] ، حتى يظهر[6] بالفعل[7] فى صورة جزئية[8] مخصوصة كاملة النشأة، ما هو ثابتٌ بالقوة[9] فى حقيقة[10] الوجود الكُلِّى الجامع[11] ؛ لتكون تلك الصورة للوجود الكُلِّى ، كالروح للهيكل[12] الحيوانى ، وكالمعنى للفظ، وكالملك للمملكة .. فلهذه الحكمة[**] ؛ أولُ ما خَلَقَ الله من عالم

(١) – هـ.

(٢) – هـ.

(*) يقصد ؛ بالكيف والكم.

(٣) – ط ، أ : الكل ، هـ : الكلى.

(٤) ∴ وعوالمه .

(٥) + ط .

(٦) – أ ، هـ.

(٧) هـ : بالعقل.

(٨) هـ : جزوية .

(٩) أ : القوة.

(١٠) هـ : الحقيقة.

(١١) هـ : العالم الجامع.

(١٢) هـ : الهيكلى .

(**) يقصد الحكمة المذكورة فى الحديث القدسى : كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف ..

الأجسام، العَرْشُ . وجعله محيطاً بالمحيطات[1] كلها ، كما يحيط الجسم الإنسانى بجميع ما حواه هيكله المخصوص[*] .

واستوى سبحانه على العرش[**] ، استواءً مخصوصاً، هو عليه من غير تغيير[2] لشأنه الذى كان له قبل خلق العرش وما حواه. وذلك[3] الإستواء – فى ضرب المَثَل – كاستواء الروح على الجسم؛ فالجسمُ الجزئىُّ عرشٌ جزئىٌّ للروح الجزئية[4] ، والجسمُ الكُلى عرشٌ[5] كُلى للروح الكلية، المعبَّر عنهما بالحقيقة

---

(1) هـ : محيط المحيطات .

(*) يقول الجيلى : اعلم أن الجسم فى الهيكل الإنسانى جامعٌ لجميع ما تضمنَّه وجود الإنسان من الروح والعقل والقلب وأمثال ذلك، فهو فى الإنسان نظير العرش فى العالم، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته (الإنسان الكامل ٢/٥) وهو يحدد المفهوم الصوفى للعرش ، بقوله : العرش على التحقيق هو مظهر العظمة ومكانة التجلى وخصوصية الذات، ويسمى جسم الحضرة ومكانها ، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست، وهو المنظر الأعلى والمحل الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات.. ولا نعلم فى الوجود شيئاً فوق العرش إلا الرحمن (المرجع السابق ٢/٤)

وعلى ما يذهب إليه الجيلى ، فالعرش الذى استوى عليه الرحمن ، هو مطلق الوجود المحسوس والمعقول ، وهو يرادف الخَلْق بمعناه الواسع ، وعلى هذا الخلق تتجلّى الأنوار الإلهية فى كل وقت منذ الأزل وإلى الأبد ، وهذا التجلى الدائم هو معنى الاستواء.

(**) أثارت قضية الاستواء على العرش خلافات بين المذاهب الإسلامية، فمنهم من جعل الاستواء بالمعنى الحسى، ومنهم من جعله معنوياً.. ومنهم من منع الخوض فى هذه المسألة ، وقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

(2) ط : تعيين.

(3) أ : ذلك.

(4) أ : الجزوية ، هـ : الجزية .

(5) – هـ.

المحمدية من حيث تعيُّنها ، وبالحقيقة(١) الإلهية من حيث عينها.

ولاشك أن الكُلِّى صادقٌ على الجزئى(*) . فاعرفْ بما(٢) ذكرته لك(٣): من أنت؟ وما محلُّك ؟ .. تعلم حينئذٍ(٤) أن جسمك ، بل الجسم الكُلى : **هو البيتُ المعمور بالقوى**(**) .

القوى ، عبارة عن الملائكة الموكَّلة بتدبير العالم الكبير ، كما أن القوى الحيوانية موكَّلةٌ بتدبير جسمك ؛ الذى هو العالم الصغير بالنسبة إلى الجرم، لقوله تعالى : ﴿لخلْقُ السموات والأرض(٥) .. الآية ﴾(***) وأما بالنسبة إلى القدرة؛ فإنك(٦) أنت العالم الأكبر ، والسموات والأرض بما(٧) فيها ، هو العالم(٨) الأصغر ، لقوله تعالى : ﴿وسَخَّر لكم ما فى السموات وما فى(٩) الأرض

---

(١) العبارة ساقطة من ط .

(*) يقول المبدأ المنطقى بأن حكم الكل منطبقٌ على أجزائه ، فإن كان الكلى صادقاً فالجزئى صادق.

(٢) هـ : بمن.

(٣) – أ ، هـ

(٤) أ : ح .

(**) ورد بهذا الموضع من الفتوحات ، البيتان التاليان (من البسيط) :

الكَيْفُ والكَمُّ مَجهولاَن قدْ عُلِماَ — وَقَدْ فَهِمتُ لماذاَ جَاءَنِى بِهِماَ

فَهِمـاً يَبلُغناَ عِلْماً بَأنَّ لـهُ — فِينَا التَحكُّمُ فَانْظُرهُ بِهِ لَهُمَا

(٥) هـ : أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون .

(***) سورة غافر ، آية ٥٧.

(٦) هـ : انك .

(٧) هـ : وما.

(٨) – هـ .

(٩) بقية الآية ساقطة من هـ.

جميعاً[*] منه﴾ فالسموات بما أظلّت ، والأرض بما أقلّت، مُسخّرةٌ لـك. لكونـك أعزَّ قدراً، وأعظم فخراً؛ ولهذا تفنى[1] السموات[2] والأرض يوم القيامة[3]، وأنت باق إلى أبد الآبدين[4] . فجسمك الذى هو البيت المعمور، بقواك التى هى ملائكة تسخيرك؛ هو العرش الكريم .. إذ لاموجود أكرم على الله منك.

والجسم الكُلى[5] هو العرش المحيط ، لأنه جامعٌ للموجودات الجسمانية، وليس وراءه إلا عالم الجبروت . وسيأتى الكلام على العرش العظيم[6] والعرش المجيد ، فى موضعه[7] من هذا الكتاب إن شاء الله.

[بدء الخلْق وآخره]

إعلمْ أن الشيخ رضى الله عنه، أراد أن يبين لك فى هذه النبذة ، سرَّ خلْق العالم. فبدأ بذكر العرش، لأنه أول مُتَعَينٍ فى الصورة ، وإليه الإشارة[8] بقوله:
والذى كان عليه الاستواء.

إشارة إلى قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[*] وقد[9] كان

(*) سورة الجاثية ، آية ١٣.

(١) أ : تقف .

(٢) - هـ .

(٣) + هـ .

(٤) + ط .

(٥) أ : الكل .

(٦) أ : المجيد العظيم .

(٧) هـ : موضعين .

(٨) + ط .

(*) سورة طه ، آية ٥.

(٩) أ : استواء وقد .

الشيخ رضى الله عنه فيما مضى – وبينّاه لك[1] – أن[2] الروح المعبَّر عنها بالحقيقة المحمدية، وبالعقل الأول، وبالقلم الأعلى ؛ هى[3] أول مخلوق . وهى – أعنى[4] هذه الروح– كليةٌ وأرواحنا جزئياتها.

فلهذا المعنى ، أشرقت تلك المعانى الكمالية الموجودة فى الحقيقة المحمدية، فى ذواتنا. وإلى هذا المعنى، أشار بقوله تعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حَسَنَة[*] ﴾ وقوله[5] تعالى ﴿قد كانت لكم أُسوة حَسَنة فى إبراهيم[**]﴾ وإلى[6] هذا الإشراق[7] فى الأجسام أشار الشيخ رضى الله عنه بقوله : **محَل الظهور المشرق بالنور** . يعنى : إن العالم الجسمانى محل كمال الظهور[8] الإلهى؛ لأن الجسم الإنسانى[9] ، آخرُ ظاهرٍ من مراتب الوجود. ولهذا؛ كان الإنسان البشرى، نوع الأنواع على الإطلاق؛ وكان الإنسان الحقيقى ، جنس الأجناس. لأنه أول كل موجودٍ، فحاز رتبة الإحاطة ؛ فهو : الأول والآخِر .

---

(١) – هـ .

(٢) أ : فى.

(٣) هـ : هو.

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ.

(*) سورة الأحزاب ، آية ٢١.

(٥) الفقرة التالية ساقطة من ط .

(**) سورة الممتحنة ، آية ٤.

(٦) أ : ولها.

(٧) هـ : اشراق .

(٨) هـ : ظهور كمال.

(٩) ط : الجسمانى.

[إشراقات الإنسان]

وكان الإنسان مُشرقاً بأنوار الكمالات، معنىً وصورةً .فإشراقه المعنوى[١]، هو[٢] حقائق قواه المعبرَّ عنها بالعقل، والخيال ، والهِمَّة، والمصورة ، والإرادة .. وأمثال ذلك. فهذه القوى منه، هى عين الملائكة المدبرة للعالم الكبير؛ فالعقل من[٣] مظاهر جبريل ، والخيال من مظاهر إسرافيل ، والمصورة[٤] من مظاهر عزرائيل، والإرادة من مظاهر ميكائيل . وقِسْ على ذلك، باقى قواه المعنوية.

وأما إشراقه الصورى[٥] ؛ فالعيان لعالم[٦] جسمه، كالشمس والقمر للعالم الكبير. واللمس[٧] والشَمُّ والذوق والأذنان ، كالخمس الكواكب الأخرى من العالم الكبير .. فأشرق كِلا[٨] العالمين الجسمانيين بالنور .

وعلى الحقيقة ؛ العالم الجسمانى هو واحدٌ ، لأنه عبارة عن العرش وما حواه، فهو محل الظهور الإلهى، وهو **المشرق بالنور** أراد بالنور، عبارة عن حقائق الكمال الظاهرة فيه، من تجليات الحق تعالى. وعن الجسم عبَّر بقوله : **كلمة الحق**[٩] . يعنى : إنه نتيجة كلمة كُنْ، لأن الأرواح متعينة فى العلم

---

(١) أ ، ط : المعنوية .

(٢) ∴ هى .

(٣) هـ : هو من .

(٤) هـ : والصورة.

(٥) أ ، ط : الصورية.

(٦) أ : للعالم.

(٧) العبارة التالية ساقطة من أ .

(٨) أ : كل.

(٩) – ط.

الإلهى، فهى هناك أعيانٌ ثابتةٌ ، قديمةٌ بقدم الحق[*] .

والجسم ، هذا المحسوس ، إنما ظهر بواسطة الكلمة، على ما كانت الروح عليها من الصورة فى العلم[1] الإلهى . فكان الجسم أصلاً - من هذا الوجه- لظهور أعيان الممكنات، إذ هو المتعلّق به كلمة الحضْرة ، لكونه أتمَّ المجالى ظهوراً فى المراتب الكونية.

ومن ثَمَّ ، كان الجسم : **مقعد الصدق**. لأنه[2] محلٌ ثابتٌ[3] متمكِّنٌ[4] بَينٌ من كل وجهٍ ، وبكل اعتبارٍ ونسبةٍ . **ومعدن الأرفاق**. وكان الجسم معدن[5] الأرفاق، وهى المعانى الكمالية التى تحصل للأرواح بسبب[6] الجسم.. وقد ذكرنا ذلك[7] فى كتابنا الموسوم ***بكشف الستور عن***[8] ***مُخدَّرات النور***[**] فمن أراد معرفة ذلك، فليطالع هنالك[9] .

(*) كان ابن عربى أول من استخدم تعبير **الأعيان الثابتة** ليشير به إلى وجود الأشياء فى العلم الإلهى قبل بروزها إلى عالم الوجود الفعلى بالأمر الإلهى كن وفى الآية الكريمة ﴿يقول له كن فيكون﴾ ولفظ له يشير إلى وجود ما ، للشئ، قبل بروزه !

(١) هـ : علم.

(٢) أ ، هـ : لكونه.

(٣) أ : محلاً ثابتاً ، ط : بحلا ثابت.

(٤) أ : ممكن .

(٥) + ط .

(٦) هـ : بنسبت.

(٧) + هـ.

(٨) هـ : من .

(**) مُخْدرات : من الخِدْر وهو الخيمة التى تحتجب فيها الجميلات، ويريد بمخدرات النور : التجليات الإلهية.. والكتاب المشار إليه هنا غير معروف لنا فى الوقت الحاضر، لا مطبوعاً ولا مخطوطاً ، فهو فى حكم المفقود من كتب الجيلى.. أما الفكرة التى يشير إليها ، فهى بإيجاز: إن الجسم بما يقوم به من طاعات ورياضات ، يعمل على تحلية الروح بالمعانى الكمالية.

(٩) + ط .

ولما كان الجسم هو المتجلّى بجارحة[1] السمع والبصر ، قال الشيخ[2] مشيراً إلى ذلك[3] : **ومظهر الأوفاق**[4] . يعنى : الجسمُ مُظْهِرٌ للصفات[5] ، الموافقة لنعوت الحق تعالى، من السمع والبصر؛ إلى غير ذلك من القبضة[6] ، واليمين ، والتبشُّش[7] ، والتعجُّب، والنسيان فى قوله تعالى ﴿فاليوم ننساهم[*]﴾ والنَّفَس فى قوله ﷺ : لاتسبوا الريح فإنها من نَفَس الرحمن[**] . والصورة فى قوله عليه الصلاة والسلام : ***رأيتُ ربى فى صورة شابٍ .. الحديث***[***] والذراع[8] كما فى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث : إن

---

(١) هـ : جارحة.

(٢) هـ : رضى الله عنه.

(٣) ط : بقوله.

(٤) أ : الأفاق.

(٥) ط : أن الجسم مظهراً لصفات.

(٦) هـ : القبضية .

(٧) أ : التبشيش ، هـ : التبشبيش.

(*) فى أ ، ط : فاليوم ننساكم .. فإذا كان ما أوردناه فى المتن، فهى سورة الأعراف ، آية ٥١. أما ما ورد فى أ ، ط فهو خطأ فى كتابة قوله تعالى ﴿وقيل اليوم ننساكم.. سورة الجاثية، آية ٣٤).

(**) أخرجه الترمذى (السنن ، كتاب الفتن، الباب ٦٥ - كتاب البر ، الباب ٤٨) وأبو داود (السنن ، كتاب الأدب، الباب ٤٥) وابن ماجه (السنن ، كتاب الأدب الباب ٢٩) وابن حنبل (المسند ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٠- ٢٦٨- ٤٠٩- ٤٣٧- ٥١٨، الجزء الخامس ص ١٢٣).

(***) يأتى هذا الحديث كثيراً فى مؤلفات الجيلى بلفظ : **رأيت ربى فى صورة شاب أمرد ..** وفى كتاب **الأسماء والصفات** للبيهقى ، جاء الحديث بلفظ : **رأيت ربى جعداً أمرد عليه حلة خضراء** . وقد توقف عنده ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٢٥٠) وقال عنه شمس الدين الذهبى: هو خبر منكر ، نسأل الله السلامة فى الدين، فلا هو على شرط البخارى ولا مسلم، ورواته وإن كانوا غير مُتَّهمين ، فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان، فأول الخبر قال رأيت ربى وما قيد الرؤية بالنوم، وبعض من يقول إن النبى ﷺ رأى ربه ليلة المعراج ، يحتجُّ بظاهر الحديث . ـ

جلد الكافر أربعين[1] ذراعاً[2] بذراع الجبار[*] .

فكُلٌّ هذه الصفات ، هى[3] للجسم حقيقةٌ . وقد وافقت ما هو لله، سواءٌ أوَّلتها[4] فى حق الله تعالى[**] ، أمْ لم تُؤَول[4] . لأن الشارع صلى[5] الله عليه وسلم، قد نَسَبَها إليه تعالى[6] ؛ فكان الجسم محلاً لظهور الأمور الموافقة للنعوت الكمالية.

فالجسم : **محل البركات** لتزايد الظهور[7] . فى مرتبته، ولكونه[8] يحصل للروح- بواسطة الامتزاج به- علوماً، لايمكنها أن تعرفها إلا بالجسم . فهو محل البركة للروح، ومحل زيادة الظهور للحق. **ومعين[9] الحركات والسكنات**. لما

- والذى دلَّ عليه الدليل ، عدم الرؤية مع إمكانها، فنقف عن هذه المسألة، فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه (سير أعلام النبلاء ١٠/١٤) .

(٨) العبارة ساقطة من هـ.

(١) أ ، ط : أربعون.

(٢) + ط.

(*) لم نقع على تخريج لهذا الحديث .

(٣) - هـ .

(٤) أ ، ط : تؤولها ، بقية العبارة ساقطة من ط.

(**) التأويل المشار إليه ، كما فى اعتبار قوله ﴿ يد الله فوق أيديهم﴾ على أن اليد تعنى القدرة.

(٤) ط : تؤل.

(٥) - هـ .

(٦) - هـ.

(٧) - هـ.

(٨) أ ، ط : والكون.

(٩) ط : ومعنى.

فيـه مـن قـوة الكثافـة، وتكـاثف القـوة التـى بواسـطتها تحصـل[١] لـــلأرواح[٢] الحركات والسكنات[٣] الجزئية المضافة إلى الأجسام. **وبه**.أى بوجود الجسم[٤] . **عُرفت المقادير والأوزان**. لأن الجسم محل ذلك، وموضعه، ومجلاه، ومظهره . **وبه سمى الثقلان**. لثقـل الجسـد ورسـوبه، لـه - أى للجسـد[٥] - **مـن الأسمـاء المتين**[٦] بالتاء المثناة من فوق ، لما فيه من القوة والمتانة .

وهو الذى أبان النور المبين . أى : الجسم هو المظهـر لـلروح، التـى هـى النور المظهر للأشياء كلها. فلولا الجســم، لمـا حصـل لـلروح[٧] مـا حصـل مـن الكمال، ولا اسـتطاعت أن تظهـر بشـئ[٨] مـن ذلـك فـى العـالم. **حَكَـمَ** . أى الجسم. فى **النور بالقسمة**[٩] . النور هو الوجود[١٠] ، لأنه إنما وقع الظهور بـه؛ فلولا الوجـود ، لمـا ظهـر الموجـود[١١] ، ولا عُـرف العبـد ولا[١٢] المعبـود. ومـا ظهرت القسمة فـى الوجـود، إلا بسـبب الأجسـام ، لكـون الأبعـاد الثلاثـة[١٣]

---

(١) ط : تحصل.

(٢) هـ : للروح.

(٣) + ، ط : السكنات والحركات.

(٤) أ : بالجسم .

(٥) هـ : الجسم.

(٦) ط : التبين .

(٧) هـ : الروح.

(٨) أ : شئ .

(٩) + هـ.

(١٠) ط : الموجود.

(١١) ط : هذا الموجود.

(١٢) - هـ.

(١٣) + ط .

لازمة لها، لكونها[1] مركبةٌ كثيفةٌ ؛ ولأجل ذلك : **ظهرت بوجوده[2] الظِّلالات[3] والظُّلْمة.** لأن الكثافة الجسمانية[4] لاتخرقها الأنوار طبعاً ؛ ولأجل[5] ذلك، ظهر بوجود الجسم ، الظِّلُّ. وكذلك الظُّلمة، إنما ظهرت بواسطته ، لأن الليل هو عبارة عن استتار[6] الشمس بالأرض عن أهل الأرض[7] ؛ وكذلك الخسوف ، عبارة عن حيلولة[8] الأرض بين الشمس وبين جرم القمر . فلولا توسُّط الأرض ، لما ظهرت هذه الظُّلْمة الموجودة[9] .

فالظُّلْمة[10] من طبع الأجسام . وكذلك[11] ، مَنْ غلب عليه العمل بمقتضى الأمور[12] الجسمانية ، يكون في ظلمةٍ من ذلك البرزخ، حتى يؤول[13] أمره إلى النار. فالجسم أصلٌ في كمال[14] النور ، وأصلٌ في الظُّلْمة[15] .

---

(١) أ : ولكونها .

(٢) هـ : بوجود.

(٣) ط : الضلالات .

(٤) + ط .

(٥) هـ : فلاجل .

(٦) أ : انتشار ، هـ : استتار .

(٧) + ط .

(٨) أ : حيولة .

(٩) هـ : المشهودة.

(١٠) أ : والظلمة.

(١١) هـ : ولذلك .

(١٢) + ط .

(١٣) ط : يؤل .

(١٤) هـ : الكمال.

(١٥) ط : المقابلة.

[الحواس الخمس]

ومنه[1] ، أى من الجسم . **تتفجَّرُ ينابيعُ الحِكَم**[2] . لوجود الحواس الخمس[3] فيه؛ فلكل حاسةٍ[4] من الحواس ، حكمةٌ مخصوصةٌ[5] ليست لغيرها؛ فلا تنال الروح هذه الحِكَم، إلا بواسطة الجسم[6] . فالعين ينبوع الحِكَم التى لا تحصل إلا بالمعاينة، كالألوان، والحسن المشهود، والطراوة[7] ، والهيئات ، والأوضاع . فكُلُّ مَنْ[8] خُلِقَ أعمى، لا عين له، ليس يعرف شيئاً من هذه الحِكَم المستفادة[9] بواسطة[10] البصر ، لا فى الدنيا ، ولا فى البرزخ، ولا فى الآخرة. بل فاتته هذه الحِكَم على الإطلاق ، فلا يشعر بها ، ولاسبيل له إلى معرفتها.

والأذن ينبوع الحِكَم التى لاتحصل إلا بالاستماع[11] ، كعلوم[12] القرون[13] الماضية ، وعلوم الأخبار، والأحاديث المروية عن الرسل، وعن

---

(١) العبارة ساقطة من هـ .

(٢) أ : الأرض، والكلمة غير واضحة فى هـ.

(٣) أ : الخمسة .

(٤) أ : حاسية.

(٥) أ : مخصوص .

(٦) ط : الحكم .

(٧) ط : الظرفة.

(٨) هـ : ما.

(٩) بقية الفقرة ساقطة من ط.

(١٠) + أ .

(١١) ط : بالاسماع.

(١٢) + ط.

(١٣) هـ : القرآن .

الله[1] بواسطتهم. بل ولا يعرف الرسالة ولا[2] الرُّسُل، كُلُّ من خُلِقَ أَصَمٌّ .

ولهذا ، يكون كُلُّ أصم ، خُلِقَ[3] أبْكَم . لأنه لايسمع من أحدٍ ، شيئاً من الكلام. فلا يشعر بأوضاع الكلمات، ولا يعرف لذة الأنغام ، ولا يحسُّ بخشونة الأصوات الكريهة .. وقِسْ على ذلك، الشَّمَّ ، والذَّوْقَ ، واللمس ؛ فى معرفة الروائح ، والأطعمة ، والنعومة والخشونة.

فكُلُّ حاسةٍ من الحواس الخمس ، ينبوع حِكَمٍ كثيرةٍ مخصوصةٍ بها[4] ، لا تصحُّ للروح معرفتها ، إلا بواسطة تلك الحاسة .. ولهذا ، احتاجت الروح فى نيل الكمالات، إلى الإمتزاج بالجسم ؛ فالجسم محل[5] ظهور هذه الكمالات.

وتبرز ، يعنى : من الجسم . **جوامع الكلم** ، بواسطة اللسان. **يحوى[6] على رموز النصائح وكنوز المصالح** .. أراد برموز النصائح : الاعتبار الحاصل[7] للروح، بواسطة حواس الجسم. وأراد بكنوز المصالح : الأعمال الصالحة من الأفعال، والأقوال ، والعلوم ، والمعارف الإلهية ؛ الحاصلة للروح بواسطة الجسم .. لأنها تزداد شرفاً عند الله بذلك ، فهى كنوز المصالح لها[8] .

---

(١) هـ : تعالى .

(٢) - هـ

(٣) أ ، ط : خلقه.

(٤) ط : بما.

(٥) - هـ.

(٦) أ : تجرى ، هـ : تحوى.

(٧) أ : أصل الحاصل.

(٨) ط : بها.

[باطن الجسم وظاهره]

الشَّهَادة سَخافته[1] ، **والغَيْب كَثَافته**[2] . أراد بالشهادة هنا ، عالم المُلْك؛ وبالغيب، عالم الملَكُوت . والمراد : إن ظهور عالم الشهادة، بواسطة[3] رقة سطح الأجسام، لأنها[4] هى المشهودة من عالم المُلْك؛ وبطون عالم الغيب، بواسطة الكثافة[5] الجسمانية ، لأنها هى المانعة عن ذلك. ألا تراك[6] إذا رأيتَ جسماً من الأجسام ، فإن رقة مسطحه –وهو ظاهره الذى عبرَّ عنه الشيخ[7] بسخافته[8] – مشهودٌ ، ذو الغيب والشهادة.

تَستَّر[9]، أى الجسم بالجسم. **للغَيْرةِ** الإلهية على ذاته تعالى ، إذ هو عين الجسم ! وسَبَبُ هذه الغيرة : **حتى لايرى راءٍ غَيرْهُ** . فلا يُبصر مُبصِرٌ غير ظاهر الجسم ، صيانةً من الحق تعالى – إذ هو عين الجسم[*] – لباطن الجسم؛ إذ هو

---

(١) أ ، هـ ط : مخافيه .

(٢) أ : كنا فيه / هـ ، ط : كثافيه.

(٣) أ : بواسطته .

(٤) توجد هنا ورقة ساقطة من هـ .

(٥) .·. الكثافية.

(٦) ط : الادراك.

(٧) ط : رضى الله عنه.

(٨) أ : بسخاء منه.

(٩) ف : يستر .

(*) الجملة الاعتراضية ساقطة من ط ، ويبدو أن الناسخ تعمد إسقاطها. وذلك لأن الجيلى يعبِّر هنا بكل قوة عن فكرة الوحدة، فيضع من العبارات ما لا يحتمل التأويل ، وإنما يُلزم القول بأن الجيلى يطابق تماماً بين الحق والخلق . واعتقد أن الورقة الساقطة من هـ ، أسقطها الناسخ عمداً، لهذا السبب !

من أشرف مظاهر الوجود، لأنه المفصل لجمليات[*] مراتب الوجود ، حيث أنه: **يَتَقَلَّبُ** . أى الجسم . **فى جميع الأحوال** ، كاللطافة والكثافة ، والصغر والكبر، والطول والعرض ، والعُمْق[1] والسُّمْك، والبعد والقرب ، والتوسُّط، والحسْن والقُبْح، والفناء والبقاء ؛ إلى غير ذلك من الأحوال[2] اللازمة للجسم، والعارضة له. فلولا شرفه ، لما كانت له الأحوال كلها . فهو[3] يدخل فى كل طورٍ من أطوار النقص والكمال **ويقبل بذاته التصرُّف فى جميع الأعمال** . يعنى: إن للجسم – من حيث هو– قابليةٌ لكل عملٍ من الأعمال المتنوعة؛ مما يستحيل عادةً[4] ، كقتل العصفورُ بازاً[*] ؛ أو يستحيل عقلاً ، كحمل النملةُ جملاً[5] . فإن فى قابليتها، القبول لذلك. فلو حصل الاستعداد ، ووافق القَدَر ، أمكنها فعل ذلك المستحيل .. وإنما حصل هذا السرُّ – الذى أودعه فى الجسم– من قدرته[6] .

[أقسام الأجسام]

تنبيه .. اعلمْ أن الأجسام على أربعة أقسام :

(*) هكذا فى الأصول ، وهو يقصد : مُجْمَلات .

(١) – ط .

(٢) بقية العبارة ساقطة من أ.

(٣) أ : هو .

(٤) ∴ ذلك عادة .

(*) الباز : طائرٌ يصيد الصقور ، يعد من أشد المخلوقات تكبراً وأحرها مزاجاً . ولفظة باز مشتقة من البزوان وهو الوثب (الدميرى : حياة الحيوان ٩٩/١).

(٥) ط : حبلاً.

(٦) ط : وقدرته.

القسم الأول ؛ هو المعدن. وهو عبارة عن كل جمادٍ لا نمو له[1] ، سواء كان مائعاً أو منعقداً[*] .

القسم الثانى ؛ هو النبات . وهو كل نامى[2] من الأجسام ، لاروح فيه طبعاً.

القسم الثالث؛ هو[3] الحيوان . وكل نامى ذى روحٍ من الأجسام.

القسم الرابع؛ هو[4] السموات ، والأجرام النورانية ، والأفلاج العلوية؛ فإن كُلاًّ من ذلك، أرواحٌ قائمةٌ متجسدةٌ . وإنما صَحَّ إطلاق لفظ الجسم عليها، لكونها تقبل الأبعاد الثلاثة التى هى من طبع الجسم – وهى[5] الطول والعرض والعمق – فكانت أجساماً[6] ،لأنها من تمام عالم المُلْك. وعالم[7] المُلْك، عبارة عن مرتبة الطور الجسمانى.

وقد ذكر الشيخ – رضى الله عنه– فى الباب الذى ذكره فى هذه النبذة، خلاصة ما فيه . وهو الباب السابع من الفتوحات[8] .

---

(١) أ : لا نوله.

(*) يقصد :سواء كان سائلاً أو جامداً.

(٢) بقية العبارة ساقطة من أ.

(٣) ∴ وهو .

(٤) – ط .

(٥) ط : الحكم وهو.

(٦) ط : الأجسام.

(٧) – ط .

(٨) ط : المكية .

[عُمـر الأرض]

إن عمر الأرض ، أحد وسبعون ألف سنة من سنى الدنيا ؛ فلا تظن أن ذلك على الإطلاق ، بل عمر العالم الدنياوى من وقتٍ مخصوصٍ وإلا ، فعمر هذا[1] العالم أطول من أن يحصر ، أو يحصى بآلاف الألوف من السنين[*] . وقد ذكر الشيخ ما يدلُّ على ذلك مصرَّحاً فى الفتوحات المكية، حين ذكر أن فى الأهرام الموجودة بأرض مصر، كتابة بقلم غريب، يقرؤها مَنْ يعرفها[**] . ومفهوم تلك الكتابة ، أن بانى تلك الأهرام ، بناها والنسر الطائر[***] فى

---

(١) - ط .

(*) يذهب علماء نشأة الكون Cosmogony ونشأة الأرض geogeny إلى استخدام مصطلح الدهر eon للإشارة إلى أصول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجى ، يصل مدى المرحلة الواحدة إلى ملايين السنين.. وأحدث التصانيف تقسم الزمن الجيولوجى إلى ثلاثة دهور هى :

دهر اللاحياة Azoic ويزيد مداه على ١٧٠٠ مليون سنة .

دهر الحياة الخافية Cryptozoic Eon وهو ثانى الدهور فى الزمن الجيولوجى ويبلغ مداه ٢٦٠٠ مليون سنة .

دهر الحياة الظاهرة Phanerozoin Eon ثالث وآخر دهور الزمن الجيولوجى ويبلغ مداه نحو ٥٧٠ مليون سنة.

وتنقسم هذه الدهور إلى الحقب Erd الخمسة التالية بحسب اختلاف صور الحياة فيها : حقب الحياة العتيقة Archaeozoic ومداها ١٠٠٠ مليون سنة - حقب طلائع الحياة Proterzoic ومداها ١٦٠٠ مليون سنة - حقب الحياة القديمة Palaeozoic ومداها ٣٠٠ مليون سنة - حقب الحياة الوسطى Mesozoic ومداها حوالى ١٣٠ مليون سنة - حقب الحياة الحديثة Kesozoic ومداها نحو ٦٥ مليون سنة .. (راجع : المعجم الجيولوجى ص ١٤٩ وما بعدها).

(**) الإشارة إلى الكتابات الهيروغيليفية التى كانت تغطى الأهرامات.

(***) مجموعة من الكواكب تُعرف بكوكبة النسر الطائر وكوكبة العقاب . يقول عبد الرحمن بن عمر الصوفى، أحد كبار علماء الفلك فى تاريخ الإسلام : كواكبه تسعة، منها ثلاثة مشهورة هى التى تسمى النسر الطائر (صور الكواكب الثمانية والأربعين ص ١١٠) .

الحمل(*) . وقال الشيخ رضى الله عنه : إن النسر الطائر لاينتقل من برجٍ إلى غيره ، إلا بعد مضى ثلاثين ألف سنة، وهو اليوم فى الدلو ؛ فقد قطع عشرة أبراج ، ولا(١) يتأتّى(٢) ذلك إلا بعد ثلاثمائة(٣) ألف سنة(**) .

وإذا كان هذا عُمر الأهرام، فأين أنت من عُمر الدنيا ؟ .. فإذا كانت الدنيا المخلوقة للزوال بهذه المثابة من طول العُمر ، فما قولك فى الجنة والنار المخلوقتان(٤) للبقاء ؟ فلا تحمل كلام الشيخ -رضى الله عنه- فى

(*) هو أحد البروج الاثنى عشر ، التى هى على الترتيب من المغرب إلى المشرق: الحمل، الثور ، الجوزاء، السرطان ، الأسد ، السنبلة، الميزان، العقرب ، القوس، الجدى، الدلو، الحوت.. وطول كل برج فيما بين المغرب والمشرق ثلاثون درجة ، وعرضه ما بين القطبين ثمانون درجة (كشاف إصطلاحات الفنون ١١٢/١) .

والمقصود بقوله : النسر الطائر فى الحمل . وقوله بعد ذلك : وهو اليوم فى الدلو . هو حركة كوكبات النسر الطائر وانتقالها من مركز إلى آخر ، وهى حركة رصدها الفلكيون بحساب دقيق منذ أيام الحضارات الشرقية القديمة، ثم بدأ بطليموس فى تدوين تلك الحسابات فى كتابه الذى انتقل إلى المسلمين وعرف باسم المجسطى أو : دليل النجوم الثابتة .

(١) أ : فلا .

(٢) ط : يأتى .

(٣) ∴ ثلثماية .

(**) يزيد عمر الأهرام فى كلام ابن عربى والجيلى ، عن عمرها المعروف لنا اليوم بأضعاف كثيرة .. فقد بنى الأهرام ملوك الأسرة الرابعة (خوفو - خفرع- منكاورع) وهذه الأسرة يمتد حكمها من سنة ٢٩٠٠: ٢٧٥٠ قبل الميلاد ، وتدخل ضمن ما يسميه علماء المصريات : الدولة القديمة .

ووفقا لتقديرات المؤرخين، فإن عمر الأهرام فى زمن ابن عربى ، يكون نحو أربعة آلاف عام.. وليس ثلاثمائة ألف !

(٤) ∴ المخلوقات .

الفتوحـات[1] ، من أن عمر الجنة أو النار كذا كذا[2] سنة ، علـى ظـاهر ، بـل ذلك من وقتٍ مخصوص.

[إشـــارةٌ]

لما كان الجسم الإنسانى ، كالعالم الدنياوى ، بالوضع والتفصيـل. فـإن[3] حُكْم العالم الدنياوى إلى الزوال والفناء ، لأن ذلك من لازم الجسـم الإنسـانى؛ فكُلٌّ منهما[4] نسخةٌ للآخر[5] ، وعُمر كُلٌّ منهما على حسـب هيكلـه ، فكـان عُمر الإنسان قصيراً، لأن هيكله صغيرٌ ؛ وكـان عُمـر العـالم الدنيـاوى طويـلاً ، لكبر هيكله .. ولابد له من الانعـدام[6] والفنـاء ، كمـا أنـه لابـد للإنسـان مـن ذلك. فافهم!

[خلود الجنـة والنار]

ولما كان العالم الأخروى ، نسخةً من بـاطن الإنسـان وروحـه – إذ كُـلٌّ منهما نسخةٌ للآخر – فكانت الآخـرة ، كـالروح الإنسـانية ؛ باقيـةً بإبقـاء الله تعالى. فلا يُتوهَّم أن الجنة والنار تفنيان[7] بحال ، وما ورد من[8] أن النار تفنـى،

---

(١) + ط .

(٢) أ : كذلك.

(٣) أ : كان.

(٤) ط : نكمل منها .

(٥) ط : الآخر .

(٦) + ط .

(٧) أ : تفنى.

(٨) – ط.

وينبت محلها شجرُ الجرجير[*] ، إنما ذلك من حيث أوقاتٍ مخصوصـةٍ . ففناؤهـا وزوالُها ، فناءٌ مقيَّدٌ ، لا فناء مُطلق. لأن الآخرة ، محلُّ مشهود الأعيان الثابتـة – التي هـى معلومـات العلـم– لأن الله تعـالى يُظهرهـا يومئـذٍ ، فيُرى منهـا كـل أحدٍ[1]، على حسب حاله ومقامـه عنـد الله .. ولاشـك أن النـار معلـوم العلـم الإلهى، فلا سبيل إلى زوال المعلوم عن العلم .

وقد كشفتُ بذلك، عن أسرارٍ شريفةٍ ، لم يسمح بها أحدٌ مـن المحقِّقـين؛ غَيْرَةً على تفاصيل المعرفـة بـالله . وفـى[2] هـذه النبـذة ، زُبـدة جميـع مـا أفـرده الشيخ[3] فـى البـاب السـابع مـن الفتوحـات المكيــة . فـافهمْ ، أرشــدك الله للصواب.

* * *

(*) إشار إلى حديث شريف ، لم نقع على تخريج له.

(١) ط : واحد.

(٢) هنا تنتهى الورقة الساقطة من هـ.

(٣) ط : رضى الله عنه.

البَــابُ الثّــامِنُ

وصَــارَ خَــرْقُ العَــادَةِ ،
لَــهُ عَـادَةٌ .

[الجسم والجسد]

قال الشيخ رضى الله عنه : **ومن ذلك** أى ، ومن بعض ما تضمَّنه هذا الباب من فنون[1] العلوم[2] ، المشَار إليها[3] فى صدر الكتاب . **سِرُّ ظهور الأجساد بالطريق المعتاد .**

إعلْم ، رضى الله عنا وعنك، أن الصوفية فرَّقوا بين الجسم والجسد؛ فقالوا: إن الجسم هو كل صورةٍ مرئيةٍ قابلةٍ للأبعاد الثلاثة، حالة كونها كثيفة الأصل طبعاً .. وقالوا إن الجسد عبارة عن كل صورةٍ - يتشكَّلُ بها روحٌ - من الصور الجسمانية[4] .

وإذ[5] قد عرفت ذلك، فاعلْم[6] أن قول الشيخ ، رضى الله عنه **سِرُّ ظهور الأجساد بالطريق المعتاد** هو لُيعلم أن المراد بذلك ، عبارة عن[7] تصويرات الروح فى أشكال الحسية ، المشهودة، الصورية . وإنما قال الشيخ **بالطريق المعتاد** لُيعلم أن المراد بذلك، تصورات[8] الأرواح الجزئية؛ كما يجئ[9] للأشخاص - فى حال تفكُّرهم[10] - من تصوُّر روحه الجزئية، بالصورة الخيالية

---

(١) هـ : الفنون .

(٢) ط : العلم .

(٣) - أ .

(٤) ط : الجثمانية .

(٥) هـ : وإذا ، ط : وإن.

(٦) هـ : فافهم .

(٧) الفقرة التالية ساقطة من أ .

(٨) هـ : تصور .

(٩) هـ : يجرى.

(١٠) أ : تفكره ، هـ : فكرة .

المشهودة له عيناً[1] ؛ أو كما يجرى للنائم من تصوُّر روحه ، بالصورة المرئية فى النوم ، المشهودة له حِسّاً وشهادةً .

[البَـرْزَخُ]

ولما كان عالم الخيال وعالم المثال متشابهين ، كأنهما من جنسٍ واحدٍ، وكان البرزخ أيضاً شبيهاً لها[2] ؛ قال تنبيهاً على ذلك : **البرزخ**[*] **ما قابل الطرفين بذاته** . أراد الشيخ رضى الله عنه ، أن يُعلمك أن عالم الخيال برزخٌ ؛ لكونه[3] قَابَلَ طرفىْ الجسم والروح الإنسانية ، بذاته . وأن عالم المثال - أيضاً- برزخٌ؛ لكونه[4] قَابَلَ طرفى المعنى والصورة ، بذاته. وأن العالم الذى تصير إليه الأرواح بعد فراقها للأجسام -أيضاً - برزخٌ ؛ لأنه قَابَلَ طرفْى دار الدنيا ودار الآخرة[5] ، بذاته.

فكُلٌّ من هؤلاء البرازخ ، بين[6] أحكام[7] طرفيه .. لابدَّ له من ذلك، إذ هو ناشئٌ منهما . فالخيال ، بين أحكام الجسم وبين أحكام الروح. والمثال، بين

---

(١) أ : غيباً .

(٢) ط : تشبيهاً بهما .

(*) لم يتوقف الجيلى هنا ، عند بيتين وردا فى الفتوحات على النحو التالى :

تَجَسُّدُ الرُّوحِ للأَبْصَارِ تَخْيِيلُ ... فَلاَ تقِفْ فِيهِ ، إِنَّ الأَمْرَ تَضْلِيلُ
قَامَ الدَّلِيلُ بِهِ عِنْدى مُشَاهَدَةً ... لما تَنَزَّلَ رُوحُ الوَحْيِ جِبرِيلُ

[البسيط]

(٣) ط : برخ لأنه.

(٤) ط : لأنه.

(٥) هـ : والآخرة .

(٦) هـ : وبين .

(٧) + ط.

أحكام الصورة والمعنى . والمحل الذى تقيم[1] فيه الأرواح ، بين أحكام الدنيا والآخرة.

وقد ذكرنا ذلك[2] مفصلاً - على ماهو عليه- صريحاً ، فى الجزء التاسع عشر[3] من كتاب[4] **الناموس الأعظم[5] والقاموس الأقدم فى معرفة قدر النبى ﷺ** فمن أراد تحقيق[6] الخيال ، والبرزخ، والمثال ، وأرض الحقيقة[*] - التى ذكرها الشيخ[7] فى الفتوحات - فلينظر فى ذلك الجزء ، فإنما[8] وضعت تلك الرسالة لتحقيق ذلك[**] .

فهذه العوالم الأربعة[***] ، قريبةٌ بعضها من بعضٍ؛ وكُلٌّ منها برزخٌ ، لأنه

---

(١) هـ ، ط : يقيم .

(٢) ط : لك ذلك .

(٣) - هـ .

(٤) - هـ.

(٥) بقية العنوان ساقط من ط .

(٦) ط : تحقيق ذلك.

(*) أرض الحقيقة ؛ عالمُ مخصوص ينزل فيه الصالحون بعد وفاتهم . وهو مخلوق من قطعة الطين - التى هى بقدر السمسمة - الباقية من الطينة التى خُلق منها آدم ، وقد يُشار إليها بأرض السمسمة. وكان ابن عربى قد تحدث عنها علة مواضع من الفتوحات ، كما توقّف عندها الجيلى فى العديد من كتبه.

(٧) ط : الشيخ رضى الله عنه.

(٨) ط : فإن ما .

(**) تفيد عبارة الجيلى هنا ، أن كتاب الناموس هو مجموعة من الرسائل الصوفية التى يجمعها عنوانٌ رئيسىٌّ واحد ، ولكُلٍّ منها موضوعٌ وعنوانٌ فرعىٌّ. والكتاب كاملاً -كما أسلفنا- مفقودٌ فى الوقت الحالى .

(***) يقصد عوالم : الخيال ، البرزخ ، المثال ، أرض الحقيقة.

قَابَلَ الطرفين بذاته . **وأَبْدى[1] لذى العينين[2] من عجائب آياته ، ما يدلُّ على قوته، ويُستدلُّ به على كرمه وفُتوَّتِهِ.**

أراد بذى العينين ، كُلَّ مَنْ كان[3] له نظرٌ فى عالم الأرواح[4] ، ونظر فى عالم الأجسام . إحترازاً ممن هو مقصود على[5] عالم الأجسام ، فكأنه[6] ليس له إلا عينٌ واحدةٌ . ولفظة **ما يدلُّ**[7] موصولة ، وهى[8] مفعول **أبْدى** ؛ وتقديره: إن البرزخ، ما قَابَلَ الطرفين بذاته[9] ، وأبدى[10] أموراً تدلُّ على قوَّته[11] ، كُلُّ مَنْ كان له عينان يبصر بهما فى[12] العالمين .

والدليل على أن هذه البرازخ المذكورة - من الخيال ، والمثال ، وأرض السمْسمة[*] ، والبرزخ - لها قوةٌ ، أنها[13] شعبةٌ[14] من القُدْرة، وأمورها

---

(١) أ : وأبدى ، ط : وأبد .

(٢) ف : عينين .

(٣) - ط .

(٤) هـ : الرواح.

(٥) - ط .

(٦) ط : لأنه.

(٧) أ : ما فى ما يدل ، ط : ما يدل على.

(٨) - هـ / أ ، ط : وهو .

(٩) - ط .

(١٠) ط : فأبدا.

(١١) هـ : قوة .

(١٢) ط : مما فى.

(*) لاحظ أن الجيلى استخدم أرض السمسمة كمرادف لـ أرض الحقيقة.

(١٣) ∴ لأنها.

(١٤) غير واضحة فى أ ، هـ

منوطةٌ بالقدرة المحضة. وليست[1] كأمور الدنيا، موقوفةً على الحكمة والأسباب[2] ، لأن الأشياء تتكوَّن فيها بالإرادة ؛ فهى قدرةٌ محضةٌ . وإذا[3] صَحَّ أن لها هذه القوة والقدرة، صَحَّ أن لها كَرَماً[4] وفتوة[*] .

فهو القُلَّبُ الحوَّلُ[5] أى : البرزخ متقلِّبٌ فى الصور، متحولٌ[6] فى الهيئات؛ لِسر مقتضيات طرفيه ، واختلاف أمورها . ولهذا ، لا تدوم الصور المرئية فيه[7] للناظر ، بل تمرُّ عليه ، وتذهب عنه.. ولو كانت باقيةً ، من حيث هى هى.

فلتقلُّب أحوال البرزخ على أهله[8]؛ قال: **والذى فى كُل صورةٍ يتحوَّل.**

---

(١) .·. ليست .

(٢) + ط .

(٣) هـ : وإن .

(٤) ط : كرم .

(*) الفتوة بمعناها البسيط عند الصوفية هى: كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى .. ويقال: إن أصل الفتوة أن لاترى من الدنيا لنفسك فضلاً واحداً . وقال أهل التفسير : هى كسر الصنم فى قصة الخليل .. ويذكر التهانوى : إن صنم كل إنسانٍ ، نفسه؛ فمن خالف هواه ، فهو فتى على الحقيقة (كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١١٥٦).

والفتوة المشار إليها فى كلام الجيلى هنا ، تتجاوز مفهوم الفتوة الإنسانية ، إلى مفهوم التفضل البرزخى على العالم الحسى، لأن قوة البرازخ وقدرتها هى التى تبرز الأشياء فى العالم الحسى المشهود لنا ، فلها بهذا المعنى كرمٌ وفتوةٌ .

(٥) الكلمات غير مشكولة فى النسخ جميعاً، إلا تشديدٌ على الواو فى ف وفى هـ : القطب الحلول، ط : المقلب المحول.

(٦) ط : متحرك.

(٧) أ : فيها .

(٨) أ : غير أهله .

تقديره: وهو[1] – أى البرزخ– فى كل صورةٍ من صورة[2] طرفيه ، يتحوَّل. **عَوَّلَتْ عليه** . أى على[3] البرزخ **الأكابرُ**[4] يعنى : أهل الله؛ لرجوعهم[5] آخر الأمر إليه، فكان تعويلهم –لذلك– عليه **حين جهلته**. أى البرزخ **الأصاغرُ**. وأراد بالأصاغر، المحجوبين ؛ وبالأكابر ، أهل الكشف . **فله** . أى للبرزخ[6] : **المعنى**[7] **فى الحكَم ، والقَدَم الراسخة فى الكَيْفِ والكَم** .

إنما كان للبرزخ هذا المعنى(*)، لتعلُّقه[8] بطرفه الروحانى ؛ والكَيْف والكَم، لتعلُّقه بطرفه الثانى ، وهو الطرف الصورى الجسمانى . ولهذا ، كُلُّ برزخٍ : **سريع الاستحالة** ؛ لكون[9] صُوَرُهُ قليلةَ الدوام ؛ عند الرائى[10] ، لا من حيث هى هى .

يعرفُ العارفون حاله ، بيده مقاليد الأمور ؛ لكونه قدرةً محضةً، تتكون[11] الأشياءُ فيه بالإرادة. **وإليه مسانيد الغرور** ؛ من أجل تحوُّل صُوَرِهِ ،

---

(١) – أ.

(٢) – هـ.

(٣) + هـ ، – ط.

(٤) + أ .

(٥) هـ : يرجوعهم .

(٦) + أ ، ط : البرزخ .

(٧) ف : المضاء .

(*) يلاحظ هنا أن الجيلى شرح الكلمة ، على أنها المعنى وليس المضاء كما وردت بالفتوحات.

(٨) ط : لتعقله .

(٩) هـ : لكونه ، ط : لكن.

(١٠) ∴ الرأى .

(١١) ط : يتكون .

فمن ركن إلى شيءٍ منها[1] ، اغترَّ به . له[2] . أى للبرزخ؛ **النَّسَبُ الإلهىُّ الشريفُ**. أراد بالنسب هنا[3] ، تكوين الأشياء بالقدرة .. ألا تراك تكون بما[4] أردته فى خيالك، على حسب ما شئت ؟ وإن كنتَ متمكِّناً؛ كان لك ذلكَ فى عالم المثال ، وفى العالم[5] الذى[6] تصير الأرواحُ إليه[7] بعد الإنتقال من دار الفناء والزوال ..

[كرَامات]

ولقد جرت لى واقعةٌ عجيبةٌ[8] فى هذا المعنى : رأيتُ مَرَّةً فى المنام، وأنا بصنعاء اليمن، بتاريخ[9] سنة خمسٍ وثمان مائة، امرأةً كانت قد ربَّتنى[10] وأحسنت إلىَّ فى صغرى، وكانت قد ماتت ؛ فرأيتها[11] مُسْوَدَّةَ الوجه، لما تلقاه من العذاب، لنظرها إلى النار . فألبستُ النَّارَ لها[12] ، صورة الجنة . وقلتُ[13] : انظرى إلى الجنة. فنظرتْ إليها ، فزال عنها السواد الذى فى

---

(1) – ط .

(2) هـ : فله.

(3) أ : هذا .

(4) ط : كما .

(5) أ ، ط : عالم.

(6) أ : التى .

(7) هـ : إليه الأرواح.

(8) ط : غريبة.

(9) – هـ.

(10) ط : رأتنى.

(11) هـ : لها النار.

(12) أ : فقلت لها.

(13) هـ : صار .

وجهها، وتهلّل وجهها، حتى صارت[1] كالقمر فى الحسن والبهاء .

وكثيراً ما أرى[2] فى النوم[3] أموراً، أعرف فيه[*] أن تعبيرها[**] فى اليقظة غير ملائم[4] لطبع ، فلا أقربها . وبعض الأحيان، أقلبها[5] إلى غير تلك[6] الصورة المخالفة للطبع، فأراها كما أريد[***] ! ولا يستطيع ذلك، إلا مِنْ قَدِرَ على تصريف الأمور فى المعنى، وصار خرقُ العادة له عادة[****] فى العالم الروحانى .. لايعرف ذلك، إلا مَنْ مارسه من العارفين .

---

(١) هـ : صار .

(٢) هـ : روى.

(٣) هـ : المنام.

(*) ط : فيها .. والمقصود ؛ أنه يعرف إثناء نومه.

(**) تعبير المنام ؛ تفسيره وفهم رموزه.

(٤) أ ، ط : ملائمة.

(٥) هـ : أولها .

(٦) هـ : تلك.

(***) يريد الجيلى هنا أن يقول : إنه يقدر فى النوم على توجيه الرؤى التى يراها ، كيفما شاء، فيرى فى المنام ما يريد أن يراه !

(****) يقول الصوفية : من خرق بمجاهداته العادة التى عليها الناس ، صار له خرق عوائد الأشياء عادة .. وهذا يشير إلى مبحث الكرامة عند الصوفية ، وهو مبحث شائك مثير للجدل رغم وضوح أدلته الشرعية . وقد عقدنا للكرامة فصلاً فى كتابنا (عبد القادر الجيلانى باز الله الأشهب) ومن أراد مطالعة المزيد فلينظر فى التناول التفصيلى الذى قام به اليافعى لموضوع الكرامة وأدلة وقوعها نقلاً وعقلاً فى بداية كتابة : نشر المحاسن الغالية ، ص ٨ وما بعدها .. وبخصوص رواية الكرامات، يمكن الرجوع إلى الفصل الذى عقدناه بكتابنا المتواليات : دراسات فى التصوف تحت عنوان : كرامات الصوفية نصٌّ أدبىٌّ مضادٌ للتصوف .

لكن الأمر اللافت للنظر هنا، أن الصوفية قد يتحدَّثون عن الكرامة وخرق العادة فى عالمنا الحسى المشهود .. أما الجيلى هنا ، فهو يذكر كراماته فى العالم الروحانى أيضاً.

[الخيـــال]

فللبرزخ ؛ تلك الصفة الإلهيـة القادريـة(*) . **والمنصب**[1] **الكيـانى المنيـف** أى، وللـبرزخ : المنصب الكيـانى العـالى؛ وهـو التعيُّـن بـالصورة المحسوسـة، المحدودة، الخلْقية .. فهو خَلْقٌ ، له وصف[2] الحق .

تلطَّف[3] **فى كثافته**[4] **وتكثّف**[5] **فى لطافته**[6] . لكونه بـين[7] عـالمين ؛ أحدهما كثيـفٌ، والآخر لطيـفٌ . فهـو يظهـر بحُكْم كُـلٍّ مـن عـالمىْ اللطافـة والكثافة[8] ، فى صورةٍ واحدةٍ .

يُخرجه[9] **العقلُ ببرهانه** . أى ؛ يُخْرِجُ العقلُ بالفكرة، صور[10] الأمـور الخيالية -لأن الخيال من جملة البرازخ[11] - ببرهانـه . وهى الدلائـل العقليـة

(*) الاشارة إلى القدرة على خرق العادة .. وقد تكون الإشارة - أيضاً - إلى عبد القادر الجيلانى، الذى رويت عنه كرامات كثيرة لاتحصى .. حتى قيل : ما نُقلت الكرامات عن أحد بالتواتر ، إلا عن الشيخ عبد القادر .

(١) أ : والمنصف .

(٢) أ : وصفه.

(٣) هـ ، ط : يلطف.

(٤) ط : لطافته.

(٥) أ ، هـ ، ط : ويكثف.

(٦) ط : كثافته.

(٧) أ : في .

(٨) هـ : الكثافة واللطافة .

(٩) ف : يجرحه.

(١٠) هـ : بالفكرة صورة .

(١١) + ط.

التى[1] تُنْتِجُ[2] فى الفكر صوراً[3] ؛ على حسب مقتضاها.

ويعدله[4] الشَّرْعُ ، بقوة سلطانه . أى ؛ يصرفه الشرع إلى غير ما ظهر فى العقل، لأن المشرع[5] مرتبطٌ بالوحى الإلهى، فله الحكْم على كل صورةٍ ومعنى. فلذلك[6] ؛ لم يكن للعقل ، فى الشرع ، مجالٌ .

فالخيال : **يحكم فى كل موجود** . لأنك تسرى بعقلك فى كل شئٍ، ولأن الخيال يستحضر كُلَّ موجودٍ فى عالمه، وإلى صحة الأمور المشهودة بحُكْم الدلائل العقلية[7] ، أشار بقوله : **ويدلُّ على صحة حُكْمه، بما يعطيه الشهود، ويعترف به**، أى ؛ بصحة ما حَكَمَ العقلُ - فى الخيال- به، فيقرُّ . **الجاهلُ بقَدْره**. أى ؛ بقَدْر عالم[8] الخيال . **والعالم** . أى بقَدْره. **ولا يقدر على رَد حُكْمه حاكم** . لأن العقل إذا اقتضى أمراً[9] ، لايمكن أحد من أهل المعرفة ، رَدّ ذلك الحكْم .

---

(١) - أ .

(٢) هـ : تفتح .

(٣) أ : صور الفكر.

(٤) أ : وبعد له.

(٥) أ : الشرط.

(٦) + ط .

(٧) - هـ.

(٨) - هـ.

(٩) هـ : لأمر

وقد شرحتُ[1] لك بهذه[2] النبذة ، جميع ما تضمَّنه الباب[3] الثامن من الفتوحات المكية . فافهمْ ، وتأمَّلْ ، والله الموفق[4] للصواب.

*   *   *

(1) هـ : شرحنا .

(2) ط : في هذه .

(3) هـ : هذا الباب.

(4) هـ : موفق.

البَابُ التَّاسِعُ

إِبْلِيسُ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ فِي الأَمْرِ ،
وَآدَمُ أَوَّلُ مَنْ خَالَفَ فِي النَّهْيِ !

[الواج والمارج]

قال الشيخ رضى الله عنه : **ومن ذلك**. أى ، ومن بعض ما تضمَّنه هذا الباب، من فنون العلم : **سِرٌ**[1] **الواج والمارج**[2] . الواج ؛ إشارةٌ إلى الأرواح[3] الطاهرة[4] المختلفة، من العُنصريين[5] العُلْويين ، وهم ملائكة الجو ، بين السماء والأرض. والمارج[6] ؛ هو الأرواح الخبيثة ، وهى الجِنُّ ، خلقهم الله تعالى[7] من امتزاج النار بالهواء[8] ، كما خُلِقَ الإنسانُ من امتزاج الماء بالتراب[*] .

ولما كان خَلْق الجان ، من امتزاج النار بالهواء[9] ، كان الانقلاب طبعاً له[10]. لأن الهواء لاثبوت له ؛ وكذلك النار ، تريد[11] العلو والارتفاع

(١) + هـ.

(٢) أ : المعارج .

(٣) العبارة التالية مضطربة فى أ.

(٤) هـ ، ط : الظاهرة.

(٥) أ : العنصر بن ، ط : العنصرين .

(٦) أ : المعارج.

(٧) – ط .

(٨) ط : الهوى .

(*) الماء ، التراب ، الهواء ، النار .. هى المبادئ الأربعة للوجود ، فى اعتقاد القدماء. وهى نظرية عميقة الجذور، تعود إلى فلاسفة اليونان الأوائل (أُنظر ما سنقوله فيما بعد) .

(٩) ∴ بالهوى .

(١٠) ط : لهم.

(١١) ط : يريد .

طبعاً[1] .. ألا تراك[2] إذا أخذتَ شمعةً وأقلبتها[3] ، لا تنقلب[4] نارها معك، بل ترجع إلى فوق بالطبع؛ لأن الركن النارى يتعالى[5] طبعاً . وبعكسه التراب، لايطلب إلا السُفْل[6] ؛ فلو أخذتَ كَفّاً من ترابٍ ، ورميت به إلى فوق، لرجع إلى أسفل بالطبع.

ولهذا ؛ كان الإنسانُ مؤتمراً طيعاً، والجان مخالفاً عاصياً . فإن عَرَضَتْ معصيةٌ من الإنسان، كانت تلك الغفلة[7] منه عارضة، لما يقتضيه طبعه. كما أنه[8] لو عرضت[9] طاعةٌ من الجان، كانت تلك الطاعة عارضة، لما يقتضيه طبعه.. ومن ثَمَّ، تاب الله[10] على آدم[*] ، ولم يتب على إبليس. لأن إبليس من طبعه المعصية، ألا تراه تكبّر وقال : ***أنا خيرٌ منه***[**] فى حَضرةِ الحق، ولم يصدر من الإنسان – الذى هو آدم– إلا البكاء ، والندم ، والخوف ؛ لما يقتضيه التراب من الذِّلة والسُّفل.

---

(١) ط : طبعاً له.

(٢) هـ : ترى .

(٣) هكذا فى كل النسخ.

(٤) هـ : تقلب.

(٥) هـ : طبعاً يتعالى.

(٦) أ ، ط : الأسفل.

(٧) أ : الطاعة.

(٨) ط : ان.

(٩) ∴ عرضت .

(١٠) ط : تعالى .

(*) إشارة إلى قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ..﴾ سورة البقرة، آية ٣٧.

(**) قوله تعالى ﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خيرٌ منه ..﴾ سورة الأعراف ، آية ١٢.

[إبليس وآدم]

فلهذا[1] المعنى ؛ لُعن إبليس ، لأنه محل المعصية والخلاف . وهو المشار إليه بقوله : **أول[*] جَوَادٍ كَبَا[2] ، حين أُمِرَ فأَبَى** . يعني : إبليس هو[3] أول مَنْ خالف الله. ونعته[4] بأنه **جَوَاد** لأنه كان قبل ذلك من المقربين . فإبليس أول مَنْ خالف في الأمر[5] ، وآدم –عليه السلام– أول منْ خالف في النَّهْي . لأنه قيل له[6] لا تأكل الحبَّة، فأكل[**] ؛ وإبليس قيل له اسجدْ ، فما سجد[***].

فالخلاف واقعٌ منهما، لا من جهة واحدة، بل من جهتين .

ولذلك؛ قال الشيخ : **وأول منْ قَدَحَ في النُّهَى[****] مَنْ نُهِيَ وما[7] انتهى**. يعني: آدم[8] عليه السلام[9] ، نُهِيَ من أكل الجنة، فما انتهى عن

---

(1) أ : وبهذا.

(*) ترك الجيلي هنا من الفتوحات ، هذين البيتين

النَّارُ كَالنُّورِ فِي الإِحْرَاقِ قَدْ شَهِدَا ... لِذَلِكَ الأَمْرِ مَا مَوْلَايَ قَدْ عَبَدَا

فَالكُلُّ دَانَ بِهِ وَالكُلُّ دَانَ لَهُ ... لَهُ التَحَكُّمُ فِينَا كُلَّمَا وَرَدَا

[البسيط]

(2) أ : كبى ، ط : أبى .

(3) – ط.

(4) العبارة التالية ساقطة من ط .

(5) ط : الأمور .

(6) – أ ، هـ.

(**) قوله تعالى ﴿ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ..﴾ البقرة ٣٥/ الأعراف ٢٠.

(***) قوله تعالى ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس ..﴾ الحجر ٣٠/ ص ٧٣.

(****) النهى ؛ العقل.

(7) أ ، هـ : ولا .

(8) هـ : أن آدم .

(9) أ : صلوات الله عليه.

ذلك(*) ؛ فكان فعله قدحاً فى العقل ، لأن امتثال المولى(**) ، مما يحكم العقلُ بلزومه؛ فخلافه ، قَدْحٌ فى عقل المخالف طبعاً.

[الأركان الأربعة]

وإنما(١) وقع الخلاف فى هذين الجنسين - دون سائر الأجناس- لأن الظهور فى تركيبهم لركنين . على أن(٢) بقية(٣) الأركان موجودةٌ(٤) فى كل جنسٍ منهما؛ فالجنُّ من النار والهواء، والإنسان من الماء والتراب .. والخلاف واقعٌ بين النار والهواء ، لأن النار *يابس* والهواء *رطب* ؛ وبين الماء والتراب، لأن التراب *يابس* والهواء *رطب*(***) .

(*) قوله تعالى ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة..﴾ سورة الأعراف ٢٢.

(**) المولى ؛ العبد .

(١) ط : وان ما .

(٢) أ : أنه .

(٣) ط : بقيت .

(٤) + ط .

(***) منذ وقت مبكر من تاريخ الفكر اليونانى ، تمت المقابلة بين المبادئ الأربعة للوجود، أو الأركان الأربعة : الهواء والماء والتراب والنار ، وبين ما يُسمى بالطبائع الأربعة : البرودة والرطوبة واليبوسة والحرارة .

وأفاض الفلاسفة فى تفصيل أجزاء الكون تبعاً لهذه المقابلة ، وأعطوا لكل ركن عدداً من الطبائع ، فالهواء باردٌ رطبٌ ، والنار حارةٌ يابسة.. وهكذا ، وبهذا المعنى حدَّدوا الخواص الطبيعية لكل موجود بحسب ما يدخل فى تركيبه من عناصر أو مبادئ أو أركان .

ثم دخلت هذه الفكرة مجال الطب، الذى كان قديماً يرتبط بالفلسفة ، فظهرت نظرية الأخلاط الأربعة المكونة للجسم، وهى : الدم ، البلغم، الصفراء، السوداء .. وتمت مقابلة أخرى بين هذه الأخلاط ، وبين الأركان الأربعة والطبائع الأربعة . فإذا كان الطبيعيون الأوائل -من فلاسفة اليونان- قد حاولوا رَدَّ الوجود بأسره إلى عملية تركيب الأركان والطبائع وتداخلهما، فإن الطبيب اليونانى أبقراط حاول رَدَّ جميع الظواهر الجسمية، إلى اعتدال نسبة =

فغلب حكم الخلاف فى ذوات هذين الجنسين -دون غيرهما- لأن كل موجود سواهما، غير مخصوصٍ بركنين، بل يتساوى فيه الأربعة أركان[1] ، جمْعاً وفرداً[2] ، وكُلٌّ من الجان والإنسان أيضاً ، توجد[3] فيه الأركان الأربعة[4] ؛ لكن الظهور فى كُلٍّ منهما ، لركنين .. كما ذكرنا .

فلهذا خالفوا ، لأن طبع[5] تركيبهم يقتضى المخالفة . وإلى ذلك أشار الشيخ رضى الله عنه بقوله : **سُنَّ[6] الخلافُ فى الإئتلاف فأظهر النْقصَ ليُعرف الحبيبُ من البغيض.** جعل الله[7] الخلاف مسنوناً[8] فى طبع تأليف

- الأخلاط الأربعة أو اضطرابها؛ بحيث تكون الصحة فى تناسبها، ويكون المرض عند اختلال التناسب.

وتوسع جالينوس فى تطبيق هذه النظرية، وعرض لتلك المبادئ التى عُرفت باسم **الاستقصات** فى واحد من أشهر كتبه ، هو الكتاب الذى يعرف بعنوان : فى الأُستقصات على رأى أبقراط (قام الدكتور محمد سليم سالم بتحقيقه، ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة كتب جالينوس المعروفة باسم : جوامع الاسكندرانيين) .

وانتقل هذا التراث إلى العالم الإسلامى مع حركة الترجمة ، فأثرت فكرة **الأركان** فى الفلاسفة، كما أثرت فكرة **الأخلاط** فى الأطباء. واكتست فكرة الأركان بطابع دينى مأخوذ من التصور الإسلامى لعملية الخلق، وتوسعت فكرة الأخلاط واستمرت تشعباتها حتى عصر داود الأنطاكى ؛ حيث ظهرت جوانبها فى كتابه المشهور : تذكرة أولى الألباب .

(١) هـ : الأركان .

(٢) هـ : فردى ، ط : فرادى.

(٣) هـ : فتوجد .

(٤) هـ : أربعة .

(٥) أ : الطبع.

(٦) أ ، هـ ، ط : سر.

(٧) - أ .

(٨) أ : مستويا ، هـ : مستويا .

الإنسان والجان، وطلب منهما ما يناقض[1] طبع كُلٍّ منهما ؛ فطلب من الجان[2] ، الذى أصله الكِبْرُ، أن يتواضع ، فيسجد؛ وطلب من الإنسان ، الذى أصله يقتضى[3] التغذِّى بالحبَّة ، أن يتركها . فأظهر لكُلٍّ[4] منهما ما يناقض مقتضى طبعه ، مخالفاً؛ ليُظهر بذلك شرف الحبيب - وهو الإنسان- ونقص[5] البغيض، وهو العدو الشيطان .

[معصية إبليس]

امْتَثَلَ الأمرَ فيما يُشقيه . يعنى : إن إبليس خالف الحقَّ فيما يسعده - حيث أمره الله بالسجود ولم يسجد- وامتثل الأمر من الله فيما يشقيه[6] ، حيث قال الله تعالى له ﴿واستفزز منْ استطعت منهم بصوتك[7] .. الآية[*]﴾ فأطاع ذلك، ولم يعص[8] .

وحَلَّ به. أى إبليس . **ما كان يتَّقيه** ؛ من الذِّلَّة والبُعد عن الله[9] . لأنه ما ترك السجود لآدم، إلا بسبب[10] أمرين: أحدهما ، لئلا يسجد[11] لغير الله،

---

(١) + أ .

(٢) ط : الجن .

(٣) ط : يقتضى طبعه أن .

(٤) هـ : كل .

(٥) أ : وبغض .

(٦) هـ : يسبقه .

(٧) هـ : واجلب عليهم بخيلك ورجالك .

(*) سورة الإسراء ، آية ٦٤.

(٨) ∴ يعصى .

(٩) هـ : تعالى.

(١٠) هـ : بسبب .

(١١) العبارة التالية ساقطة من أ .

فيبعده عنه من أجل ذلك؛ والثانى ، لئلا تحلَّ به المذلّة[1] .. فحلَّ به الأمران جميعاً، بالخلاف لأمر الله . فهو ، والجن[2] : **يُحالفُ[3] الـرَّدَى[4] ، ويُخالف الهُدَى ، ولا يُترك سُدَى[5]** .

يحالف[6] -الأولى- بالحاء المهملة، من المحَالَفَةِ[7] ؛ وهى القَسَمُ بعدم[8] الخلاف . ويخالف الثانية ، بالخاء المعجمة، من الخلاف[9] . وتقديره : إنه ملازمٌ للردى، كأنه حَلَفَ ألا يفارق ما يكون سبباً للبلاء؛ وجاء بخلاف ما هو سببٌ للهُدى[*] .

---

(1) ط : الزلة.

(2) - أ .

(3) أ ، هـ ، ط : يخالف .

(4) أ ، هـ ، ط : الردئ .

(5) أ ، هـ ، ط : سداً .

(6) أ : يخالف.

(7) هـ : المخالفة.

(8) ط : لعدم .

(9) هـ : المخالفة .

(*) كان الحلاّج (أبو المغيث الحسين بن منصور ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية) هو أول من طرق موضوع إبليس بشكل موسَّع ؛ فلا نجد أحداً من الصوفية، تناول قضية إبليس قبله، بمثل هذه القوة.

ورأيُ الحلاج يتلخَّص فى أن إبليس من أهل الفُتُوة ! فقد آثر ، وهو الموَحـِّدُ ، أن ينال اللعن والطرد ، ولايسجد لغيره مولاه .. ثم أنه فى النهاية ، قام بما قُدرَ له فى الأزل .

ووضع الحلاج فى كتابه **الطواسين** فصلاً يعنوان **طاسين الأزل والإلتباس** فتناول تلك القضية تناولاً ذوقياً صاغه بلغة ساحرة، قائلاً :

فى صحة الدعاوى بعكس المعانى : ما صحَّت الدعاوى لأحد إلا لإبليس وأحمد ﷺ ، غير أن إبليس سقط عن العين، وأحمد ﷺ كُشف له عن عين العين. قيل لإبليس : أُسجدْ ! ولأحمد: أُنظر ! هذا ما سَجَدَ، وأحمد ما نَظَرَ ، ما التفت يميناً ولا شمالاً ، ﴿مازاغ البصر ما طغى﴾ .

أما إبليس فإنه دعا، لكنه ما رجع إلى حوله ، وأحمد ﷺ ادَّعى ، ورجع عن حوله بقوله ﴿بك أجولُ وبك أصولُ﴾ وقوله ﴿يا مقلِّب القلوب﴾ وقوله ﴿لا أُحصى ثناءً عليك﴾ .. =

[أحوالُ الجنّ]

- وهَجَرَ الأَلحاظ بالسير ، وعَبَدَ المعبود على التجريد ، ولُعن حين وصل إلى التفريد، وطُلب حين طَلَبَ بالمزيد ، فقال له ﴿أسْجُدْ﴾ قال : ﴿لا غَيْرِ﴾ ، قال له: ﴿وإن عليك لعنتى﴾ قال: لو كان لى معك لحظة ، لكان يليقُ بى التكبُّر والتجبُّر ، وأنا الذى عرفتك فى الأزل، أنا خيرٌ منه، لأن لى قدمةً بالخدمة، وليس فى الكَونين أعرف منى بك، ولى فيك إرادةٌ ، ولك فى إرادة، إرادتك فىَّ سابقة ، إن سجدتُ لغيرك ، فإن لم أسجدْ ، فلا بدَّ لى من الرجوع إلى الأصل، لأنك خلقتنى من النار، والنارُ ترجع إلى النار، ولك التقدير والاختيار ..

ثم يقول الحلاج : التقى موسى عليه السلام وإبليس على عقبة الطور، فقال له موسى: يا إبليس ما منعك عن السجود؟ فقال : "منعنى الدعوى بمعبود واحد ، لو سجدتُ لآدم لكنتُ مثلك، فأنت نوديتَ مرةً واحدة "انظرْ إلى الجبل" فنظرتَ ! ونوديتُ أنا ألف مرة "أن اسجُدْ" فما سجدتُ ، لدعواى ، بمعناى .. فقال له: تركتَ الأمر ! قال إبليس: كان ذلك ابتلاءً ، لا أمراً ! فقال له : لاجرم ، قد غُيِّر صورتك. قال له : يا موسى ذا وذا تلبيسٌ، والحال لا معول عليه، فإنه يحول ، لكن المعرفة الصحيحة، كما كانت ، وما تغيَّرت، وإن الشخص تغيَّر . فقال موسى : الآن تذكره. فقال ياموسى : الفكرة لا تذكر، أنا مذكورٌ، وهو مذكورٌ ، ذكره ذكرى، وذكرى ذكره. هل يكون الذاكرون إلا معاً، خدمتى الآن أصفى، ووقتى أخلى، وذكر أجلى، لأنى كنتُ فى القدم أخدمه لحظّى، والآن أخدمه لحظّه .. حَرَّمَنى لصحبتى ، قبَّحنى لمدحتى، أَجَرَمنى لهجرتى، هَجَرنى لمكاشفتى، كَشَفَنى لوصلتى، وَصَلنى لقَطْعتى ، قَطَعنى لمنع منيَّتى .. وحقّه ، ما أخطأتُ فى التدبير، ولا رددتُ التقدير، ولا باليتُ بتغيير التصوير. لى على هذه المقادير تقدير . إن عَذَّبنى بناره أبدَ الأبد، ما سجدتُ لأحد، ولا أذلُّ لشخصٍ وجسد، ولا أعرفُ ضداً، ولا ولداً . دعواى دعوى الصادقين، وأنا فى الحب من الصادقين .

قال الحلاج: فى أحوال عزازيل ، أقاويل .. إحداها أنه كان فى السماء داعياً، وفى الأرض داعياً، فى السماء دعا الملائكة يُريهم المحاسن ، وفى الأرض دعا الإنسَ يُريهم القبائح ، لأن الأشياء تُعرف بأضدادها .. ومَنْ لايعرف القبيح ، لا يعرف الحَسنَ !

قال الحلاج : تناظرتُ مع إبليس وفرعون فى الفتوة، فقال إبليس : إن سجدتُ سقط من منزلة الفتوة ! وقلت أنا : إن رجعت عن دعواى وقولى ، سقطتُ من بساطِ الفتوة . وقال إبليس: "أنا خيرٌ منه" حين لم يراء غيره غيراً . وقال فرعون : "ما علمت لكم من إله غيرى" حين لم يعرف فى قومه مَنْ يميز بين الحق والباطل ، وقلت أنا : "إن لم تعرفوه ، فاعرفوا آثاره، وأنا ذلك الأثر ، وأنا الحق، لأنى ما زلتُ أبداً بالحق حقّاً" .. فصاحبىٌّ وأستاذىٌّ، إبليس وفرعون . إبليس هُدّدَ بالنار، وما رجع عن دعواه . وفرعون أُغرق فى اليم ، وما رجع عن دعواه، ولم يقر بالواسطة البتة . وإن قُتلتُ أو صُلبتُ ، أو قُطعتْ يداى ورجلاى ، ما رجعت عن دعواى .. الطواسين (نشرة ماسينون ، باريس ١٩١٣، ص ٧١ وما بعدها)

ومع[1] اتّصافه[2] بالخوْفِ ، لايبرح فى معاملته بالحيْفِ[*] . يعنى : إن طَبْعَ الجن، الميلُ والإنحرافُ إلى الغى؛ فلو قُدرَ أنه يخاف من الله، لايبرح يحيفُ[3] فى معاملته له[4] ، ولايقصد سواء السبيل .. لأن المخالفة من طبعه الذى هو عليه.

فإذا جَنَحَ منهم مَنْ جَنَحَ إلى ربه طائعاً ، وكان لباب سعادته قارعاً. لم يحسِنْ أحدٌ منا قَرْعه، وكان الحقُّ بصره وسمعه. يعنى : الجنُّ، إذا اتفق أن يرغب أحدٌ منهم إلى رَبه ، وخالف ما يقتضيه الطبع النارى من المعصية، والطبع الهوائى من عدم الثبوت على أمرٍ، فأطاع[5] وثبت على الطاعة ؛ يخرقُ فى سُرادِق[6] الحجُبِ، لأنه روحانىٌّ لا كثافة فيه. فلأجل ذلك، لم يستطع أحدٌ من الإنس أن يبلغ بجسمه[**] ، ما يبلغه ذلك الجنِّىُّ الكامل المطيع.

إن سَمِعَ أنْصَتَ . لأنه روحٌ، إذا توجّه للشئ، توجّه فيه بالكلية. ألا تراهم أنصتوا للحَق، لما سمعوه ؛ فقال قائلهم : ﴿إنّا سمعنا قرآناً عجباً[7] .. الآية[***] ﴾ ولهذا قال ﷺ : **هُمْ أسْمَعُ وأنْصَتُ منكم[****]** . ألا تراهم لما سمعوا

---

(١) ط : ومعنى .

(٢) أ : انصافه ، غير واضحة فى هـ.

(*) الحيف : الظُلم والجور.

(٣) أ : يجيف ، هـ: يخيف .

(٤) – أ.

(٥) أ : قاطع.

(٦) هـ : سرادقات.

(**) يشير الجيلى هنا إلى أن للإنسان جسماً ، بينما الجن لا جسم له.

(٧) هـ : يهدى إلى الرشد.

(***) سورة الجن ، الآية الأولى .

(****) حديث نبوى مشهور.

قوله تعالى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذّبان(*)﴾ . قالوا : ولابشيء من آلاء رَبَّنا نكذّب.

وإن أَسْمَعَ(١) **أَبْهتَ** ؛ لَما يبديه(٢) من العجائب التى يصل علمه إليها، والغرائب التى يقتضيها(٣) طبعه وعالمه .. وقد شرحتُ(٤) بهذه النبذة، خلاصة(٥) ما حواه الباب التاسع من الفتوحات(٦) المكية(٧) ، فاعلمْ .

* * *

(*) سورة الرحمن ، عدة آيات .

(١) ط : سمع.

(٢) أ : يبديه ، هـ : يبدأوا به.

(٣) ∴ يقتضيه .

(٤) هـ : شرحنا لك.

(٥) أ : من خلاصة ، هـ : عن خلاصة.

(٦) + أ .

(٧) – ط.

البَابُ العَاشِرُ

مَرتَبَةُ الإنسَانِ الكَامِلِ، عِنْدِي؛
فَوْقَ مَرتَبَةِ الملائِكَةِ ..

[الأنوار العلوية]

قال الشيخ رضى الله عنه: **ومن ذلك** . أى ؛ ومن بعض[1] ما تضمنّه هذا الباب ، من فنون العلوم المذكورة فى الكتاب : **سِرُّ النُور** . أى ؛ الوجود المطلق، الذى هو الحقُّ **فى**[2] **الخفاء والظهور**[*] . يعنى : بالخفاء ، تَجلى الحق تعالى لنفسه، فى ذاته بذاته ، وبالظهور ، تجَلِّيه لخِلقِهِ ، فى مخلوقاته.

أشرَقَتْ ؛ أى ظهرت . **الأنوارُ** ؛ أى الأسماء[3] والصفات الإلهية . فَشرَقَتْ[4] ، أى تعيَّنتْ الذاتُ بتعينُّ الأسماء والصفات. **وتميَّزَتْ**[5] **بها**[6] ؛ أى بالأسماء والصفات. **الأعْيَانُ الثابتةُ** ، التى هى حقائق[7] الممكنات. **فَافْتَرقَتْ** . يعنى : تعيُّنُ كُل موجودٍ، بسبب الأسماء والصفات؛ لأنها[**] آثارها ..

---

(١) أ ، ط : بعض ذلك.

(٢) الفقرة التالية ساقطة من هـ.

(*) فى الفتوحات : .. الخفاء والظهور من الباب العاشر ثم ورد البيتان :

الشَّمْسُ مُشرِقَةٌ الشَّمسُ محرقةٌ بِنورِها فَهْـيَ نَورٌ حُكْمهُ النَّارُ
وَلَيْسَ يَعبُدها إلاَّ أخـو عَمَـهٍ لدبٌ جَلِيدٌ لهُ فى القلْبِ آثارُ

[البسيط]

(٣) هـ : الأسماء الذاتية .

(٤) ف : حين شرقت.

(٥) هـ : فتميز .

(٦) – ط .

(٧) ط : أعيان.

(**) تشير العبارات إلى نظرية الجيلى –وابن عربى من قبله – فى الخلق .. فهما ينظران إلى وجود المخلوقات، على اعتبار أن كل موجود هو أثرٌ ناشئٌ عن التحلّى الإلهى ، سواء كان تجلياً أسمائياً أو صفاتياً (من أسماء الله تعالى وصفاته) .

فحصلت الأعيانُ في الفَرْق ، بعد الجمْع الأول(*) .

فَأغْنَتْ الإشاراتُ عن العبارات . أراد بالإشارات : الموجودات، التي هي آثار الأسماء والصفات . وبالعبارات[1] : الأسماء والصفات الحق أغنى الناظرين، شهودُ الأثر ، عن شهود المؤثر . **فمنها** ؛ أي من الموجودات الكونية.

مَنْ هُيِّمَ ؛ كالملائكة المهيَّمة في جلال الله تعالى وجماله . **فتهيَّم** ؛ كالعقل الأول ، والنفس الكلية ، والروح الكلية(**) .

ومنها ؛ أي من الموجودات الكونية . **مَنْ حُكِّمَ** ؛ كالطبيعة . **فتحكَّم** ؛ كالملائكة الموكَّلة بتدبير العالم ، لأنهم تحكَّموا في إيجاد الموجودات : كالعقل الفعَّال(***) ، وكالأركان الأربعة ، وكالكواكب السبعة .

(*) انظر الجمع والفرق فيما سبق . والمراد بالجمع هنا: اقتران الموجودات من حيث أصولها الأعيان بالأسماء والصفات ، فهنا هو الجمع الأول .. ولما جاء أوان ظهور الأعيان ،حصل الفرق في عين الناظر . أما في بصيرة المحقِّق ، فالأمر جمع، والنظر واقعٌ على الأصل .. ومن هنا قالوا : الله فقط هو الموجود .

(1) العبارة التالية ساقطة من أ.

(**) يظهر هنا أثر نظرية الفيض ، التي انتقلت في وقتٍ مبكرٍ من مدرسة الاسكندرية الفلسفية، إلى المحيط الفكري الإسلامي . وتقول النظرية – كما عبر عنها أفلوطين – أن الوجود فاض عن الله خلال سلسلة طويلة من الفيوضات .. فقد تعقَّل الله ذاته، ففاض العقل الأول ! ثم تعقَّل العقل الأول ذاته ، ففاضت النفس الكلية ؛ كما تعقَّل ما فوقه ، ففاض العقل الثاني. وتوالت التعقُّلات، فتوالت الفيوضات ، حتى وصلت للعقل الفعَّال .

والنظرية كما يقدمها الجيلي ، تعكس الملامح الإسلامية التي أضافها صوفية المسلمين الفلاسفة، فنرى -إضافةً للهيكل الأساسي للفيوضات- الروح الكلية .. وهي فكرة لا نجدها عند أفلوطين! عموماً، فإن استعراض تطوُّر هذه النظرية وطابعها الاسلامي ، يحتاج لبحثٍ مطوَّل .

(***) هو العقل الفعَّال في الإنسانية ، وهو آخر مراتب العقول العلوية . يفيض المعلومات على العقل الأرض (العقل المستفاد) فتدرك به عقولنا الجزئية !

فلكُل عينٍ أى مَلَكٍ من هذه الملائكة المهيَّمة والمحكَّمة . **مقامٌ معلومٌ** ؛ أى وظيفةٌ مخصوصةٌ يقوم[1] بها ، ومحلٌ مخصوصٌ من الكمال يكون عليه[2] . **وحَدٌّ مرسومٌ** ؛ لكُلٍّ من هذه الملائكة، حَدٌّ لايتعدّاه . وذلك الحدُّ ، هو ما[3] تقتضيه قابليته من الفاعلية ، والمنفعلية ، والصورية[4] ، والمعنوية ، والكلية ، والجزئية .

فمنه أى من[5] مقام هذه الأملاك . **مَرْمُوزٌ** ؛ لأيدرك بالعقل ، كمقام القلم الأعلى واللوح المحفوظ . **ومنه مفهوم** ؛ كمقام الأركان الأربعة .. لأن فعل الطبائع فى الوجود[6] ، مفهومٌ عقلاً ، ومُشاهَدٌ حِساً .

[الملائكة المهيَّمة والمحكَّمة]

يُخَلِّقُونَ نفوسهم كما يشاؤون. يعنى الأرواحَ الكليةَ ؛ كالهيولى ، فإنها تتكوَّن حسب ما تقتضيه من الصور . كالطبيعة[7] إذا تَخَلَّقَتْ ناراً، أو هواءً ، أو ماءً ، تراباً – على حسب المقْتَضَى – فتتخلَّق بصورته[8] ؛ فهى الخالقة لنفسها[9] ، بقدرة الله[10] تعالى.

---

(١) العبارة التالية ساقطة من أ.

(٢) – هـ.

(٣) – هـ.

(٤) ط : والمنفعلة والصورة.

(٥) – هـ.

(٦) ط : الأركان.

(٧) أ : وكالطبيعة.

(٨) ط : تتخلق.

(٩) هـ : بنفسها.

(١٠) – هـ.

وفى أى صورةٍ شاءوا[1] ، **يتحوَّلون** . يعنى : إن الأرواح الكلية، تتصوَّر بأى صورةٍ تقتضى[2] قوابلها[3] – من الصور الجزئية– فتتحوَّل[4] فيه ، كما تحوَّل جبريل عليه السلام ، فى صورة دِحية الكلبى[*] .

هم الحدَّادون . أى ؛ الأرواح المهيَّمة[5] ، هم الجاعلون لهم حدوداً، حسب ما تقتضيه[6] قوابلهم ، فلا يتعدَّى شئٌ[7] منهم حَدَّه . **والحجَّابُ** . أى؛ الملائكة المحكَّمة، هم حُجَّابُ الله تعالى، لأنهم[8] الفَعَلةُ[9] للأمور ، فلا ينظر الناظرُ، إلا إليهم. وهم[10] حُجَّابٌ ، يمنعون – أيضاً– أبصارَ الناظر[11] ، أن تقع على الحق تعالى .. وبهم ، حُجِبَ عن الله مَنْ حُجِبَ .

وهم ؛ أى للملائكة المهيَّمة ، والمحكَّمة[12] . **الظُّهُورُ** ؛ تارةً حساً، وتارةً

---

(١) ف : شاؤها

(٢) أ ، ط : تقتضيه .

(٣) ط : قوابلهم .

(٤) + ط.

(*) بخصوص الأخبار الواردة فى تجسد جبريل بصورة دحية ، وغيره ، يمكن الرجوع إلى : مسند ابن حنبل ٥/ ٤٣٣ – الأوسط للطبرانى ٣٢٢٥، ٣٢٢٦ – المجمع للهيثمى ٩/ ٣١٤ – سير أعلام النبلاء للذهبى ٢/ ٣٧٩.

(٥) هـ : المهنة .

(٦) هـ : ما يقتضى .

(٧) هـ : بشئ.

(٨) ط : وإنهم.

(٩) + هـ ، ط : الغفلة.

(١٠) ∴ فهم .

(١١) ط : الناظرين ، هـ : الناظر إليهم .

(١٢) أ : الحكمة .

عقلاً؛ صورةً ، ومعنى **والحِجَابُ**[1] : ولهم البطون ، لأن مقامهم يقتضى ذلك. ألا ترى إلى الهيولى ، كيف ظهرت بظهور الصور[2] ؛ وهى - أعنى الهيولى - باطنةٌ[3] على[4] الحقيقة، بعد هذا التعيين والظهور .

إن هذا لشئٌ عُجابٌ . يعنى : كونهم ظاهرين فى بطونهم ، وباطنين فى ظهورهم؛ أمرٌ يحصل منه التعجُّب، لحصول النقيضين بحالٍ واحد[*] **يُكْثِرون التكبير**[5] ، **ويحفُّون بالسرير** . أى بالعرش - والمراد به[6] هنا[7] : جميع المظاهر الكونية- فإن هذه الملائكة المهيَّمة والمحكَّمة ، حافُّون به .

لهم المقامُ الأَشْمَخُ . أى المنصبُ الأعلى ؛ لأنهم[8] مخلوقون بغير واسطة، كالعقل الأول ؛ أو بواسطة قليلة ، كالأرواح الكلية. أو لكونهم أسباباً كليةً[9]، لوجود الموجودات .

ومنزلهم ؛ أى منزل الملائكة المهيَّمة، والملائكة المحكَّمة : **بين الله والعَالمِ** ،

---

(١) + هـ .

(٢) هـ : الصورة .

(٣) هـ : الباطنة.

(٤) ط : عن.

(*) هناك مبدأ منطقى مشهور ، يقول : النقيضـان لايجتمعان معاً، ولا يرتفعان معا لكن هذه المبادئ المنطقية تكون عند القياس العقلى الظاهرى ، أما الرؤية الصوفية للحقائق الباطنة، فلها منطق آخر.

(٥) ط : التنكر.

(٦) - ط .

(٧) هـ : هذا.

(٨) أ ، ط : لهم لأنهم .

(٩) ط : أسباب كلية .

مثل البرزخ(*) . جعلهم الشيخ -رضى الله عنه - أفضل من البشر الكُمَّل(١) ، فقال إنهم(٢) متوسطون بين مرتبة(٣) الألوهية وبين مرتبة الإنسان الكامل .هذا مذهبه! ولا أقول بذلك ؛ بل مرتبة(٤) الإنسان الكامل - عندى - فوق مرتبة الملائكة ، لأنهم(٥) له ، كالقوى للجسد ، وكالصفة للذات ، وكالعَرَض للجوهر(**) .

فأصحابُ النَّسَبِ منهم الخلفاءُ من البشر(***) . يعنى : مَنْ(٦) كان

(*) يُلاحظ هنا أن النص الوارد فى نسخ شرح الجيلى ، يختلف عن النص الوارد فى الفتوحات بعض الشئ . فبينما ورد نص الشرح على النحو الذى ذكرناه أعلاه، جاء فى الفتوحات ومنزلهم ، **بين الله والعلماء منا ، فى البرزخ** .. ولسوف يؤدى هذا الاختلاف ، إلى نقد الجيلى لابن عربى .. وسوف نعود للتعليق على نقد الجيلى.

(١) ط : المكمل.

(٢) هـ : لأنهم.

(٣) - هـ.

(٤) العبارة التالية ساقطة من هـ .

(٥) هـ : كلهم.

(**) هكذا اختلف الجيلى مع ابن عربى ، مؤكداً علو مقام الإنسان الكامل . لكننا نسجل هنا ملاحظةً على هذا الاختلاف ، نلخصها فيما يلى :

يبدو أن الجيلى قد ابتعد عن المراد الحقيقى لابن عربى ؛ فقد أشار ابن عربى فى غير موضع من مؤلفاته، إلى أن الإنسان الكامل : **له رتبة الاحاطة** . مما يعنى كونه جامعاً لكل الموجودات العُلوية والسُّفلية، بما فيها الملائكة (راجع فيما يخص نظرية الإنسان الكامل عند ابن عربى، بحثنا: الفكر الصوفى .. ص ٩٥ وما بعدها) فالراجح أن يكون مراد ابن عربى - وفقاً لما ورد فى نص الفتوحات - هو : إن العقول العلوية ، وليس الملائكة ، تحتل فى الحياة البرزخية - فقط- مكانةً وسطى بين الله تعالى وبين (العلماء) من البشر، وليس (الكُمَّل) من البشر، كما يذهب الجيلى !

(***) جاء فى الفتوحات : **فأصحاب النسب منهم ، عند أرباب الفِكَرِ، هم الخلفاء من البشر** وهذا النص يؤكد ما ذهبنا إليه فى تعليقنا السابق .

(٦) هـ : ان من .

منسوبـاً إلى أحد هذه الملائكة المهيِّمة أو المحكَّمة[1] ، بحُكْم ما تحقَّق بـه فـى[2] المراتب الكمالية الكلية[3] الجملية ، والجزئية التفصيلية - كما يُقال : فـلانٌ علـى قلب إسرافيل، وفلانٌ على قلب ميكائيل - كان خليفةٌ للحق .. يعنى: نبياً.

واعلمْ ، أن الخلفاء على أقسام[4] : خلفاءُ الله، علـى مـاهو لـه[5] ؛ يقومون بصفاته عنه .. وخلفاءٌ ، لخلفاء[6] الله فى[7] كِلا[8] القسمين .

فالخلافة[9] المحضة ، فيمـا هـو الله[10] ؛ لمحمـدٍ ﷺ وللأنبيـاء[11] والأوليـاء الكُمَّـل. والخلافة المحضـة، فيمـا هـو[12] مـن الله؛ لمحمـدٍ ﷺ وحـده، والأنبيـاء والأولياء[13] الكُمَّل[14] نُوَّابه[15] . فهم[16] ، خلفاء خلافته[17] ﷺ[18] .

---

(١) ط : والمحكمة.

(٢) ط : من .

(٣) - ط.

(٤) أ : الأقسام.

(٥) هـ : عليه.

(٦) هـ : خلفاء .

(٧) هـ : على.

(٨) ط : كلى.

(٩) + ط .

(١٠) أ : من الله.

(١١) + ط : الانبياء .

(١٢) - ط.

(١٣) هـ : الأولياء والأنبياء.

(١٤) - هـ.

(١٥) هـ : نواب.

(١٦) أ : وهم .

(١٧) أ : خليفته .

(١٨) هـ : وسلم عليهم .

ولما كان هذا العلم ، مما لايمكن دركه لأحدٍ[1] ، إلا بالكشف والرؤية. قال[2] : **يعلمُ ذلك، مَنْ تحقّق بالنظر** . يعنى : بالشهود والرؤية . ولهذا[3] قال: **واعتمدَ على ما جاء به الكشف والخبر** . أراد بالخبر قوله ﷺ : ***كنتُ نبياً ، وآدمُ بين الماء والطين***(*) وهذا الخبر ، هو[4] الذى يعطيه الكشف .

ولما كانت النُّبُوَّةُ تقتضى أن يكون محَلُّها[5] ، التوسُّط بين الله وبين الخلق؛ وكان ﷺ واسطة الجمع[6] قبل ظهور الكُل. كان هذا موضع تحيُّر العقل[7] ؛ حيث وُجِدَ نبيٌّ ، من غير قومٍ يُرسل اليهم(**) .. قال[8] : **والعقولُ من حيث أدِلَّتهَا ، قاصرةٌ عن إدراك هذا العلم ، لطموس[9] عين الفهم** . يعنى[10] : كَونهُ[11] ﷺ ، نبياً قبل وجود آدم وذريته،

---

(1) – هـ.

(2) – ط.

(3) – ط .

(*) يثير هذا الحديث اشكالات كثيرة من جهة سنده ومضمونه ، وقد كان أصلاً من أصول قول الصوفية بقدم النور المحمدى وأسبقيته على الخلق.

(4) – أ .

(5) أ : تقتضى محلها.

(6) أ ، ط : الجميع.

(7) أ : للعقل.

(**) يقول الصوفية إن الحقيقة المحمدية شئٌ، والوجود الزمنى لمحمد ﷺ شئٌ آخر . فالحقيقة المحمدية أزليةٌ أبديةٌ ، يستمد منها الأنبياء والأولياء فى كل زمان ومكان؛ بينما الوجود المحسوس للنبى، موقوتٌ محدودٌ بزمن . واعتقدُ أن العلاقة بينهما ، أقرب إلى الرابطة بين الروح والجسد، أو العلاقة بين المطلق والمقيَّد .. وبهذا المعنى ، تنتفى الحيرة التى يشير إليها الجيلى .

(8) – ط .

(9) ط : لطموس .

(10) – ط.

(11) أ : وكونه .

مما لا تدركه العقول؛ لطموس طريقة[1] الفهوم[2] ، الموقوفة[3] على[4] الأدلة .. فافهم[5] .

وقد[6] شرحتُ[7] لك ، جميع ما حواه الباب العاشر من الفتوحات المكية .. والله الموفّق[8] ، لا ربٌّ غيره[*] .

* * *

---

(١) أ : الطريقة.

(٢) أ : المفهوم .

(٣) هـ : الموقوف .

(٤) أ : عن .

(٥) – هـ.

(٦) أ : قد ، هـ : فقد .

(٧) هـ : شرحنا.

(٨) ط : الموافق للصواب.

(*) انتهت نسخ الشرح بالآتي :

أ : وقد تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا ومولانا النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ورضى الله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية المجتهدين.

هـ : والصلاة والسلام على من لانبي بعده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

ط : وقد تم الكتاب بحمد الله وعونه ومدد إمداد وليه ورسوله ونبيه ﷺ والحمد لله وحده.

مُقْتَطَفَــاتٌ

من الباب (٥٥٩) من الفتوحات

ومن ذلك ، سِرُّ الإفتتاح بالنكاح ؛ من الباب الأحد عشر:

أَنَا فِي الوُجُودِ بَابٌ وَعَلَيْه منْهُ قِفْـلُ
فأَنَـا بَفْـلٌ بـوَجْـه وَبوَجْـهٍ أنـاَ أَهْـلُ

[مجزوء الرمل]

القول -من القائل- فى السامع، نكاحٌ . فعينُ المقُول ، عينُ ما تكوَّن من السامع ، فظهر[1] .. ظهور المصباح ، لتوجه[2] سبب القول والتكوين - على التعيين- فى المحل الظاهر ، لنزول الباطن إلى الظاهر . وهذا نكاحٌ بين المعنى والحِسِّ، والأمر المركَّب والنَّفَسِ ؛ ليُجمع بين الكثيف واللطيف، ويكون به التمييز والتعريف . وإن خالف تركيبُ المعانى ، تركيبَ الحروف؛ فهو كخلاف المعرفة والمعروف .

ثم ينزلُ الأمرُ النكاحىُّ، من مقام الإفتتاح، إلى مقام الأرواح؛ ومن المنازل الرفيعة ، إلى ما يظهر من نكاح الطبيعة ؛ ومن بيوت الأملاك ، إلى نكاح الأفلاك لوجود الأملاك ؛ ومن حركات الأزمان، إلى نكاح الأركان ؛ ومن حركات الأركان، إلى ظهور المولَّدات التى آخرها جسمُ الإنسان.. ثم تظهرُ الأشخاصُ ، بين مباض ومناص[3] .

---

(١) راجع ما ذكرناه فى الهوامش السابقة عن معنى النكاح فى المصطلح الصوفى عند ابن عربى .. وهو هنا يريد أن يقول : إن النكاح ، الذى هو تكوين الأشياء فى الكون، عبارة عن قول كن من القائل الذى تمكّن من مقام التوجه الإيجادى، وتملّك كلمة الحضرة الإلهية كن وبذلك يكون قوله للسامع ، نكاحٌ بالمفهوم الاصطلاحى .. وكل ما يقوله القائل فى هذا المقام، يظهر أثره فى الوجود . ولذا قال : **فعين المقول، هو عين ما يظهر من تكوُّن السامع** .

(٢) ف : التوجه .

(٣) لانعرف المراد بقوله مباض ومناص على التحقيق .. وفى اللغة ، بضَّ الشئ : سال قليلاً -

فالنكاحُ ثابتٌ مستقرٌ ، ودائمٌ مستمرٌ .

*   *   *

ومن ذلك ، سِرُّ إطفاء النبراسِ بالأنفاس ، من الباب الخامس عشر[(١)] :

لما كان القائلُ له مزاجُ الانفعال ، كان للنَّفَسِ الإطفاءُ والإشعال[(٢)] . فإن أطفأَ أماتْ ، وإن أشعلَ أحيا .. فهو الذى أضحك وأبكى[(٣)] .

فيُنسبُ الفعلُ إليه ، والقابلُ لايعوَّلُ عليه. وذلك لعدم الإنصاف فى تحقيق الأوصاف ، مع علمنا بأن الإشتراك معقولٌ فى الأصول . للقابل الإعانة، ولا يُطلب منه الإستعانة[(٤)] . فهو المجهول المعلوم[(٥)] ، عليه صاحب الذوق[(٦)] يحوم، وحُكْمُه فى المحدث والقديم .

يظهر ذلك ، فى إجابة السائل ، وهذ معنى قولنا القابل : لولا نَفَسٌ الرحمن، ما ظهرت الأعيان. ولولا قبول الأعيان ، ما اتصفت بالكيان ، ولا كان ما كان .. الصبحُ إذا تنَفَّسَ ، أذْهب الليل الذى كان عَسْعَسَ .

- قليلاً. ونصَّ : ارتفع (لسان العرب ١/٢٢٢- ٣/ ٦٤٨) فربما يكون مراد ابن عربى : ثم تظهر الأشخاص بين منخفض ومرتفع !

(١) ف : الباب ١٥.

(٢) يريد بالإطفاء والإشعال : الإيجاد والإعدام، أو الخلق والإبادة ، فى أمور الوجود الحسى .

(٣) قوله تعالى ﴿وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا .. سورة النجم، آية ٤٣﴾ .

(٤) يريد ابن عربى هنا أن يقول : إن الموجود الناتج عن كلمة كن، وهو القابل ، أعان على ظهور أثر الواجد كلمة كن؛ فهو له الإعانة. ومع ذلك فلا تجوز للخلق الاستعانة به، إذ لا يجوز استعانة خلقٍ بخلق .

(٥) يقصد : هو - أى القابل - مجهولٌ فى نفسه، معلومٌ فى نفس القائل له : كن .

(٦) صاحب الذوق : الصوفى المتحقّق .

*　　　*　　　*

فَلَوْلاَ الصَّيْدُ مَـا نَفَـرَ الغَـزَالُ
وَلَوْلاَ الصَّدُّ مَا عَـذُبَ الوِصَـالُ

وَلَـوْلاَ الشرَّعُ مَـا ظَهرَتْ قُيُـودٌ
وَلَوْلاَ الفِطْرُ مَا ارْتُقِبَ الهِـلاَلُ

وَلَـوْلاَ الجُـوعُ مَا ذَبُلَتْ شَفاةٌ
وَلَـوْلاَ الصَّوْمُ مَا كَانَ الوِصَـالُ

وَلَوْلاَ الكَـوْنُ مَا انْفَطَرتْ سَماءٌ
وَلَوْلاَ العَيْـنُ مَـا دُكَّـتْ جِبَالُ

وَلَـوْلاَ مَا أَبَـانَ الرُّشْـدُ غَيـّاً
لَما عُرِفَـتْ هِـدَايَـةُ أَوْ ضَلاَلُ[1]

وَلاَ كَـانَ النَّعِيـمُ بِكُل شَـيْءٍ
ولا حَكَـمَ الجَـلاَلُ وَلاَ الجَمَـالُ

أرَى شَخْصـاً لَـهُ بَصرٌ وَيَـرْمِى
وَلاَ قَـوْسٌ لَـدَيْـهِ وَلاَ نِبَـالُ

فَسُبْحَـانَ العَلِيـمُ بِكُل أَمْـرِ
لَـهُ العِـلْمُ المحِيـطُ لَـهُ الجَلاَلُ

(١) تشير هذه الأبيات إلى ظهور كل شيءٍ بشيءٍ آخر يتوقف عليه .. بحيث يظهر كل أمرٍ بما يخالفه.

إِذَا نَظَـرَتْ إِلَيْـهِ عُيُـونُ قَوْمٍ
بِـلاَ جَفْـنٍ[1] بَـدَا لَـهُمُ الكَمَالُ
وَوَقْتـاً[2] لاَ يَـرَوْنَ سِـوَى نُفُوسٍ
مُبَعَّـدَةٍ وَغَـايَتَهَـا اتِّصَـالُ

[الوافـر]

ومن ذلك؛ سِرُّ مَنْ مُنِحَ ليربح ، فلنفسه سعى، فكان لما أُعْطِيَ وعا .. من الباب السابع عشر :

إِذَا مَـا كُنْتَ مَيْـدَانـاَ
فَجُلْ فِيـهِ إِذَا كَـانَـا
فَـإِنِّـى لَسْتُ أَنْفِيـهِ
لِـذَا سُميتُ إِنْسَـانـاَ

[الهـزج]

* * *

ومن ذلك؛ سِرُّ النافلة والفَرْض ، فى تعلُّق العلم بالطول والعَـرْض .. مـن الباب العشرين[3] :

---

(١) العيون التى بلا أجفان ، قد تكون من المبالغة فى السهر - الذى هو إحدى الرياضات الروحية عند الصوفية - وقد تكون إشارة إلى القلوب التى ترى بنور الله.

(٢) ف : فوقتا .

(٣) ف : من الباب ٢٠ .

مَنْ كان علته عيسى، فلا يوسى . فإنه الخالق المحيى، والمخلوق الذى يُحيى. عَرْض العالم فى طبيعته ، وطوله فى روحه وشريعته[1] . وهذا النور، من **الصَّيْهُور والدَّيهُور** المنسوب إلى الحسين بن منصور[2] :

لم أرَ : مُتَّحداً رَتَقَ وفَتَقْ[3] ،

وَبِرَبِّه نَطَقْ ،

وَأَقْسَمَ بِالشَّفَقْ ، وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقْ ، وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقْ[4]

وَرَكِبَ طَبَقاً عنْ طَبَقْ ، مِثْلَهُ[5]

.. فَإِنَّهُ نُورٌ فِي غَسَقْ.

منزلة الحق لديه ، منزلة موسى من التابوت ؛ ولذلك كان يقول باللاهوت والناسوت[6] . وأين هو ، ممن يقول : العين واحدة، ويحيل الصفة

---

(١) الإشارة هنا إلى مقابلة الإنسان للعالم .. راجع ما سبق من تعليقنا على هذا المعنى.

(٢) كتاب الصهيور والديهور من الكتب المنسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج، وهو كتاب مفقود ، لا نعلم عنه إلا بعض الإشارات والاقتباسات التى وردت فى كتب أخرى.

(٣) فى معنى الرتق والفتق، يقول القاشانى : الرتق إجمال المادة الوحدانية المسماة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل خلق السموات والأرض ، المفتوق بعد تعيُّنهما بالخلق .. والفتق ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة ، وبروز كل ما كمن فى الذات الأحدية كالحقائق الكونية بعد تعينها فى الخارج (اصطلاحات الصوفية ١٣٥، ١٤٨) .

(٤) سورة الانشقاق ، آية ١٦ وما بعدها.

(٥) يقصد : مثل الحلاج .. وقوله بعد ذلك نور فى غسق إشارة إلى سطوع التجليات الإلهية على باطن الحلاج ، وهو بعدُ متعلق ببشريته .

(٦) كان الحلاج كثير الاستعمال لهاتين الكلمتين . ومن ذلك قوله فى أبيات مشهورة له [من الطويل] منها :

دخلت بناسُوتى لديك على الخَلْقِ ولولاك لاَهُوتى خرجتُ من الصدقِ =

الزائدة ؟ وأين فاران من الطور[1] ؟ وأين النار من النور ؟

العرض محدودٌ ، والطول ظلٌ ممدودٌ ، والفرض والنقل : شاهدٌ ومشهود.

* * *

ومن ذلك، سِرُّ الجرس، واتخاذ الحرس .. من الباب الخامس والثلاثين[2] :

الجَرَسُ كلامٌ مُجْمَلٌ ، والحرس بابٌ مُقْفَلٌ[3] . فمن فَصَّلَ مجمله، وفَتَّحَ مقفله؛ اطّلع على الأمر العُجاب ، والتحق بذوى الألباب ، وعرف ما صانه القشر من اللباب[4] ، فعظّم الحجاب والحُجّاب .

- وقال فى عبارة أخرى : **إن قيامى بحقك ناسوتيَّةٌ ، وقيامك بحقى لاهوتيَّةٌ، وكما أن ناسوتيَّتى مستهلكةٌ فى لاهوتيَّتك غير ممازجة إياها ، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيَّتى غير مماسَّة لها** .. (أخبار الحلاج ، ص ٨، ٨٣).

وكان ابن عربى ، كغيره من كبار الأولياء ، من المشفقين على الحلاج لقوله مثل هنا (أنظر أيضاً مقالة الحلاج ، بديوان عبد القادر الجيلانى) وهو هنا يشير إلى أن الحلاج وقف عند التفرقة بين اللاهوت والناسوت ، و لم يترق لمقام من يجمع الكل فيقول إن العين واحدة، فيُسقط -كما يقول ابن عربى – الصفة الزائدة ، ولا يرى فى الكون إلا ا لله .

(١) جاء فى التوراة : **جاء ا لله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران** . وذهب المسلمون إلى أن المراد من هذا النص التوراتى هو : مجيئه تعالى من سيناء ، تكليمه لموسى عليه السلام ؛ واستعلانه من جبال فاران بمكة ، هو إنزاله القرآن على محمد ﷺ .. وبذلك فإن **فاران هى** : الاسم العبرى لمكة (معجم البلدان ٢٢٥/٤) وفى عبارة ابن عربى هنا ، يريد أن يشير إلى أن فاران (مكة) والطور (جبل سيناء ومحل التكليم) هما موقعان لظهور الحقيقة الإلهية، ولكن شتان ما بين ظهورها فى التوراة (= الطور) وظهورها فى القرآن (= فاران) .

(٢) ف : الباب ٣٥ .

(٣) يشير بالجرس إلى تجلى الحقيقة ، وبالحرس إلى الحجب الحسية.

(٤) القشر واللب ؛ تفرقة صوفية شهيرة بين المظهر والجوهر ، أو الظاهر والباطن، أو ا لله والخلق.. والمراد بها هنا : إن الذى يقض غلالة الحجب الحسية (الحرس) تتكشف له الحقائق المحجوبة وراء المحسوسات .

الإجمالُ حكْمة، وفصلُ الخطابِ قسْمة .

لإزالة غُمَّة ، فى أمورٍ مُهِمَّة ، محجوبةٍ بليالٍ مُدْلَهِمَّة.

والحرسُ عصْمة ، فهم أعظمُ نِعْمة ، لإزالة نعْمة ، لإزالة نِقْمة.

صَلْصَلَةُ الجَرَسِ ، عَيْنُ حَمْحَمَةِ الفَرَسِ(١) .

*   *   *

ومن ذلك، سرُّ وجود النَّفَسِ فى العَسَسِ .. من الباب التاسع والأربعين(٢):

بالعَسَسِ(٣) يطيب المنام، وبالنَّفَسِ تزول الآلام . إن أضيف إلى غير الرحمن، فهو بُهتان . ظهر حُكْمه، فزال عن المكروب غَمُّه . من قِبَلِ اليمن جاء(٤) ، وبعد تنفيذ حكمه فاء. وإليه يرجع الأمر كلُّه(٥) ، لأنه ظلُّه ..

---

(١) صلصلة الجرس ؛ حالة من المعاينة الصوفية التى تكون لكبار الأولياء عند ترقيهم وبدء كشف الحجاب لهم. وكان الجيلى قد أشار فى كتابه **الإنسان الكامل** إلى مرحلة **صلصلة الجرس** كعلامة على قرب تجلّى حقائق الذات.. ولذا ، أعقب ابن عربى ذلك بقوله **عين حمحمة الفرس** لأن سماع صلصلة الجرس ، بمثابة حمحمة الفرس الذى يتهيأ للانطلاق .. وهو هنا الصوفى الذى يبدأ فى العروج . وروى فى الحديث أن النبى ﷺ كان قبل هبوط الوحى عليه يسمع دوياً هائلاً كصلصلة الجرس .

(٢) ف : الباب ٤٩.

(٣) العسس ؛ هم العسكر المهتمون بشئون العباد، أو ما نسميهم اليوم : الشرطة .. هذا فى اللغة، أما من حيث المصطلح ؛ فالصوفية يشيرون بهم إلى الحواس الإنسانية . واعتقد أن قول ابن عربى **بالعسس يطيب المنام** مقصود به : إن الاعتماد على الحواس الظاهرة، من شأنه أن يجعل الإنسان غافلاً عن الحقائق القلبية ، وكأنه فى نوم عميق.

(٤) الحديث الشريف : **إنى لأجدُ نَفَسَ الرحمن يأتينى من قبل اليمن** .

(٥) قوله تعالى ﴿و لله غيب السموات والأرض ، وإليه يرجع الأمر كله ..﴾ سورة هود، آية ١٢٣.

لاينقبض الظِّلُّ، إلا إلى مَنْ صَدَرَ عنه ؛ فإنه ما ظهر عينـه ، إلا منـه[1] . فـالفرعُ لايستبد ، فإنـه إلى أصلـه يستند. فـى الفـروع يظهـر التفصيـل ، وتشـهد لـــه الأصول، فى قضية العقول.

* * *

ومن ذلك، سِرُّ الحيرةِ والقصور، فيما تحـوى[2] عليـه الخيـامُ والقصـور .. من الباب الخمسين[3] :

الخيمة والقصر، يؤذن بالقهر والقسر . لولا الحـيرةُ مـا وُجـد العجـز، ولا ظهـر سـلطان العِـزّ .. وبـالقصور[4] ، عُلِـمَ بحـدوث الأمـور . القصـور يـلزم الطرفين، لعدم الإستقلال بإيجاد العين. لـولا القبـول والاقتـدار ، وتكويـر الليـل والنهــار- بالإقبــال والإدبــار - ما ظهرت أعيان[5] ، ولا عدمت أكـوان ..

---

(١) يشير ابن عربى هنا ، إلى أن الوجود كله ظِلٌّ الله ، فبالله ظهر ، ولابد مـن رجـوع الظِّـل إلى صاحبه . فالوجود - لامحالة - راجعٌ إلى الله.

(٢) ف : يحوى .

(٣) ف : الباب ٥٠.

(٤) يستخدم ابن عربى هنا كلمة القصور بمعنيـين . فهـى تـارة يقصـد بهـا الموجـودات الكونيـة ، وتارة أخرى يشير بها إلى العجز .. وتلك خاصية نجدها كثيراً فـى كتابـات ابـن عربـى ، فهـو يعقد بين لفظين، لا رابطة بينهما سوى المشابهة فى النطق ، ليستخرج من الجمع بينهما معـانى جديدة. فمن ذلك ما نراه عنده من ربط كلمتى (العذاب) و (العذوبة) ليخلص من ذلـك إلى القول بأن عذاب أهل النار نوع من العذوبة، وأنه سمى عذاباً لأنه مشتق من العذوبـة. ويربـط كلمة (مال) فى قوله تعالى ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ فيفسرها بكلمة (مال) قائلاً إنها ما تميل بالخلق إلى الحق سبحانه وتعالى .. (انظر ، د. أبو العـلا عفيفـى : ابـن عربـى فـى دراسـاتى - الكتاب التذكارى ، ص ٢٤) وهذه الخاصية نجدها أيضاً عند الجيلى ، ولكن على نطاق أضيـق مما نجده عند ابن عربى .

(٥) الإشـــارة إلى خروج الموجودات من وجودها العلمى ، إلى وجودها فى عالـم الخلـــق -

فسُبْحان المتفضلِّ بالدهور والأمور .

* * *

ومن ذلك ، سِرُّ الهرب من الحرب ، من الباب الأحد والخمسين :

مَنْ مال ، متحيِّزاً إلى فئـةٍ أو متحرِّفـاً لقتـال[1]، فمـا مـال . فـالهرب مـن الحرب، وهو من الخداع ، فيالفَزَاع .. كُنْ قاراً ، ولا تتَّبع فارًّا . لاتضطره إلى ضيق، فيأتيك مَنْ تكرهه من فوق . كُلٌّ يجـرى فـى قربـه إلى أجـلٍ ، فـلا تُقِـلَّ بِجَلٌ. إذا نزل القَدَرُ ، عَمِيَ البصر .. نزول الحمام ، يقيِّدُ الأقدام[2] .

لاجناح ، لمن غلبه الأمرُ المتاح .

مَنْ راح ، استراح .. إلى مقر الأرواح .

= والتكوين .. راجع ما قلناه عن نظرية ابن عربى فى **الأعيان الثابتة** فيما سبق.

(١) الآية ﴿ومَنْ يولِّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ..﴾ سورة الأنفال / ١٦.

(٢) يُحمل معنى العبارة على معنين ، بحسب ضبط حرف الميم الوسطى فى كلمة : حمام .. فإذا كانت الميم مشدَّدة ، فالمعنى يكون : إن نزول الحمَّام (مفرد حمَّامات) يقيد أقـدام النـازل فيـه، ويجعله يسبح ولايمشي . وللسباحة معنى صوفي يتضمَّـن الخـوض فـى بحـار المحبة والغـرق فـى أمواج التحليات الإلهية .. وبهذا يكون **الحمَّام** مرادفاً ذوقياً للوصول فى الطريق الصوفى.

وإذا كانت الميم بالفتح، فالمعنى : إن نـزول الحمَـام (جمـع حمامـة) أى الـواردات والمعـارف الربانية ، يقيد الأقدام ، أى يجعل الصوفى الكامل حريصاً فى خطوه وخواطره، ينظر أين يضـع قدمه، بعد أن أفاض الله عليه بتلك الواردات والمعارف .. ومن هنا قال الصوفية : إن حسنات الأبرار ، هى سيئات المقربين ! لأن المقرَّب يحاسب تبعاً لمقامه الخاص . وبهذا نفهم قول بعـض الصوفية : كُنا نترك سبعين باباً من المباح ، مخافة الوقوع فى الجناح .

وقد تناقشت فى دلالة هذه العبارة مع الدكتور . نصر حامد أبو زيـد – وهـو خبير بلغـة ابـن عربى – فرجَّح هو أن تكون الكلمة بكسر الحاء ، فيصير المعنى : **أن نزول القبر (الحِمَام تعنـى الموت)** يقيِّد حركة السعى الإنسانى والاكتساب .. وهذا وجهٌ محتمل للعبارة !

مَنْ فُتِحَ له بابُ السماء ، استظلَّ بسِدْرة الانتهاء.

الشهيد حَيٌّ ، وانجازه لِيٌّ[1] .

* * *

ومن ذلك؛ سِرُّ عبادة الهوى ، لماذا تُهْوَى .. من الباب الثانى والخمسين:

لا احتجار على الهوى ، ولهذا يُهوى. بالهوى يُجتنب الهوى. وحقِّ الهوى، إنَّ الهوى سببُ الهوى. ولولا الهوى فى القلب، ما عُبِد الهوى[2] .. بالهوى يتَّبع الحق .. والهوى يُقعدك مقعد الصدق[3] .

الهوى ملاذ ، وفى العبادة به التذاذ ، وهو معاذ لَمنْ به عاذ .

والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى[4] . فبهوى النجم وقع القَسَم، بعدما طلع ونَجَم[5] .. مواقع النجوم ، قَسَمٌ لو تعلمون عظيم[6] . فلولا علوّ قَدْره، ما عُظِّم من أمره .

* * *

ومن ذلك، سرُّ تعشُّق القوم بالنوم، من الباب السادس والتسعين :

الخيال عين الكمال . لولاه ما فُضِّل الإنسان على سائر الحيوان؛ به جَالَ

---

(١) اللَّيُّ : المطل والإرجاء (لسان العرب ٣/ ٤١٧) .

(٢) يقوم ابن عربى هنا باستخدام التشابه فى النطق بين كلمات : الهوى بمعنى الهواء ، الهوى بمعنى الحب، الهوى بمعنى السقوط.

(٣) الآية ﴿ إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ..﴾ سورة القمر ، آية ٥٥.

(٤) سورة النجم ، الآية الأولى .

(٥) نجم ؛ صعد وارتفع.

(٦) الآية ﴿فلاأقسم بمواقع النجوم ، وإنه قسمٌ لو تعلمون عظيم .. ﴾ سورة الواقعة ، آية ٧٥.

وصَالَ وافتخر وطال ، وبه قال مَنْ قال : سبحانى[1] ؛ وإننى أنا الله .. وبه كان الحليم الأوّاه[2] . فله الشتات والجمع بين أضداد الصفات[3] حكمٌ على المحال والواجب ، بما شاءه المذاهب . يخرق فيهما العادة، ويُلحقهما بعالم الشهادة، فيجسِّدها فى عين الناظر ، ويُلحق الأول - فى الحُكْم- بالآخِر .

لايثبت على حال، وله الثبوت على تقلُّب الأحوال . فله من آى القرآن، ما جاء فى سورة الرحمن، من أنه تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فى شَان، فبأَىِّ آلاءِ رَبِّكُماَ تُكَذِّبَان﴾ ولابشئٍ من آلائك ربنا نكذِّب ، فإنّا من جملة نعمائك !

* * *

ومن ذلك ، سرُّ العلم المستقر فى النَّفْس بالحكم ، من الباب الأحد ومائة:

العلم[4] حاكمٌ .. فإن لم يعمل العالِم بعلمه ، فليس بعالِم العلم. لايمهل ولا يهمل . العلم أوجب الحُكْم ، لمّا عَلَمَ الخضرُ[5] حَكَم؛ ولمّا لم يعلم ذلك

---

(١) سبحانى ما أعظم سلطانى .. عبارة مشهورة لأبى يزيد البسطامى ، أدخلها الناس فى باب يُعرف بالشطح . راجع تحليل العبارة ونسبتها إلى البسطامى فى : شطحات الصوفية للدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار القلم (بيروت) .

(٢) المراد هنا : إن الخيال هو الذى به يشطح الشاطح ، وبه يكون الحليم من الأولياء حليماً، فيكتفى بالتأوُّه ، لايصرِّح بمكنون الأحوال .

(٣) وفقاً للمعنى السابق ، فالخيال يجمع بين الصفات المتضادة ، الشطح والحلم . فيه يكون الشتات، وبه يكون الجمع بين الأضداد.

(٤) العلم المشار إليه هنا هو العلم الباطن الذى تسطع أنواره على قلوب الأولياء .. وربما كانت العبارة التالية تنسحب على العلم الظاهر (الشريعة) والعلم الباطن (الحقيقة) معاً .. لكن ما يلى ذلك من عبارات ، ينطبق بالذات على العلم الباطن .

(٥) هو العبد الصالح الخضر الوارد ذكره فى سورة الكهف .. وقد جعله أهل التصوف علامةً =

صاحبه[1] ، اعترض عليه ، ونسى[2] ما كان قد ألزمه[3] .. فالتزم !

لما عَلَّمَ آدم الأسماء[4] ، عَلِمَ وتبرَّز فى صدر الخلافة ، وتقدَّم .. العلمُ بالأسماء ، كان العلامة على حصول الإمامة[5] .

العِلْمُ يَحْكُمُ وَالأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
وَكُلُّ شيءٍ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدَارُ
إلاَّ العُلُومُ الَّتِى لاَحَدٌّ يَحْصرُهَا
لَكِنْ لَهَا فِى قُلُوبِ الخَلْقِ آثَارُ
فَحَدُّهَا مَالَهَا فِي القَلْبِ مِنْ أَثَرٍ
وَعَيْنُهَا فِيهِ أَنْجَادٌ وَأَغْوَارُ
فَلَوْ تُحَدُّ بِحَدِ الفَوْزِ نَاقَضَهُ

- على العلم الباطن ، ودليلاً شرعياً عليه .

(١) الصاحب هو النبى موسى عليه السلام، وقد صحب الخضر فى القصة القرآنية المشهورة التى جرى فيها ما جرى من قتل الغلام وخرق السفينة وإقامة الجدار.

(٢) الإشارة إلى اعتراض موسى عليه السلام على الأفعال التى صدرت من الخضر ، وقوله معتذراً: لاتؤاخذنى بما نسيت.

(٣) كان الخضر قد اتفق مع موسى عليه السلام قبل الرحلة ، على أن لايسأل موسى عليه السلام عن شئ، حتى يحدثه عنه الخضر .. فقال موسى عليه السلام ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ..﴾ سورة الكهف ، آية ٦٩.

(٤) قوله تعالى ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها .. ﴾ سورة البقرة ، آية ٣١.

(٥) الإشارة إلى سجود الملائكة لآدم ، بعد أن أنبأهم بالأسماء التى علّمها الله له .. وكان سجودهم بأمر إلهى ، عصاه إبليس .

حَدٌّ لِنَجْدٍ[1] ، فَفِى التَّحْدِيدِ إِصْرارُ

[البسيط]

افهمْ قوله تعالى ﴿حتى نعلم﴾[2] فتعلم ، إنْ كنت ذا فهم .. مَنْ أعطاه العلم؟ مَنْ عَلِمَ الشئ قبل كونه، فما علمه من حيث كونه ، وإنما علمه من حيث عينه[3] .. من أين علم أنَّ العين يكون ، وليس فى العدم مُكَون ؟

هذا القدر من العلم ، أعطاه جُوده .. وحَكَمَ به وجوده .

* * *

ومن ذلك ، ولايةُ البشر عينُ الضرر ، من الباب الخمسين ومائة:

﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4] يُؤْمَنُ به من كل خيفه .. أعطاه التقليد ، ومكّنه من الإقليد[5] ؛ فتحكّم به فى القريب والبعيد . وجعله عين الوجود، وأكرمه بالسجود[6] ؛ فهو الروحُ المطهَّرُ ، والإمام المدبَّرُ .

شَفَّعَ الواحد عَيْنَهُ ، وحَكَمَ بالكثرة كَوْنَهُ . وإنْ كان كل جزءٍ من العالم

---

(١) النَّجْدُ فى اللغة : الارتفاع .. والمراد من البيت هنا : إن العلم لا حدود له، فكل حدٍّ يعلوه حدٌّ.

(٢) قوله تعالى ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ..﴾ سورة محمد ، آية ٣١.

(٣) راجع ما قلناه عن الأعيان الثابتة فيما سبق . وهنا يضع ابن عربى فكرته الخاصة بأن العلم الإلهى بالأشياء ، سابقٌ على وجود الأشياء وكونها .. فهو مستمدٌّ من أعيانها.

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٠.

(٥) الإقليد : المفتاح ، ويقال أيضاً المقليد والجمع أقاليد (لسان العرب ٣/ ١٤٨)

(٦) الإشارة إلى سجود الملائكة لآدم .

مثله فى الدلالة ، ولكنه ليس بظل[1] .. فلهذا انفرد[2] بالخلافة ، وتميَّز بالرسالة؛ فشرَّع ما شرع ، وأُتُبِعَ .. فهو واسطة العقد ، وحامل الأمانة والعهد .

حَكَم فقهر ، حين تحكّم فى البشر ؛ فظهر النفعُ والضرر. فأول مَنْ تضرَّر هو - كما ذكر- ثم أنه لم يقتصر ، حى آذى الحق وسبَّه ؛ وأعطاه قلبه، وعلم أنه ربَّه ، فأحبَّه .. ولمَّا حسده وغبطه، أغضبه وأسخطه .

ثم بعد ذلك هداه ، وأرضاه ، واجتباه .

فلولا قوة الصورة ما عتى[3] ، ولرجوعه[4] إلى الحق سُمِّىَ فتى[5] ؛ بالجود فى إزالة الغرض ، وأزال بزواله المرض .. وقام الأمرُ على ساق ، وحصل القمر فى اتساق ﴿والتفَّت الساقُ بالساق، إلى ربِّك يومئذٍ المساق﴾[6] .

إن الله يَزَعُ بالسلطان ، مالا يَزَعُ بالقرآن[7] . فإن السلطان ناطقٌ خالق، والقرآن ناطق صامت ! فحكمه حكم المائت ، لايُخاف ولا يُرْجى ، ولا يَطْرد ولا يُزْجى .. وما استند الصِّدِّيقون إليه ، ولا عوَّل المؤمنون عليه؛ إلا لصدق ما لديه .

---

(١) الإشارة إلى الفكرة الشهيرة القائلة بأن الإنسان عالم صغير ، والكون إنسان كبير؛ وطبقاً لذلك فالإنسان يقابل الكون كله.. راجع تناولنا التفصيلى لهذه الفكرة وأصولها، فى الباب المعنون بالإنسان الكامل من كتابنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى .

(٢) فى الأصل : انفراد .

(٣) يقصد : لولا قوة صورة الإنسان ، ما صار ذلك الإنسان عاتياً .. وفى الحديث : خلق الله آدم على (صورة) الرحمن !

(٤) فى الأصل : ولا لرجوعه .

(٥) راجع الفتوة فيما سبق .

(٦) سورة القيامة ، آية ٢٩.

(٧) العبارة من كلمات عثمان بن عفان المأثورة .

فالقرآن أحقُّ بالتعظيم من السلطان ، لأنه الكلام المجيد الذى ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد﴾[1] لا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحُكْمه . يصدُق فى نطقه ، ويعطى الشئ واجبَ حقِّه .. فهو النور، والسلطان قد يجور .

* * *

ومن ذلك ، مراتب الأحبة فى منزل المحبة ، من الباب ١٨٥ :

الأحباب أرباب ، والمحبوب خلف الباب .. المحبُّ رَبُّ دعوى، فهو صاحبُ بلوى. لولا دعوى المحبة، ما طلبنا الجزاء من اللطيف.

المحبوب إن شاء وصل ، وإن شاء هجر ؛ فإذا ادَّعى محبةَ محبِّه اختُبِر . المحبُّ فى الاختبار ، والحبيب مصانٌ من الأغيار ، ولهذا ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[2]

للأحبة منزلٌ فى المحبة ؛ فحبيبٌ جنيب ، وحبيبٌ قريب . فالمحبُّ إذا كان ذا جَنَابة ، فما هو من القَرَابة[3] .. وإذا لم يكن جنيباً ، كان قريباً ! قُرْب الحبيب بالاشتراك فى الصفة[4] ، وجنابته فى عدم الاشتراك فيها ، كما أعطت

---

(١) سورة فصلت ، آية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٠٣.

(٣) مزج ابن عربى فى العبارة بين ألفاظ الجنابة بمعنى القيام من مضاجعة المرأة، أو الدنيا فى المفهوم الصوفى ، والجنابة بمعنى الحماية على حقوق الله واجتناب أوامره .. ثم مزج بين لفظى القرابة بمعنى القرب، و القوابة بمعنى الأسرة، و القوابة بمعنى أن يقر العبد با لله ، أى يسعد بـه.

(٤) الاشتراك فى الصفة ، له عدة مستويات دلالية : الدخول فى صفة المحبة .. الاتصاف بالصفات الربانية كالكرم والحلم .. تجلّى الصفات الإلهية على العبد .

المعرفة : تقرَّب إلىَّ بما ليس لى[1] ! لما طلب القربَ الولىُّ .. والـذى ليس لـه : الذّلة والافتقار ؛ فهو الغنىُّ العزيزُ الجبارُ ، والمتكبرُ خلف باب الدار .

أُنظر إلى ما أعطاه الاشـتراك والدعـوى ، مـن البلـوى ! هـو فـى التنزوح بالجسـم الصـورى والعقـل والـروح ، ولهـذا لايتجلـى -لمـن هـذه صفتـه - إلا القُدُّوس السَّبوح . فالتنزيه للعين ، لايقول بالاشتراك فى الكون[2] .

*　　　*　　　*

ومن ذلك ، الشوق والاشتياق للعشاق ، من الباب ١٨٧ :

الشَّوْقُ يَسْكُنُ بِاللِّقَاءْ ، والاشْتِيَاقُ يهِيجُ بالالْتِقَاء

لايَعرفُ الاشْتِيَاقَ إلاَّ العُشَّاق.

مَنْ سَكَنَ بِاللِّقَاءِ ، فَمَا هُوَ عَاشِقٌ .. عِنْدَ أَرْبَابِ الحقَائِقْ .

مَنْ قَامَ بِثِيابِهِ الحريقُ ؛ كَيْفَ يَسْكُنْ ؟

وَهَلْ مِثْلُ هَذاَ يتمكَّنْ !

لِلّنَار التَهابٌ ومَلَكَةْ .. فَلاَ بُدَّ مِنْ الحرَكَةْ .

والحرَكَةُ قَلَق . فَمَنْ سَكَن ، مَا عَشق .

كَيْفَ يَصحُّ السُّكُون ؟ وَهَلْ فى العِشْقِ كُمُون .. هُوَ كُلُّهُ ظُهُور، وَمَقامُهُ نُشُور .

---

(١) يُروى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : يارب ، كيف الطريق إليك ؟ قال : إذا أردت أن تأتى إلىَّ فأتِ بما ليس فىَّ قلت : سبحانك ، وما ليس فيك ؟ قال : الفقر .. يقول البسطامى: فصرتُ أُجالس الفقراء.

(٢) المراد من العبارة : إن الذى ينزه الذات الإلهية حق التنزيه ، لايقول بوجود شئ فى الكون إلا الله . وهذه المقولة نراها بشكل أو بآخر ، فى كتابات كبار الصوفية المعاصرين لابن عربى .

العَاشِقُ مَاهُوَ بِحُكْمِهِ ، وَإِنّما هُوَ تَحْتَ حُكْمِ سُلْطَانِ عِشْقِهِ .

ولاَ بِحُكْمِ مَنْ أَحَبَّهُ .. هَكَذَا تقْتَضى المَحَبَّةُ .

فَمَا حَبَّ محبٌّ إلاّ نَفْسَهُ؛ أَوْ ، مَا عَشِقَ عاشِقٌ، إلاّ معنَاهُ وَحسَّهُ ! لِذَلِك،

العُشَّاقُ يَتَألمونَ بالفِرَاقْ .. وَيَطْلُبُونَ لَذَّةَ التَّلاَقْ .

فَهُمْ فِى حُظُوظِ نُفُوسِهِمْ يَسْعُون .

وَهُمْ فِى العُشَّاقِ الأَعْلَـون .

فَإنَّهمْ العُلَماءُ بالأُمُور ، وَبِالَّذى خَبَاهُ الحقُّ خَلْفَ السُّتُور.

فَلاَ منّةَ لمحبٍّ عَلَى محْبُوبِهِ ، فَإِنّهُ مَعَ مَطلُوبِهِ ،

وَلاَ عنْدَهُ محْبُوب .. ومَرْغُوب .

سِوَى مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ ، وَيَبْتَهجُ بِهِ كَوْنُهُ .

وَلَو أَرادَ المحبُّ ، مَا يُرِيدُهُ المحْبُوبُ مِنَ الهَجْرِ ..

هَلَكَ .. بيْنَ الإرَادةِ ، وَالأَمْرِ ! وَمَا صَحَّ دَعْواهُ فِي المَحَبَّةِ .

ولاَ كَانَ مِنَ الأَحِبَّةِ ..

ففَكِّرْ ، تَعْثُرْ !

*　　　*　　　*

ومن ذلك ، الشَّطْحُ من الفَتْح ، من الباب ٢٠٢ :

مَنْ شَطَحَ عن فناءٍ شَطَحَ ! وهذا من أعظم المنح[1] ؛ إلا أنه يُلْتبسُ علـى

(١) الشطح : لفظة صوفية، تشير إلى تلك الأقوال الغريبة التى تصدر عن أهل الطريق فى حـال –

السامع، فلا يعرف الجامع من غير الجامع[١] .. ولهذا الالتباس ، جعله[٢] نقصاً بعضُ الناس ، من باب سَدِّ الذريعة ، لما فيها[٣] – بالنظر إلى المخلوق – من الألفاظ الشنيعة ، التى لاتجيزها لهم الشريعة.

فمَنْ تقوَّى فى هذا الفتح ، وعلم من نفسه أنه ليس بشاطحٍ، لم يظهر عليه شئٌ من الشطح[٤] . فلا يظهر الشطح ، من صاحب هذا الصف ، إلا إذا كان فى حاله ضعف ..

ألا إن تبيُّن ذلك ، عند الواصل والسالك .. ألا ترى إلى ما قال صاحب القوة ، والتمكين فى إنفاذ الأمر[٥] : **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمٍ وَلاَ فَخْرُ**[٦]. فانظرْ إلى

= انجذابهم إلى الله ، كقول البسطامى سبحانى ما أعظم شأنى ويمكن الرجوع إلى تعريفات هذه اللفظة وبيان مدلولها الصوفى، فى كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوى : شطحات الصوفية (وكالة المطبوعات – دار القلم ، بيروت) .

وفى عبارة ابن عربى هنا، يقول إن الشطح إذا كان عن فناء حقيقى فى الذات الإلهية، فهو منحة ربانية .. وهو يستغل التشابه اللفظى بين كلمتى **الشطح** بمعنى التفوه بغريب الكلمات، و**الشطح** بمعنى الحركة والذهاب إلى بعيد ؛ ليخلص من ذلك إلى أن الذى يقول الكلام الشاطح من مقام الفناء ، يذهب بالمعنى إلى الجهات البعيدة .

(١) الجمع هنا ، هو الجمع الصوفى بين العبد والتجليات الإلهية .. ويُقال فى كلام العبد آنذاك أنه: كلامٌ بلسان الجمع .

(٢) أى : جعل الشطح .

(٣) أى : فى العبارات الشاطحة .

(٤) يشير ابن عربى هنا إلى أن الشطح يصدر من **أهل التلوين** الذين تجذبهم الأنوار الإلهية وتعصف بجوارحهم .. أما **أهل التمكين** فلديهم المقدرة – بفضل الله – على الثبات، فلا يصدر عنهم الشطح .

(٥) يقصد : النبى محمد ﷺ .

(٦) أخرجه الترمذى فى التفسير والمناقب ، وابن ماجه فى الزهد ٣٧ ، وابن حنبل فى المسند ٥/١، ٢٨١، ٢٩٥– ٢/٣، ١٤٤– ٥/ ١٣٧، ١٣٨، ٣٩٣ .. وهو حديث مشهور .

أدبه فى تَحَلّيه ، كيف تأدَّب مع أبيه ، وما ذكـر غـير إخوتـه[1] . فـالأديبُ مـن أخـذ بأُسْوته، فـإن ربَّـه أدَّبـه . ومَـنْ أدَّبـه الحـقُّ ؛ أنـزل النـاس منـازلهم ، لَّمـا تحقّـق[2].

* * *

ومن ذلك ، الجامعُ واسعٌ ، من الباب ٢٢٩ :

لو لم يكن فى الجامع[3] اتساع ، ما كان جامعاً بالإجمـاع . قلـب المؤمـن جامعٌ للوسع[4] ؛ فغاية اتّسـاعه علـى مقـداره ؛ واتّسـاعه علـى قـدر أنـواره ..

---

(١) الإشارة إلى أولاد آدم .. والمراد ، أن النبى ﷺ لم يذكر إلا سيادته علـى البشـر، مـع أنـه سـيد الكونين !

(٢) دمج ابن عربى هنا بين الحديثين الشريفين : أدبنى ربى فأحسن تأديبى - أُمرت أن أُنزل الناس منازلهم .

(٣) يستخدم ابن عربـى كلمـة الجامع بمعنيين .. الأول : الجامع بمعنى المسـجد الـذى تقـام فيـه الصلوات. والثانى : الجامع اسم الفاعل من جَمَعَ ، وهو الصوفى فى مقام الجمْع (راجـع الجمـع والفرق فيما سبق) .

(٤) يستند ابن عربى هنا إلى الحديـث : مـا وسعنى أرضـى ولا سمـاواتى ووسعنى قلـب عبـدى المؤمن. وهو حديث قدسى مشهور عنـد الصوفيـة ، ذكـره الغـزالى فـى الإحيـاء وشـكَّك فيـه العراقى وابن تيمية .. وقد غاص الجيلى فـى مفـاوز هـذا الحديـث القدسى، فاستخرج المعنـى التالى : لو كان العالم هـو الأصـل ، لكـان أولى بالوسـع مـن القلـب ، فعُلـم أن القلـب هـو الأصل والعالم هو الفرع. ثم اعلم أن هذا الوسع على ثلاثة أنواع ، كلها سائغة فى القلب: النوع الأول هو وسع العلم، فليس لشئ غير القلب أن يعرف الله من كـل الوجـوه .. والنوع الثانى هو وسع المشاهدة، وذلك هو الكشف الـذى يطّلـع القلـب بـه علـى محاسـن جمال الله تعالى فيذوق لذة أسمائه وصفاته ؛ فلا شئ مـن المخلوقـات يـذوق مـا لله تعـالى إلا القلب .. والنوع الثالث هو وسع الخلافة وهو التحقُّـق بأسمائـه وصفاتـه حتـى يـرى ذاتـه ، فيتصرّف فى الوجود تصرف الخليفة .. (الإنسان الكامل ٢/ ١٦).

فتجوَّل الإبصار ، على قَدْر ما تُكْشف له الأنوار ؛ ويكون السرور، على قَدْر ما يحصل لك من الكشف بذلك النور .

﴿ الله نورُ السَّمَوَاتِ والأَرْض ﴾[1] فقد عَمَّ الرفعُ والخفض. فصاحب البصر الحديد[2] ، يدرك به ما يريد ؛ ولهذا ، إرادة المُحْدَث[3] قاصرة، ودائرته ضيقة متقاصرة! ألا تراه أَلْبسه على ما قلناه في الخبر : ***فيهَا مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ***[4] .

وهي جنَّةٌ محصورة ، والأمور فيها مقصورة ؛ فكيف بمَنْ لايأخذه حَصْرٌ، ولايسعه قَصْرٌ ؟ كيف ينضبط شأنه ، أو يُحَدُّ مكانه من مكانه .. عينه جَهَلَ ، ولو عرف كونه[5] !

* * *

ومن ذلك ، المريدُ مَنْ يجد في القرآن ما يريد ، من الباب ٢٣٥ :

كان شيخنا أبو مَدْيَن[6] يقول : ***المريدُ ، مَنْ يجدُ في القرآن كُلَّ ما يريد!*** ولقد صدق في قوله ، الشيخُ العارف ؛ لأن الله يقول ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ

---

(١) سورة النور ، آية ٣٥.

(٢) الإشارة لقوله تعالى ﴿.. فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ..﴾ سورة ق آية ٢٢.

(٣) المحدث ، هو المخلوق .. وبالتحديد ، فالمراد هنا : الإنسان .

(٤) حديث مشهور في وصف الجنة ، والإشارة إلى تواضع الجنة بجانب نور الله .

(٥) المراد في العبارة : حتى إذا عرف الإنسان الكون ، فسيظل جاهلاً بنفسه وعين حقيقته .

(٦) الشيخ أبو مدين التلمساني ، نزيل بجاية الشهير .. سخط عليه الفقهاء ، فوشوا به عند السلطان يعقوب المنصور ، فبعث إليه ليختبره ، وكان آنئاك شيخاً ضعيفاً ، فتمنى على الله أن لايرى السلطان ولا يراه ، وبينما هم مرتحلون إلى السلطان، وصل إلى تلمسان فمرض مرضاً شديداً، ونزلوا به هناك، فكان آخر كلامه : الله الحق .. وتوفي ؛ سنة ٥٩٤ هجرية (راجع مقدمة التحقيق).

مِنْ شَىْءٍ﴾[1] فقد حوى بجميع المعارف ، وأحاط بما فى العلم الإلهى من المواقف .. وإن لم تتناهى ، فقد أحاط علماً بها ، وبأنها لاتتناهى . فاسترسل عليها علمه، وأظهرها عن التتالى حُكْمه إلى غير أَمَدٍ ، بل لأَبَدِ الأَبَدِ .

فالمريد المكين ، مَنْ يقول – لما يريد– كُنْ فيكون[2] .. فمن لم يكن له هذا المقام، فما هو مريد . والسلام !

من كانت إرادته قاصرة ، وهمته متقاصرة ، لايتميَّز عن سائر العبيد ؛ فهذا معنى المريد[3] .. فإن احتججت بقوله ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4] فما أصبت . العلاَّمُ ، مَنْ ينتقل من مقام إلى مقام؛ ذلك حكم الدار .. وأين دار البوار من دار القرار ؟

* * *

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٨.

(٢) المريد فى الاصطلاح الصوفى ، هو المبتدئ فى الطريق ، الذى يتلقَّى معالم الشرع والتحقيق من شيخ يتولى هُداه .. هذا فى المفهوم الصوفى العام، أما هنا ، فإن ابن عربى يرتفع بمفهوم المريد، ولايقصره على المبتدئ ، بل يطلقه على الصوفى المتصرف فى الكون بقدرة الله، وهذا الرجل يُسمى مريداً فى كلام الشيخ الأكبر ، لأن إرادته هى بإرادة الله، ولأنه العبد الربانى الذى تقرَّب إلى الله حتى صار يقول للشئ كن فيكون ، وذلك ما جاء ذكره فى الحديث القدسى: **مازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه .. إلخ .**

(٣) تصف العبارات المريد بأنه : لاتتعدَّى إرادته ما أراده الله، فهى مقصورة على ذلك. وكذلك تقف همّته وتقتصر على أمر الله .. وهو كائنٌ بين الناس لايتميز عنهم بمظهر خاص، مع أنه بائنٌ ومتعالٍ عليهم بتحقيق مخصوص ومقام رفيع عند ربه .

(٤) سورة القصص ، آية ٥٦ .. والإشارة إلى أن المحبَّ إلا ما يحبُّه المحبوب ، ولذلك فهو لا يتمنى إلا ما يريده الله ويحبه.

ومن ذلك ، الاغترابُ تَبَابٌ[1] .. من الباب ٢٣٧ :

الغربة مفتاح الكُرَبِ ، ولولاها ما كانت القُرَب[2] . القريب هو الغريب، وهو الحبيب .. ولايقال فى الحبيب أنه غريب ، هو للمحبِّ عينه ، وذاته، وأسماؤه ، وصفاته ، لانظر له إليه ، فإنه ليس شيئاً زائداً عليه .

ماهو عنه بمعزل ، وماهو له بمنزل[3] .

قيل لقيس[4] ليلى : مَنْ أنت ؟

قال : ليلى !

قيل له : مَنْ ليلى ؟

قال : ليلى !

فما ظهر له عينٌ فى هذا البين ، فما بقى اغتراب ، فإنه فى تباب ؛ فَقَد عينه، وزال كونه .

العُشَّاق ، لايتصفون بالشوق والاشتياق .. الشوقُ إلى غائبٍ ، وما ثَمَّ غائب. مَنْ كان الحقُّ سمعه ، كيف يطلبه ؟ ومن كان لسانه ، كيف يعتبه ؟

---

(١) التباب فى اللغة : الخسران والهلاك (لسان العرب ٣٠٨/١) ومنه قوله تعالى ﴿وما كيد فرعون إلا فى تباب﴾ .

(٢) الغربة عند الصوفية هى الوحشة من الخلائق والأنس بالقرب من الخالق.

(٣) ينفى ابن عربى هنا تهمة الحلول ، فالصوفى فى هذا المقام لاينعزل عن الله، وهو فى نفس الوقت ليس محلاً له .. ويلاحظ أن ماهو الأولى تشير إلى العبد ، و ماهو الثانية تشير إلى الله تعالى .

(٤) هو قيس بن الملوح ، العاشق المشهور .. وهو هنا رمز للمحب الصوفى.

فأَيْنَ تَذْهَبُون[1] .. وما ثَمَّ أَيْنٌ ، عند من تحقَّق بالعين .

* * *

ومن ذلك ، مَنْ شرب طرب .. من الباب ٢٥٦ :

لايطربُ الشارب ، إلا إذا شرب خمراً[2] .. وإذا شرب خمراً فقد جاء شيئاً إمرا[3] ؛ لأنه يخامر العقول ، فيحول بينها وبينَ الأفكار ، فيجعل العواقب في الأخبار ، فيبدى الأسرار برفع الأستار . فحرِّمت في الدنيا لعظم شأنها، وقوة سلطانها .. وهي لَذَّةٌ للشَّاربينَ[4] حيث كانت ، ولهذا ، عزَّت وما هانت. في الدنيا محرَّمة ، وفي الآخرة مكرَّمة . هي أَلذُّ أنهار الجنان، ولها مقام الإحسان. عطاؤها أجزل العطاء ، ولهذا يقول مَنْ أصابه حكمها ، وما أخطأ :

فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنَّنى رَبُّ الخوَرْنَقِ[5] وَالسرِيـرِ

وهو صادقٌ .. وإذا فارقه حكمها ، وعفا عنه رسمها ، يقول - أيضاً - ويصدق ، وقال الحق :

---

(١) سورة التكوير ، آية ٢٦.

(٢) يمزج ابن عربى هنا بين الخمر المحسوسة التى يحرمها الشرع ، وبين الخمر التى يرمز بها أهل الطريق للتحليات الإلهية التى تطيش بالعقول ، ثم يجمع مع ذلك خمر الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين .. ويدخل الشيخ الأكبر من هذا المزج اللطيف، إلى معنى السكر والصحو بمفهومها الحسى والذوقى ، ليخلص فى النهاية إلى أن الصحو، حالٌ أعلى من السكر .

(٣) تضمين من قول موسى للعبد الصالح فى سورة الكهف : ﴿لقد جئت شيئاً إمرا﴾

(٤) سورة الصافات ، آية ١١.

(٥) الخورنق ؛ كلمة فارسية معربة تعنى : المجلس الذى يأكل فيه الملك (معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٤) وهو اسم لقصر النعمان بن المنذر ، والسرير : العرش .. والبيت من قصيدة مشهورة للشاعر الجاهلى المُنَخَّل اليَشْكُرى الذى عشق زوجة النعمان المتجرِّدة فلقى حتفه.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ[1]

وهذا المقام أعلى ، لأنه ربُّ الحيوان[2] .. فتفطَّن لهذا الميزان .

* * *

ومن ذلك ، التنزيه تمويه .. من الباب ٢٨٠ :

إِنَّ الوُجُودَ لأَكْـوَانٌ وَأَشْبَـاهُ

فَـلاَ إِلَـهَ لَنَـا فِي الكَـوْنِ إِلاَّ هُـو

جَلَّ الإِلَـهُ فَمَـا يَحْظَـى بِهِ أَحَدٌ

فَلَمْ يَقُلْ عَارِفٌ بِرَبِـهِ مَـا هُـو

للهِ قَـوْمٌ إِذَا حَفُّـوا بِحَضرتِـهِ

يَبْغُونَ وَصْلَتَهُـمْ بِـذَاتِـهِ تَـاهُـوا

قَـدْ مَوَّهَ القَوْمُ بِالتَّنْزِيـهِ وَهْـوَ هُمُ

فِي كُل حَـالٍ ، فَعَيْنُ القَـوْمِ عَيْنَـاهُ

وَا للهِ مَـا وَلَـدَ الرَّحْمَنُ مِنْ وَلَـدٍ

وَمَـالَـهُ وَالِـدٌ ، مَـا ثَـمَّ إِلاَّ هُـو

وَكُلُّ مَا فِي الوُجُودِ الكَوْنِ مِنْ وَلَدٍ

وَوَالِـدٍ هُـوَ فِي تَحْقِيقِنَـا مَـا هُـو

---

(١) الشويهة ، تصغير شاة .

(٢) فى البيت السابق كان القائلُ ربّاً للجماد (الخورنق ، السرير) وهو هنا ربُّ الحيوان .. فهذا أعلى لأن الحيوان أعلى مرتبة من الجماد . وهكذا يُستخرج من الأبيات، أن الصحو أعلى من السكر!

دَلِيلُنَـا : مَا رَمَى بالـرَّمْـلِ حِين رَمَى

مُحَمَّدٌ[1] ، وَهْوَ قَـوْلِي : مَاهُوَ إلاَّ هو[2]

فَالـحَمْدُ للهِ لاَ أَبْغِـي بِـهِ بَـدَلاَ

لأَنَّـهُ لَيْسَ فِي الأَكْـوَانِ إلاَّ هُـو

[البسيط]

*　　*　　*

ومن ذلك ، الدليلُ فى حركة الثقيل ؛ من الباب ٢٩٣ :

الأمرُ جليل ، من أجل حركة الثقيل ؛ لايتحرَّك إلا عن أمرٍ مُهمٍ ، وخطبٍ مُلمٍ .. كزلزلة الساعة المذهلة عن الرضاعة[3] ، مع الحبِّ المفرط فى الولد، ولايلوى على أحد .

وقد ذهب بعض الأوائل ، أن العالم أبداً نازل ، يطلب بنزوله مَنْ أوجده، حين وحَّده[4] .. والحقُّ لاينتهى ، فمن أول حركةٍ ، كان ينبغى أن يعتكف

---

(١) الإشارة إلى الواقعة التى جرت يوم هجرة النبى ﷺ حين نام الإمام على فى فراشه وشباب الكفار على باب الدار ينتظرون خروجه ، فرمى النبى على وجوههم بالرمل فلم يروه .. وجاء فى القرآن ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..﴾ سورة الأنفال ، آية ١٧ .

(٢) الإشارة إلى ما يعرف بنظرية الهو هو وهى حقيقة صوفية تقرر أن لا موجود على الحقيقة إلا الله ، ففى مقام معين يكون الفانى هو عين الذى فنى فيه !

(٣) الآيات ﴿إن زلزلة الساعة شئٌ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ..﴾ سورة الحج ، الآية الأولى .

(٤) يبدو ابن عربى وكأنه يشير إلى (أرسطو) بقوله (بعض الأوائل) فقد ذهب أرسطو إلى أن الكون يتحرك بحركة دائرية حول الله ، وهى حركة عشق من الموجودات إلى الله ، أو المحرك الأول كما يسميه أرسطو .

عليه، لأنه جَلَّ أن تُقطع إليه المسافات المحقَّقة ، فكيف المتوهَّمة[1] ؟

رسومٌ معلَّمةٌ ، وأسرارٌ مكتَّمةٌ

بيوتٌ مُظْلمة ، وألْسِنَةٌ غير مُفْهمة

لأن الخيالَ ، يخيِّل العلمَ به والمقالَ !

فأَيْنَ تَذهَبُونَ[2] ، أو ماذا تطلبون ؟

يقول العارف لأبى يزيد : ***الذى تطلبه تركته ببسطام***[3] .. فَدَلَّه على المقام[4] .. فإن العبد يُسار به في حال إقامته، إما إلى دار إهانته ، وإما إلى دار كرامته.

*　　　*　　　*

ومن ذلك، الإيثار ليس من صفات علماء الأسرار ؛ من الباب ٣٣٣ :

---

(١) يردُّ ابن عربى هنا قول أرسطو بضرورة الحركة للكون ، للوصول إلى مبدأ الكون وعلّته .. وهو يستند فى ردِّه إلى استحالة الوصول بالحركة نظراً لبعد المسافة بين الكون وخالقه . ولايغيب عنا هنا ، أن القضية الأرسطية وردَّ ابن عربى عليها ، هى محض رموز يشير بها ابن عربى إلى الصلة بين الله والعالم ، كما يشير بها إلى ضرورة السكون القلبى أمام الله.

(٢) سورة التكوير ، آية ٢٦.

(٣) بسطام : بلدة كبيرة على الطريق إلى نيسابور . ومن عجيب ما يذكره المؤرخون ، أنه لم يُرَ بها عاشق من أهلها قط، ومتى دخلها إنسان فى قلبه هوى، وشرب من مائها، زال عنه العشق (معجم البلدان ١/ ٤٢١)

(٤) يستغل ابن عربى هنا التشابه اللفظى بين كلمة مقام كمرتبة صوفية ، وكلمة مقام بمعنى مكان الإقامة الحسية .. وفيما يخص حكاية أبى يزيد المذكورة ، فقد رويت فى مناقب البسطامى. كما روى عنه أنه كان بعدها يَسأل : لم لا تسافر ؟ فيقول : صاحبى لا يسافر، وأنا معه مقيم.

ما هُوَ لك ، فما تقدر على دفعه . وما ليس لك، فمـالك استطاعةٌ علـى منعه .. فأين الإيثار ؟ والأمر أمانة ، فأَدِّها إلى أهلهـا قبـل أن تسلبها وتوصف بالخيانة . فاعْطها عن رضى قلبك ، تَفُزْ برضا ربِّـك .. فهؤلاء[1] هـم الأحيـاءُ وإن ماتوا :

للهِ قَـوْمٌ وُجَـودَ الحق عَيْنُـهُمُ
هُمُ الأَحيَّاءُ إِنْ عَـاشُوا وَ إِنْ مَـاتُوا
هُـمُ الأَعَـزُّ أَلاَ يَـدْرُونَ أَنَّهُمُ
هُـمُ وَلاَ مَـا هُمُ إِلاَّ إذا مَاتُـوا[2]
للهِ دَرُّهُـمُ مِـنْ سَادَةٍ سَلَفُوا
وَخلَّفُـونَـا عَلَى الآثَـارِ إِذْ مَاتُـوا
لاَ يَأْخُـذُ القَـوْمَ نَـوْمٌ لاَ وَلاَ سِنَةٌ
وَلاَ يَؤُودُهُـمُ حِفْظٌ[3] وَلَـوْ مَاتُـوا
فَكَيْفَ بالشَّمْسِ لَـوْ أَبْدَتْ محَاسنَهُمْ
أَقْسَمْتَ بِا للهِ إِنَّ القَوْمَ مَا مَاتُـوا
وَكُنْتَ تَصـدُقَ ، إِنَّ ا للهَ أَخْبَـرنَـا

---

(١) يقصد : علماء الأسرار .

(٢) يعنى : إن الأولياء لايعرفون مقامهم عند ا لله ، إلا بعد انتقالهم إلى جواره .

(٣) تضمين لقوله تعالى ﴿ولايؤوده حفظهما ..﴾ سورة البقرة ، آية ٢٥٥.

عَنْ مِثْلِهِمْ[1] ، أَنَّهُمْ وَا للهِ مَاتُـــــوا[2]

أَحْيَاءُ لَمْ يَعْـرِفُـوا مَوْتاً وَمَـا قُتِلوُا

فِى مَعْرَكٍ وَذَوُوا رِزْقٍ وَقَدْ مَاتُـــوُا

فَلَـوْ تَـرَاهُـمْ سُكَـارَى فِى مَحَارِبِهِمْ[3]

لَقُلْتَ إِنَّهُـمُ الأَحْيَـا وَإِنْ مَـاتُـــوا

ا للهُ كَـرَّمَهُـمْ ، ا للهُ شَـرَّفَهُـــمْ

ا للهُ يُحْيِيهُـــمُ بِـهِ إِذَا مَـــاتُـــوا

لَقَـدْ رَأَيْتُهُمْ كَشْفاً وَقَـدْ بُعِثُـــوا

مِنْ بَعْـدِ مَـا قُبِرُوا ، مِنْ بَعْدِ مَا مَاتُوا

[البسيط]

* * *

ومن ذلك ، مَنْ وعظه النومُ من القوم ؛ من الباب ٣٧٤ :

قال[4] : مَنْ أراد أن يعرف حاله بعد الموت ، فلينظر فى حاله إذا نام هو،

---

(١) يقصد : الشهداء .. فهم مثل الأولياء ، كلاهما قُتل فى طاعة ا لله ، الشهداء فى ساحة القتال، والأولياء فى ميدان المجاهدة . فالمجاهدة الروحية تسلب الصوفى من نفسه الأمارة ، حتى يقال عن الواحد منهم إنه : بلا نفس !

(٢) الآية ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾ .

(٣) المراد بالمحاريب هنا ، خلوات الأولياء التى يتعبدون فيها ويجاهدون نفوسهم بالرياضات الروحية.. وقد استخدم ابن عربى لفظ محاريب بالذات ، لما فيه من اقتراب من لفظ الحروب التى يُقتل فيها الشهداء : أمثال الأولياء !

(٤) جميع الفقرات من هذا الموضع إلى آخر الباب ، تبدأ بقوله : قال ..

وبَعْدَ النوم . فالحضرةُ واحدةٌ ، وإنما ضرب اللهُ لنا ذلك مثلاً ؛ وكذلك ضرب اليقظة من النوم ، كالبعث من الموت .. لقومٍ يعقلون .

وقال : الدنيا والآخرة أُختان ، وقد نهى اللهُ عن الجمع بين الأُختين .. والجمع يجوز بين الضَّرَّتين ، فما هما ضَرَّتان ! لكن لما كان فى الإحسان إلى إحدى الأختين بالنكاح، إضرارٌ بالأخرى ؛ لذلك قيل فيهما ضَرَّتان .. فتنبّه[1].

وقال : سفينتك مركبك، فاخرقه بالمجاهدة . وغلامك هواك ، فاقتله بسيف المخالفة . وجدارك عقلك - لا ، بل الأمر المعتاد فى العموم[2] - فأقمه تستتر به كنز المعارف الإلهية عقلاً وشرعاً[3] ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، إذا[4] بلغ عقلك وشرعك فيك أَشُدَّهما ، وتَوَخَّيًا ما يكون من المنفعة فى حَقِّهما .. وما أُريد بالشرع إلا الإيمان ، فإن العقل والإيمان : نورٌ على نور[5] .

* * *

---

(١) يمزج ابن عربى هنا بين أحكام الشرع الفقهية وحقائق التصوف ، لينتهى إلى القول بأن الذى يختار الآخرة لايجوز له أن يعشق الدنيا.

(٢) يستدرك ابن عربى هنا ليشير إلى جدار الإنسان المائل للسقوط ، أو الذى وصفته الآيات بأنه ﴿يريد أن ينقضَّ﴾ هذا الجدار ليس هو العقل فحسب، بل هو أمور الإنسان المعتادة ، وما ألفه من طبائع الأشياء .. وهو لامحالة ساقط، بمعنى أنه : بالموت تنقلب المألوفات وتتغير المعقولات، ويدرك الإنسان أنه كان فى حلم، وهذا ما ورد فى قوله تعالى ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .. ﴾ سورة ق ، آية ٢٢.

(٣) يستخدم ابن عربى هنا الرموز القرآنية الواردة فى قصة موسى والخضر بسورة الكهف (السفينة ، الغلام ، الجدار) فيعطى كل رموز دلالةً صوفية معينة تصل به إلى مفهوم خاص بترك الدنيا ، وقتل هوى النفس ، وإقامة جدار الشريعة التى تصون الحقيقة .

(٤) فى الأصل : فإذا .. وقد أصلحنا بحذف الفاء حتى يستقيم النص ومعناه .

(٥) سورة النور ، آية ٣٥.

ومن ذلك ، ما يحصِّل صاحبُ الرِّحْلة عن كل نِحْلة ؛ من الباب ٣٧٥:

قال : الرحلة من الأكوان إلى الله تعالى ، جهلٌ به تعالى . فلو رأى وجه الحق فى كل شئ[١] ، لعرف قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[٢] وقوله ﴿فأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٣] وقوله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجًا﴾[٤] على الاعتبارين فى قوله مِنْهَاجًا[٥] .

وقال : الظلمة دليلٌ على علم الغيب، والنور دليلٌ على عالم الشهادة. فالليل لباسٌ ؛ فأنت الليل[٦] .. والنهار للحركة، فهو للحق[٧] . شؤنةُ الحركة حياةٌ ، وهى حَقيةٌ؛ والسكون موت، فهو خَلْقىٌّ .. ومع هذا ، فله[٨] ما سَكَنَ بالوجهين – من السكون والثبات– ولك ما تحرَّك بالوجهين : من ، وإلى ..

---

(١) هناك ثلاث عبارات تتكرر كثيراً عند الجيلى وابن عربى وغيرهما ، منسوبة إلى أبى بكر الصديق وغيره .. تقول العبارات على التوالى :

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده.

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه.

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٤٨.

(٣) سورة البقرة ، آية ١١٥.

(٤) سورة المائدة ، آية ٤٨.

(٥) يقصد ؛ على اعتبار المعنى الظاهر للكلمة ، وعلى اعتبار معناها الباطن.

(٦) يشير ابن عربى هنا إلى أن الوجود الإنسانى الجسمانى ، يحيط بالنفس والروح ويحبسهما فى كهف الظلمات الدنيوية .. فالأنا هى الليل المحيط بنا.

(٧) فى مقابل المعنى المشار إليه فى الهامش السابق ، يجعل ابن عربى النهار وما يشتمل عليه من نور، و الحركة التى هى التجليات الإلهية التى لاتنقطع ، هما صفة الحق تعالى .

(٨) أى : لله عزَّ وجلَّ .

ولا اعتبار لليلٍ ولا لنهارٍ، فله ما فيها من حُكْم الإيجاد ؛ ولك ما فيها من الانتفاع . والنومُ راحةٌ بدنيةٌ ، ومكاشفاتٌ عينيةٌ غيبيةٌ .

وقال : إرداف النعم وتواليها ، إرفادُ الحق ومِنَحُهُ لعباده .. فمَنْ اتقى الله فيها سعد ، ومَنْ لم يتّقِ الله فيها شقى .

وقال : مواهب الحقِّ لاتحجير عليها ، فلا تقُلْ : لم نُعْطَ .. فإن الحقَّ يقول: لم تَأْخُذ . الدليلُ ما ورد من التكليف .. قيل لك **لاتفعل** فعلتَ، قيل لك **افعل** لم تفعلْ .. هكذا الأمر !

* * *

ومن ذلك ؛ الفرقُ فى الوحى ، بين التَّحْتِ والفَوْقِ .. من الباب ٣٧٦:

قال : إذا قام المكلّفُ بما خاطبه به رسوله ، من حيث ما بَلَّغَهُ عن ربِّهِ – لامن حيث ما سُنَّ له(١) – فما دَخَلَ له، مما أتْحَفَهُ الحقُّ به فى ميزان قيامه، فذلك: العلم المكتسب .. وما خَرَجَ عن ميزانه ، ولايقبله ميزان عمله، فذلك : علم الوَهْب الإلهى . فالعلمُ الكَسْبىُّ نصرُ الله ، والوَهبىُّ فَتْحُهُ .. فإذا جَاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ(٢) ، عُلِمَ أنه قد قام بحَقِّ ما كُلِّفَ ؛ وإذا انقادت إليه قواه – الحِسِّيَّة والعقلية – فمشتْ معه على طريقه ، الذى هو صراط الله ، لا صراط الرَّبِّ؛ فَلْيَشْكُر الله على ما خَوَّلَهُ به وحَبَاه .

---

(١) المراد ؛ أن يتبع الإنسان بلاغ الله للناس ، ولا يتبع طبيعته الأرضية وقوانين الطبيعة المحسوسة ، فطبع الإنسان يميل به إلى الراحة ، والعبادة فيها مؤونة وتعب ومشقة .. وهكذا يخالف العابد طبعه ، ويتبع رسوله ؛ مع أن الطبع مسنون !

(٢) سورة النصر ، الآية الأولى .

وقال : خَفى عن الناس طاعة إبليس ، بلعنة الله إياه .. كما خَفى عنهم موافقة المَلَكِ[1] رَبَّه – فى خلافة آدم – بثناء اللهِ عليهم ورضاه عنهم[2] .

* * *

ومن ذلك ؛ الاستقصاء ، هل يمكن فيه الإحصاء .. من الباب ٣٨٣ :

قال : إذا رأيتَ مَنْ يتبرأ من نفسه[3] ، فلا تطمع فيه .. فإنه منك أشد تبرئاً[4] . فافهمْ !

وقال : ما ثَمَّ ثقةٌ بشئ ، لجهلنا بما فى علم الله .. فيالها من مصيبة ![5]

وقال : ما ثَمَّ إلاَّ الإيمان ، فلا تعدل عنه . وإيَّاك والتأويل[6] فيما أنت به

---

(١) يقصد : الملائكة الذين سجدوا لآدم وأطاعوا أمر الله.

(٢) تثير هذه الفقرة ما يُعرف عن ابن عربى بالفرق بين الأمر الإلهى التكوينى ، والأمر الالهى التكليفى .. فقد عصى إبليس ربه من حيث الأمر التكليفى بالسجود لآدم ، لكنه طائعٌ فى الوقت ذاته للأمر التكوينى الذى اقتضى فى الأزل أن ينزل الإنسان إلى الأرض ويتعرض لغواية إبليس .. وكان أمر الله قدراً مقدوراً !

(٣) الذى يتبرأ من نفسه ، هو الصوفى الذى خلص من آفات النفس ومطالبها العتيدة ، فهو لا يميل مع ميل النفوس ، ولا يرى لنفسه ما يوجب الإشارة إليها ، كأنه يتبرأ منها الله تعالى .. وقد ذهب فريق من الصوفية مذهباً عميقاً فى مخاصمة النفس وإماتة رغباتها الحقيرة، حتى أنهم كانوا يظهرون لمن حولهم ما يستوجب الذم واللوم ، خوفاً من مدح الناس لهم ، وما يجلبه ذلك عليهم من مغالبة لخيلاء النفوس وإعجابها بذاتها ، وهذا الفريق يُعرف باسم : الملامتية (راجع رسالة الملامتية لأبى عبد الرحمن السُّلمى، نشرة الدكتور أبو العلا عفيفى – القاهرة ١٩٤٥).

(٤) فى الأصل : تبرأ .

(٥) يشير الشيخ الأكبر هنا إلى قلق العارف وعدم طمأنينته بحاله .. وهذا مقام مَنْ قال : **لو كانت إحدى قدمىَّ فى الجنة والأخرى فى النار ، ما أمنت مكر الله .**

(٦) التأويل هو صرف الألفاظ إلى غير ظاهرها .. وهو أمر محفوف بالمخاطر فى فهم القرآن –

مؤمنٌ ، فإنك ما تظفر منه بطائلٍ ، ما لم يُكْشف لك عيناً .

وقال : اجعلْ أساس أمرك كله على الإيمان والتقوى، حتى تبين لك الأمورُ[1] ، فاعملْ بحسب ما بان لك ، وسِرْ معها إلى ما يدعوك إليه[2] .

وقال : إجعلْ زمامك يد الهادى[3] ، ولا تتلكأ[4] ، فيسَلَّط عليك الحادى، فتشقى شقاء الأبد .

وقال : من كانت داره فى الدنيا الجنان[5] ، خِيفَ عليه .. وبالعكس!

* * *

- وغيره . وقد أكد أئمة الصوفية على أنه لايجوز إلا للكمل من أهل الطريق الصوفى ، ولا يجوز إطلاقاً للمبتدئ وعوام الخلق .

(١) المراد ببيان الأمور هنا ، إدراك ما يحتجب خلف آيات الشريعة الظاهرة من معانٍ وحقائق ربانية.

(٢) يقصد : ما يدعوك الله إليه.

(٣) الهادى : النبى محمد ﷺ .. ويُجعل الزمام فى يديه ، بأن يلتزم الإنسان بشريعته ﷺ .

(٤) يريد الشيخ الأكبر بالتلكؤ هنا ، ما يكون من التكاسل فى الأخذ بفروض الله، والتفريط فى السنن النبوية ، ومتابعة النفس فى ركوب الرخص ، وطلب الراحات .. وغير ذلك مما يقعد بالهمة عن تحصيل السعادة فى الدارين . وقد يكون التلكؤ هو تعسف المتأول الذى لم يرق مقامه لمرتبة التأويل.

(٥) فى الأصل جاءت الكلمة بلفظ الحنان واعتبرنا سقوط النقطة عند طبع الفتوحات فصححناها بلفظ الجنان ولكل اللفظين وجهٌ ومراد :

إذا كانت الحنان فالمراد أن من يعيش فى الدنيا عيشة ناعمة ، فهو غير مأمون عليه من الخشونة فى الآخرة ، وبالعكس .. والأصل فى هذا المعنى ، ما ورد فى الحديث من أن : *أشد الناس ابتلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل* .

وإذا كانت الجنان فالمراد أن من كانت الدنيا جنّةً له، فهو لايأمن فى الآخرة .. والأصل فى ذلك ، الحديث الشريف : *الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر* .

ومن ذلك ؛ مَنْ خيَّركَ .. فقد حيَّرك ، من الباب ٤٠٠ :

قال : ما دعا الملأ الأعلى إلى الخصام[1] ، إلا التخييرُ فى الكفَّارات . التخييرُ حيرةٌ ، فإنه يطلب الأرجح أو الأيسر ، ولا يُعرف ذلك إلا بالدليل .. ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نُسُك ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أواسط ما تطعمون أهليكم، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة[2] .

وقال : إذا خيرَّك الحقُّ فى أمور ، فانظرْ إلى ما قدَّم منها بالذكر ، فاعملْ به .. فإنه ما قدَّمه حتى تَهْمُمَ به وبك ، فكأنه نَبَّهك على الأخذ به . ما تزول الحيرة عن التخيير ، إلا بالأخذ بالمتقدِّم . تلا رسول الله ﷺ حين أراد السعى فى حجَّة الوداع ﴿إِنَّ الصَفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[3] ثم قال *أبدأ بما بدأ الله به*[4] فبدأ بالصفا .. وهذا عين ما أَمَرْتُكَ به لإزالة حيرة التخيير[5] ؛ لقَدْ كَانَ

---

(١) الآية : ﴿ما كان لى علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ..﴾ سورة ص ، آية ٦٩.

(٢) سورة المائدة ، آية ٨٩.

(٣) سورة البقرة ، آية ١٥٨.

(٤) رواه مسلم بلفظه الوارد هنا ، ورواه السيوطى مسنداً .. وروى النسائى عن جابر : أبدأوا بما بدأ الله به. وصحَّحه ابن حزم (انظر ؛ السيوطى : جمع الجوامع برقم ٢٧/ ٩٩، ٢٩/١٠١.

(٥) يتخذ الصوفية من هذا المبدأ وسيلةً للاختيار ، فهم على سبيل المثال يجعلون الاسم الله أعلى من الاسم الرحمن لأنه سبق فى الآية ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن .. ﴾ الإسراء/ ١١٠، ومنهم مَنْ يجعل لاسم الله الهيمنة على جميع الأسماء ، ويعدُّه : الاسم الأعظم .

ومن لطائف الأخذ بهذا المبدأ الذى يشير إليه الشيخ الأكبر ، ما فعله شيخنا حسين معوض الخلوتى فى رحلته الأخيرة للحج منذ بضع سنين ، حين أمر جميع المريدين بأن يحلقوا رؤوسهم ، فقال له بعضهم ما معناه أنه يمكن الاكتفاء بالتقصير .. فتلا عليهم قوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين .. ﴾ الفتح ، آية ٢٧، مشيراً إلى أن الأخذ بما ورد أولاً ، أولى .. وصارت سُنة للمريدين بعد ذلك.

وإذا أردنا تعميق هذا المبدأ ، وجدناه ينسحب أيضاً على السلوك الإنسانى بشكل كلى، =

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١) .

* * *

ومن ذلك؛ مَزَلَّةُ الأقدام فى بعض أحكام العقول والأحلام .. من الباب ٤٠٧ :

قال : العارفُ مَنْ عبد الله من حيث ما شرَعَ، لا من حيث ما عَقَل من طريق النظر(٢) .

= بحيث يعنى : اتباع الفطرة ! فقد فَطَر الله الناس أولاً على التوحيد ، ثم جعل لهم الحواس والعقل .. فإذا تابعنا مبدأ الشيخ الأكبر ، فإن الأخذ بالتوحيد - الذى بدأ الله به حين فطر الناس -يصير أولى من اتباع ما سوى ذلك من تخيلات الحس وتصورات العقل. ولا يقدح فى ذلك ، ما ورد من أنه **أول ما خلق الله العقل** ..إلخ لأن لفظ **أول** هنا تعنى : حين خلق الله العقل .. إلخ !

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١.

(٢) يرى الشيخ الأكبر - وغيره من كبار الصوفية - أن العبادة الحقة لله لاتتأتى من النظر العقلى، وإنما من الإيمان بالشريعة .. وهذا ما يجعلنا نتوقف عند نظرة الصوفية للعقل وهى نظرة خاصة تتلخص فى الآتى :

إن أول مقامات العقل عند الصوفية ، هو عقل **الفطرة** الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون، فهو الذى يميز الإنسان به بين الخير والشر ، ويعرف به الأمر والنهى . والمقام الثانى للعقل هو عقل **الحجة** الذى يعد مناط التكليف ويصل به الإنسان إلى خطاب الله للبشر، حين يبلغ الإنسان الحلم ، والمقام الثالث هو عقل **التجربة** الذى يصير به الإنسان حكيماً ، ولذا جاء فى الحديث الشريف : لاحكيم إلا ذو تجربة .

وللعقل على هذا النحو مهام ، فهو الذى يسير به الإنسان فى طريق العلم الحسى، فيعرف حقائق الموجودات وطبائعها وقوانين الطبيعة .. ويسير به الإنسان فى طريق الفقه والمعاملات، فيستنبط به الأحكام ويكشف عن الحكم الشرعية فى معاملة أهل الدنيا .. وبالعقل يعقل الإنسان نفسه عن متابعة الهوى ، بمعنى أن يعقلها كما تعقل الدواب، فلا تقوده النفس إلى ما فيه هلاكها وهلاكه . =

وقال : العقلُ قَيَّدَ مُوجده ، والشرع والكشف أَرْسله .. وهو لله الحق[1] !

وقال : للهوى فى العقل حُكْمٌ خفىٌّ ، لايشعر به إلا أهل الكشف والوجود.

وقال : أثر الأوهام فى النفوس البشرية ، أظهرُ وأقوى من أثر العقول .. إلا مَنْ شاء الله .

وقال : من رحمة الله بنا ، أنه رفع عنا المؤاخذةَ بالنسيان ، والخطأ ، وما تحدَّث به أنفسنا .. فلو أخذنا بما ذكرنا ، لهلك الناس[2] .

= ويفرق الصوفية بين العقل واللب .. يقول الحكيم الترمذى : اعلم أن اللب لايكون إلا لأهل الإيمان، الذين هم خاصة عباد الرحمن الذين أقبلوا إلى طاعة المولى ، وأعرضوا عن النفس والدنيا، فسماهم الله أولى الألباب وخصهم بالخطاب وعاتبهم بأنواع العتاب ومدحهم فى كثير من الكتاب ﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب .. واتقون يا أولى الألباب .. وما يذكر إلا أولو الألباب ..﴾ فمدح الله أولى الألباب وبيَّن مراتبهم وسرائرهم مع ربهم، لأنه خصَّهم بنور اللب. وأما عند عامة أهل الأدب ، ومَنْ لهم معرفة بشىء من اللغة، فإن اللب هو العقل .. ولكن بينهما فرقٌ ، كما بين نور الشمس ونور السراج، مع أن كلاهما نور (بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب – تحقيق نقولا هير، ص ٧٤ وما بعدها).

وابن عربى يتحدث هنا عن العقل بصدد الألوهية ، وهو المقام الذى لايمكن للعقل فيه أن يصل إلى الحقائق .. فحقائق الألوهية لايتعرف عليها العبد إلا بقوة أخرى هى القلب الذى ينظر بنور الله ، فيتمكَّن من الكشف .

(١) المراد هنا أن العقل حاول تحديد الله فى صورة معينة يعلقها .. أما الشرع الدينى والكشف الصوفى ، فهما لايحدان الله بل يقرران أن ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ وأنه تعالى فوق كل ما تصوَّره الوهم الإنسانى .

(٢) كلام الشيخ الأكبر هنا ، صياغة لمعنى الآية ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ، ما ترك على ظهرها من دابة ..﴾ سورة فاطر ، آية ٤٥.

وقال : ما سُمِّيت العقولُ عقـولاً ، إلا لقصورهـا على مَـنْ عَقَلَتْـه –مـن العُقَال– فالسعيد مَنْ عَقَّله الشرع ، لا من عَقَّله غير الشرع .

* * *

ومن ذلك ، تنبيهٌ : لاتُضاهى النور الإلهى .. من الباب ٤٢٠ :

قال : الحـقُّ لايُضـاهَى ، لأنـه ﴿ لَيْـسَ كَمِثْلِـهِ شـيءٌ ﴾[١] إنمـا الله ﴿ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ فأين المضَاهى ؟

وقال : صفاتُ التشبيه[٢] مُضَاهاةٌ مشروعةٌ .. فما أنتَ ضاهيت !

وقال : العقلُ ينافى المضاهاة ، والشرع يثبت وينفى[٣] ، والإيمان بما جـاء به الشرع هو السعادة .. فلا يتعدَّى العاقل[٤] ما شَرَّع الله له !

---

(١) سورة الشورى ، آية ١١.

(٢) صفات التشبيه هى ما ورد فى القرآن من قوله تعالى ﴿يد الله فوق أيديهـم﴾ ومثـل قولـه ﴿تجرى بأعيننا﴾ وقولـه ﴿ما صنعت بيدى﴾ وغير ذلـك من آيات الجلوس على العرش والكشف عن الساق . قال المعتزلة بضرورة تأويل هذه الآيات بما يتفق مع التنزيه .. وقال عبـد الكريم الجيلى: شَبِّهْ إن شِئْتَ ، ونَزِّهْ إن شئت ، فإنك على كل حالٍ غارقٌ فى تجلياته !

(٣) يرى ابن عربى هنا أن الحكم العقلى يقرر أن المضاهاة غير مقبولـة، لأنـه تعـالى ﴿ليـس كمثلـه شئ﴾ فلا يمكن أن يشابه الله أى شئ أو يضاهيه . ومـع ذلـك ففـى الشـرع نفـى للمضاهـاة وإثبات لها .. راجع ما قلناه فى الهامش السابق .

(٤) يقصد الشيخ الأكبر بالعقل هنا ، ما يدرك به الإنسان من حيث هـو مؤمـن ؛ وعلـى ذلـك لا يوصف الملحد والمبتعد عن الشرع بأنهما عاقلان .. ويمكن القول إن ابن عربى يفرق هنـا بـين نوعين من العقل الأول خاص بالمفهوم الشائع ، وهو قياس الأمور .. والنوع الآخر هـو العقـل بالمفهوم الصوفى ، وهو سبر الأمور ومعرفة حقائقهـا. ولايتـأتى هـذا العقـل الآخر إلا بمتابعـة الشريعة .. (راجع ما سبق) .

وقال : العاقل مَنْ هَجَرَ عَقْلَهُ ، واتّبع شَرْعه ، بعقله ، من كونه مؤمناً .

وقال : اكملُ العقول ، عقلٌ ساوى إيمانه .. وهو عزيز .

وقال : لو تصرَّف[1] العقلُ ما كان عقلاً .. فالتصريف للعلم لا للعقل .

وقال:

لِلْعَقْلِ لُبٌّ وَلِلأَلْبَابِ أَحْلاَمُ
وَللنُّهَى فِي وَجُودِ الكَوْنِ أَحْكَامُ

تَمْضِي اللَّيَالِي مَعَ الأَنْفَاسِ فِي عَمَهٍ
لِلْخَوْضِ فِيهِ ، وَ أَيَّامٌ وَ أَعْوَامُ

وَمَالَنَا مِنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
إِلاَّ القُصُورُ وَأَقْدَامٌ وَإِبْهَامُ[2]

العِلْمُ بِا للهِ نَفْى العِلْمِ عَنْكَ بِهِ
فَكُلُّ مَا[3] نَحْنُ فِيهِ فَهْوَ أَوْهَامُ

[البسيط]

---

(١) التصريف ، هو الحكم فى الموجودات .. وابن عربى هنا يستغل التضاد بين التصرُّف والعقل فالتصرف والتصريف حركة ، والعقل تقييد .

(٢) من الأبيات الشعرية الشهيرة :

نهايةُ إقدامِ العقولِ عُقَالُ — وأكثرُ سعى العالمين ضلالُ

وهذا البيت (من الطويل) ينسب إلى فخر الدين الرازى ، المعروف بابن خطيب الرى.

(٣) فى الأصل : كلما .. ويلاحظ فى أول الأبيات أن الشيخ الأكبر يعدِّد المراتب الآتية للإدراك: العَقْل .. اللُّب .. النُّهى .

وقال : العاقلُ ، مَنْ لعقله أَعْقَلَ أنه لايَعْقِلُ .. فمتى عَقَلْتَ جَهَلْتَ[1] .

* * *

ومن ذلك ، مَنْ أَبَى أن يكون من النقباء .. من الباب ٤٥٦ :

قال : النقيبُ[2] ، مَنْ استخرج كنز المعرفة بالله من نفسه، لما سمع قوله عَزَّ وجَلَّ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[3] وقوله ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[4] وقول رسول الله ﷺ : *مَنْ عَرِفَ نَفْسَهُ عَرِفَ رَبَّهُ* ..

وقال : مَنْ أَبَى أن تكون[5] له مثل هذه المعرفة .. لم يكن من النقباء .

وقال : لما علم أن بين الدليل والمدلول وجهاً رابطاً، زهد في العلم بالله من حيث نظره في الدليل –وليس سوى نفسه– وكان مِمَّنْ عرف نَفْسَهُ بالله .. وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أصحاب النظر ، مثل أبي حامد[6] ، ولكن لنا

---

(١) يقصد ، متى عقلت بالعقل الظاهر ، جهلت الحقائق الباطنة .

(٢) النقيب مرتبة صوفية فى هرم الولاية الذى على قمته القطب ويليه الإمامان ثم يأتى بعد ذلك الأوتاد ثم الأبدال و النقباء وأخيراً : الرقباء والنجباء . ولكل مرتبة فى هذا الترتيب الطبقى للأولياء ، أحكام وحقائق .. (راجع ، الحكومة الباطنية للدكتور حسن الشرقاوى، الطبعة الأولى ، ص ٥٠ وما بعدها) وفى كلام الشيخ الأكبر هنا، سوف يستغل التشابه اللفظى، فيربط بين تلك المرتبة الروحية وبين التنقيب فى النفس !

(٣) سورة فصلت ، آية ٥٣.

(٤) سورة الذاريات ، آية ٢١.

(٥) فى الأصل : يكون .

(٦) هو الإمام الغزالى الشهير ، حُجَّة الإسلام ، صاحب إحياء علوم الدين وغيره من الكتب التى –كما يقول ياقوت الحموى– ملأت الأرض .. توفى بطوس بعد حياة حافلة سنة ٥٠٥ هجرية. يصفه الذهبى بأنه : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط (سير أعلام النبلاء –

فى ذلك طريقةٌ غير طريقتهم . فإن الذى ذهبوا إليه فى ذلـك لايصـحُّ ، والـذى ذهبنا إليه يصحُّ؛ وهو أن نأخذ العلم به إيماناً ، ثم نعمل عليه ، حتى يكون الحقُّ جميع قوانا فنعلمه به، فنعلم عند ذلـك نفوسنا بـه ، بعـد[1] علمنـا بـه . وهـذه طريقة أهل ا لله فى تقدُّم العلم با لله.

*　　　*　　　*

– ١٩/ ٣٢٢) ويمكن الرجوع لترجماته فى :

المنتظم ٩/١٦٨– الكامل ١٠/٤٩١– وفيـات الأعيـان ٤/٢١٦– المختصـر فـى أخبـار البشـر ٢/٢٣٧– تاريخ الإسلام ٤/١٧٣– دول الإسلام ٢/٣٤– العبر ٤/١٠ – الوافى بالوفيات ١/ ٢٧٤ – مرآة الجنان ٣/١٧٧٠– مرآة الزمان ٨/ ٢٥ – طبقـات الشـافعية الكـبرى ٦/١٩١– البداية والنهاية ١٢/١٧٣ – النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣ – مفتاح السعادة ٢/ ٣٣٢ – روضـات الجنات ١٨٠ .. بالإضافة إلى ما لاحصر لـه مـن الشـروح لكتـب الغـزالى ، والدراسـات التـى تناولته .

ونأتى لمراد ابن عربى هنا ، فنشير أولاً إلى أن الغزالى قد دخـل طريـق التصـوف مـن بـاب نظرى، فقد استعرض الفرق ومذاهبهم، فلم يجد أفضل عنده من طريق الصوفيـة .. حتـى جـاء عليه يوم، احتبس صوته و لم يتمكن من إلقاء دروسه فى المدرسة النظاميــة ، فشـعر أنهـا دعـوة للدخول التام فى غمار التصوف ، فترك كل شواغله وتزهد، وصار إلى ما صار إليه من سـلوك صوفى (راجع ترجمة الغزالى الذاتية التى يـؤرخ فيهـا لتجربتـه ، وجعلهـا بعنـوان : المنقـذ مـن الضلال).

ويرى الشيخ الأكبر أن طريقة الغزالى غير طريقته ، فالغزالى بدأ بالعلم النظرى حتـى يعـرف نفسه، فيكون آنذاك قد عرف ربه، فيتجه إليـه .. أمـا طريقـة ابـن عربـى فهـى تبـدأ بالشـريعة والإيمان، ثم تشرع فى العمل بالعلم حتى يعرف الصوفى ربه ، ويكـون آنـذاك قـد عـرف ا لله با لله – وهذا يختلف عن معرفة ا لله بالدليل النظرى – ثم يعلم الصوفى كـل شـئ بـا لله، ومـن جملة الأشياء التى يعرفه : نفسه .. ويمكن توضيح الفرق بين الطريقتين فى الآتى:

- طريقــة الغزالى : النظر العقلى ← الدليل على ا لله ← معرفة النفس ← معرفة ا لله.
- طريقة ابن عربى : الايمان العمل بالعلم ← معرفة ا لله ← معرفة النفس .

(١) فى الأصل : وبعد .

ومـن ذلـك : ديـن الأنبيـاء واحـدٌ ، مـا ثَـمَّ أمـرٌ زائـدٌ ؛ وإن اختلفـت[1] الشرائعُ، فثَمَّ أمرٌ جامعٌ .

الدينُ عِنْدَ الأَنْبِيَـاء وَحِيـدُ[2]
وَمَقَـامُهُ بينَ الأَنَـامِ شَـدِيـدُ
فإذَا الرجَـالَ[3] تَفَطَّنُوا لِرَحِيلِهِ
عَنْهُمْ وَقَامَ لَهُمْ بِذَاكَ شَهِيـدُ
جَاءُوا إِلَيْـهِ مُهَطِّعِينَ[4] لَعَلَّهُ
يَوْمَـاً بِقَصْدِ هُمُ إِلَيْهِ يعُود[5]

[الكامل]

---

(١) فى الأصل : اختلقت .

(٢) هو دين التوحيد الذى ورد فيه أنه الفطرة .. ففى الحديث الشريف: **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"** وبخصوص نظرية ابن عربى فى الديانات وحقيقتها ، يمكن الرجوع إلى (كرم أمين أبو كرم : المعانى الصوفية للعبادات فى مذهب ابن عربى – رسالة ماجستير بآداب الإسكندرية ١٩٨٩) فقد تعرَّضت الرسالة إلى نظرة الشيخ الأكبر للشرائع ورسوم الدين وقواعده . كما يمكن الرجوع إلى الفصل الذى عقدناه تحت عنوان **حقيقة الديانات** فى كتابنا : عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية .

(٣) المراد بالرجال : أهل الولاية .

(٤) هطع فى اللغة : أقبل على الشئ ببصره فلم يرفعه عنه . وفى القرآن الكريم : ﴿مهطعين مقنعى رؤوسهم﴾ والمهطع : الذى ينظر فى ذُلٍّ وخشوع (لسان العرب ٣/ ٨١١) .

(٥) مراد ابن عربى من الأبيات : أن الدين إذا خبت جذوته بين الناس ، قام إليه رجال من الصفوة –وهم هنا: الصوفية – فجاءوا إلى حقيقة الدين بكل خشوع، وعكفوا على أصوله، فلعله يعود إليهم بهذا السعى الصادق الخاشع إليه .. وتنبهنا الأبيات إلى الدور الذى يلعبه مشايخ التصوف وصفوة رجاله فى كل عصر، فأولئك يعيدون للدين حرارته بأحوالهم الباهرة، فيتجدَّد على أيديهم مع دوران الزمان .

قال[1] : هو إقامة الدين، وأن لايُتَفرَّق فيه . ما خلق الله أبغضَ إليه من الطلاق[2] ، وهو بيد مَنْ أخذ بالساق ، فلماذا يُقصد إلى البغيض مع هذا التعريض؟

نكاحَ عَقْدٍ وعرسٍ شهدوا، بتنا بيكرٍ صُهُبا ؛ في لجَّةٍ عمياء . نفوسٌ زُوِّجت[3] بأبدانها ، ولم يكن ناكُحها غير أعيانها[4] . ثم أنه مع التكدُّر والانتقاص، ﴿ولات حين مناص[5]﴾ ثم مع هذا يدعو ويجاب، ﴿إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب[6]﴾ وأعجب من ذلك ﴿وجبالٌ سُيِّرت[7]﴾ فكانت سراباً و ﴿سماءٌ فُتحتْ فكانت أبواباً[8]﴾ ذات ﴿حُبُكٍ﴾[9] وبروجٍ، وأرواحٌ لها فيها نزولٌ وعروجٌ ، و﴿ومالها من فروج[10]﴾ فأين الولوج وأين الخروج ، وأين النزول،

---

(١) يبدأ الشيخ الأكبر من هذا الموضع في التعبير بأسلوب شديد التركيز يمتلئ بالتضمينات القرآنية لفظاً ومعنى ، ليعطينا نصاً فريداً من النصوص الرمزية الرائعة .

(٢) الإشارة للحديث : أبغض الحلال عند الله الطلاق.

(٣) قوله تعالى ﴿وإذا النفوس زوجت ...﴾

(٤) النكاح في كلام ابن عربي يعني الخلق والإيجاد .. وهو هنا يضع أمامنا صورة تشبيهية لطيفة، فيجعل التزاوج بين النفوس الأرضية الكائنة بالفعل ، وبين الأصول الأزلية الثابتة في العلم الإلهي. وهذه الأخيرة هي المشار إليها بالأعيان (راجع ما قلناه عن الأعيان الثابتة فيما سبق).

(٥) الآية ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ، ولات حين مناص ..﴾ سورة ص ، آية٣.

(٦) الآية ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب ..﴾ سورة ص ، آية ٥.

(٧) سورة التكوير ، آية ٣.

(٨) الآية ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً ..﴾ سورة النبأ ، آية ١٩.

(٩) الآية ﴿والسماء ذات الحبك ..﴾ سورة الذاريات ، آية ٧.

(١٠) الآية ﴿ كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ..﴾ سورة ق ، آية ٦.

أين العروج[1] . هذا موضع الاعتبار ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾[2] .

واللهِ ، إن أمراً نحنُ فيه لمريج[3] .. وإن زوجاً زَوَّجنا به .

لبهيجٌ[4] .

سقفٌ مَرْفوع[5] ، ومهادٌ مَوْضوع[6] .

ووتدٌ مَفْروق ، ووتدٌ مجْموع[7] .

ظُلْمةٌ ونور ،

وبَيْتٌ مَعْمور ،[8]

---

(١) يشير الشيخ الأكبر هنا إلى غرابة العروج الإنسانى فى طبقات السماء التى ﴿مالها من فروج﴾ إذ كيف تكون المعارج والمراقى فى هذا الكون المحْكم .. ألا يدل ذلك على أن الأمر سراً هو موضع الاعتبار والنظر ؟ ولذا قال عقب ذلك : هذا موضع الاعتبار ، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

(٢) سورة الحشر ، الآية الثانية .

(٣) الآية ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ..﴾ سورة ق ، آية ٥.

(٤) الآية ﴿اهتزت وربت وأنبتت فيها من كل زوج بهيج .. ﴾ سورة الحج، آية ٥ والآية: ﴿وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ..﴾ سورة ق ، آية ٧.

(٥) الآية ﴿والسقف المرفوع ..﴾ سورة الطور ، آية ٥.

(٦) الآية ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً..﴾ سورة النبأ ، آية ٦.

(٧) جمع ابن عربى بين مفهوم الأوتاد الوارد فى القرآن كصفة للجبال (سورة النبأ، آية ٧) والمعنى الصوفى للأوتاد (وهم مرتبة فى التسلسل التصاعدى للأولياء) والمصطلح العروضى المستخدم فى أوزان الشعر .. حيث الوتد المجموع هو الأحرف الثلاثة ، يكون الأول والثانى متحركين والثالث ساكناً ، وعلامته // ٥ . أما الوتد المفروق فهو ثلاثة أحرف ، يكون الأول والثالث متحركين وبينهما ساكن ، وعلامته /٥/ (انظر ؛ مفاتيح العلوم للخوارزمى، ص ١٠٣).

(٨) الآية ﴿والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور ..﴾ سورة الطور ، آية ٤.

وبَحْرٌ مَسْجور ،[1]

ومياهٌ تغور .. ومراجل تفور.

فَارَ التَّنور[2] ، واتّضحتْ الأمور

نُجُومٌ مُشرْقةٌ ، ورجُومٌ مُحرقةٌ[3] .

شهُبٌ ثواقب ، وشُهُبٌ ذات ذوائب[4] ..

كُلّما نَجَمتْ ، ذهبتْ !

ياليتَ شِعْرى : ما الذى أنارها ، وما الذى أوجب شرارها .

وأخواتها ثوابتٌ لاتزولْ ،[5]

فى طلوعٍ وأفولْ

ليلٌ عَسْعَسْ ، فظهرت كواكُبه ..

وصباحٌ تَنَفَّس[6] ، فَضَحَهُ راكُبه

جوارٌ خُنَّس فى مجاريها ، وظباءٌ كُنَّس[7] لتحفظ ما فيها.

---

(١) الآية ﴿والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ..﴾ سورة الطور ، آية ٦.

(٢) الآية ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ..﴾ سورة هود ، آية ٤٠.

(٣) الآية ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ..﴾ سورة الملك، آية٥.

(٤) الإشارة إلى ما يعرف اليوم بالمذنبات .. وهى أجسام فلكية مندفعةٌ باحتراق .

(٥) النجوم الثوابت : هى الكواكب التى فى السماء جميعاً، ما عدا الكواكب السيارة السبعة: زحل ، المشترى ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .. وسميت ثابتة لأنها تحفظ أبعادها على نظام واحد ولاتسير عرضاً .. (مفاتيح العلوم ، ص ٢٣٥)

(٦) الآية ﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ..﴾ سورة التكوير ، آية ١٧.

(٧) الآية ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ..﴾ سورة التكوير ، آية ١٥.

ليلٌ ونهار ، أنجادٌ وأغوار ، إبدارٌ وإسرار..

يا أهلَ الأفكار :

أَقْسَمَ نَجِيُّكم[1] قَسَماً لا لغو فيه ولا ثنيا ، إن الذى[2] جاء بهذا كله لصادقٌ. يُؤْمن به – لابل يعلمه – الظالمُ لنفسه ، والمقْتصدُ ، والسابق .. شَخْصٌ من الجنس[3] ، أُيِّدَ بروح القُدْس .

قيل له : بَلِّغْ ، فَبَلَّغْ .. وذَكِّرَ ، فَأَبْلَغْ

وقَذَفَ بالحقِّ على الباطل ، فَدَمَّغْ !

فزهقَ الباطلُ ، وتحلّى العاطلُ .

نشأةُ الآخرة ، رَدُّه فى الحافرة .

كيف يكون التَّجَسُّدْ .. مع التَّقَيُّدْ[4] ؟!

إنْ كان نفس الأمر انقلابُ عين ، فقد جهل الكون[5] .

---

(١) يقصد نفسه حين يناجى أهل الأفكار .. وهم طبقة تقابل بالتضاد : أهل الأسرار !

(٢) يقصد النبى محمد ﷺ ، فهو الذى جاء بآيات القرآن ، وهو –كما سيرد فى العبارات التالية– المؤيَّد بروح القدس ، الذى بَلَّغ ما أُنزل عليه ، وذكَّر الناس بربهم .

(٣) أى من جنس البشر .. وفى القرآن الكريم ﴿قد جاءكم رسول من أنفسكم﴾

(٤) يتعجَّب ابن عربى هنا من قول النصارى ، ومَنْ ذهب مذهبهم ، إن الله قد يتجسَّد فى شخص المسيح .. إذ كيف للمطلق اللامحدود ، أن يتقيد بما هو متعين ومحدود فى صورة بشرية.

(٥) يواصل الشيخ الأكبر نقده لفكرة التجسُّد وحلول اللاهوت فى الناسوت ، أو الله فى الإنسان .. فيشير إلى أن القائل بانقلاب الحقيقة الإلهية إلى النشأة الإنسانية ، يدل على جهله بطبيعة الكون .

وإنْ كان فى النظر ، فهو من مَغَالط البصر[1] .

فإذا انبهم الأمرُ ، وأُشْكل ، فما لك إلا أن تتوكّل !

فاسلمْ وجهك إلى الله وأنت محسن ، تَكُنْ مِمَّنْ استمسكَ بالعُرْوة الوثقى[2] .. فإنه خيرٌ لك وأبقى .

وكُنْ مع الرعيل الذى خُطب بقوله ﴿والله خيرٌ وأبقى[3] ..﴾

تكن السعيد ، الذى لايشقى .

فإن نَزَلْتَ عن هذه الدرجة ، فانزلْ إلى ﴿الآخرةُ خيرٌ وأبقى[4] ..﴾

فإنهم ، وإن كانوا سعداء .. فإنه لايستوى المؤمنون الميّتون على فرشهم، والشهداء.

فلكل علمٍ رجال ، ولكل مقامٍ حال ،

ولكل بيتٍ أهل ، ومع كل صعبٍ سهل ..

---

(١) يستمر ابن عربى فى نقد الفكرة السابقة ، فيجعل قول القائل بانقلاب الأعيان فى النظر ، إلى خطأ الناظر وغلط البصر .. ويلاحظ هنا أن الشيخ الأكبر استغل ترادف لفظ النظر بمعنى الفكر ، مع لفظ النظر بمعنى الرؤية والمشاهدة الحسية .

(٢) الآية ﴿من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ..﴾ سورة البقرة ، آية ١١٢ والآية ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ..﴾ سورة لقمان ، آية ٢٢.

(٣) سورة طه ، آية ٧٣.

(٤) سورة الأعلى ، آية ١٧ .. ومراد ابن عربى : أُطلبْ الله أولاً ، فإن لم يرتفع همك وهمتك إلى طلب الله، فأطلب الآخرة .. فكلاهما خير وأبقى ، مع اختلاف المقامين .

وهذا القدرُ كافٍ فـى هـذا البـاب ، لمن علـم فطـاب ، وأُوتـى الحكمـةَ وفَصْلَ الخطاب .

انتهى الباب ، بانتهاء المجلدة الخامسة والثلاثين من هذا الكتاب .. والحمد لله، وصلّى على محمدٍ رسوله .. بخط مُنْشئ هذا الكتاب .

*　　　*　　　*